السيد حافظ

هل ما زلت تشرب السيجار ؟

روايـــــة

الكتاب: هل مازلت تشرب السيجار ؟
الكاتب: السيد حافظ
الناشر: مركز الوطن العربى "رؤيا"
البريد الالكترونى : justhappy_man2000@yahoo.com
Hafez66@live.com
تليفون: ٠١٢٨١١١١٨٧٥ ــ ٠١١١٦٤٠٩٥٦٨
الناشر : " العنــوان " للنشر والتوزيع **- الشارقة مويلح**
ص.ب: ٨١٨١١
alenwan10@gmail.com
الطبعة الأولى: القاهرة ٢٠١٨
رقم الإيداع : ٢٠١٨/٦٧٥٨
دار الكتب والوثائق القومية
إدارة الإيداع القانونى
الترقيم الدولى: I.S.B.N 978 – 779 – 207 – 171 - 5
الغلاف: إهداء من الفنان العالمى ماهر جرجس
إخراج وجرافيك: خالد شعبان
الإشراف على التنفيذ : الأستاذ / أحمد حافظ، الأستاذ / أحمد محمد الشريف
الجمع والصف الالكترونى: وحدة الكمبيوتر بالمركز
تنفيـذ: خـالد شـعبان
مكتبة عمر بوك ستور – القاهرة ١٥ شارع طلعت حرب أعلى مطعم فلفلة
تليفون: ٠٢٢٣٩٦٠٠٤٧ ــ ٠١٠٠٣٣٦١٢١٧

دار زهراء الشرق
١١٦ شارع محمد فريد وسط القاهره

الاسكندرية: مكتبة دار حورس للنشر والتوزيع

مكتبة أكمل: الاسكندرية ١٨١/ ١٨٣ شارع أحمد شوقى – رشدى
تليفون: ٠٣٤٥٥٧٣٥٢

{ الرواية كائن حى يتطور يتغير مثل كاتبها.. وما دام الكاتب حيا ففى كل طبعة جديدة عليه أن يطورها ويغيرها مثلما تغير.. وإذا مات تركها أرملة طروب لا ترتدى ملابس الحداد أبداً.. }

الكاتب السيد حافظ

إهـــــداء

إلى الذين يكتبون أعمالاً جميلة لكن لا ترى النور

يقول الله - عز وجل:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾
صدق الله العظيم

(الإسراء ٨٥)

{ كل فـرد ينتـمى إلى عدة أرواح جماعية روح عرقه.. روح طبقته.. وروح طائفته. }

سيجموند فرويد

لست مؤهلاً إلا لكتابة شىء عن نفسى إننى أؤمن بأن روحى ستنتقل فى جسد آخر فى زمن آخر ومكان يقدرها ويمسح الله بيديه عليها.. إنه يعلم أنها تواقة للجمال المطلق فى كل شئ.. إنه يعلم ما شاهدته فى مصر والوطن العربى من عذابات.. إن روحى تعذبت من الغباء والقبح وغياب الضياء والبهاء.. وغياب الأنبياء.

عشت فى ظرف تاريخى أحمق بكل المعانى.. وجهل وتعصب وغياب عندما غاب وعى الشعب المصرى والعربى.. وأملى كان مثل جمال حمدان أن ينصلح حال هذا الشعب، ولكن لم ينصلح ولا أعرف متى ينصلح؟

السيد حافظ

"هنيئا لمن يعيش ويرى العدل على أرض مصر"
حكيم فرعونى من ٤ آلاف سنة قبل الميلاد

دعاء

طوبى لمن يجمع الحصاة التى يلقيها البلهاء والادعياء
على كتاباتى بين القبول والحب شعرة ..
الناس تكره وتحب بعضها بلا سبب
واحيانا بسبب واه..
خلق الإنسان شريرًا ام ساذجًا ..
لا أدرى؟

ولي فى عشقك وطن..

فتحى رضوان خليل

{وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ }

(النور ٤٠)

- **أعتذر لأولادى وأصحابى ورفاق الدرب على أنى قمت بكشف حوارنا الخاص للقارىء الفاهم العارف بسر الضوء والجمال أنا رجل فتان على الورق لم أقصد الإساءة إلى أحد.. سامحونى..**

- **إلى الجميلة التى ظهرت فى حياتى لترافقنى لحظة وجع الضوء وغياب الفضيلة و اختفاء الحكمة فى حياتى إلى زوجتى .**

قال ماوتسى تونج زعيم الصين :

(إياكم والاعتداد بالنفس، ولا تظنوا أنكم أفضل شعوب العالم، وعليكم بالعلم بلا ملل أو كلل، تصبحون شعباً ذا حضارة)

وأنا أيضاً أقول للمصريين هذه النصيحة

إهداء أخير

إلى أصدقائى الذين يعاونوننى فى طباعة الكتب على نفقتى ونفقتهم بعد تخلى الدولة الرسمية عنى حتى أننى لم اجد وطنا او حضنا فى مؤسسة ثقافية عربية ..فكنت أنا واصحابى نتعاون للطبع كل مرة

وإليكم الرواية..

الفصل الأول
لماذا هزمتنى الأيام
على الرغم من أنى لم أفعل لها شيئا؟؟

ومنذ ذلك الحين، وأنا أستحم في قصيد البحر،
منقوعا بالنجوم، ولبنيا
مشرقا بالفرح، غريقا متأملا ينحدر أحيانًا.
الشاعر الفرنسى "رامبو"

***

سيدتى لك الغرور..
ولي الحروف والنور
وأحيانا أحن للسفر إلى عينيك وأسكنهما
وأتخذ قلبك وطنا..

"كاظم" أحد أبطال الرواية

***

شهرزاد تجلس أمام الدار.. الدار بنى على تل.. التل يطل على القرية.. القرية قرية سهر وشهرزاد.. شهرزاد تجلس وعينها الزرقاء وشعرها الأصفر وسنتان ذهبيتان تظهران عند ابتسامتها .. ابتسامتها ظلت حلم الرجال أما من يستحقها من الرجال لم يظهر بعد ويكحل عينيها .. عيناها تعانقان الأفق الأزرق البعيد فى سماء.. سماء سوريا ولبنان بلاد الشام.. الشام بلاد اللوز والتفاح والياسمين؛ ياسمين الشام نساؤها جميلات ورجالها وجهاء..

تضع شهرزاد المتى والقهوة السادة على ركوة النار وتجلس فوق جلد الماعز.. تمر النساء والرجال ورعاة الأغنام على التل ..على التل شهرزاد جالسة أمام الدار لإلقاء ورد السلام.. شهرزاد يهابها كل الرجال ويشتهيها بعضهم.. وكل النساء تحبها لأنها تنصحهن بكيفية كسب الرجال فى البيت عامة وفى الفراش خاصة، وفى القرب

والبعاد وفى كل الأحوال.. وكل النساء تبث لها بعض الأخبار..

شهرزاد هى سيدة الوجع.. خبيرة بوجع ومتعة النساء والرجال.. تسمع دقات قلوب النساء قبل الرجال، هى دوما غير عابئة بالوقت ولا الزمن مادامت أمامها المتى والقهوة السادة والزيت والزعتر وحبات الزيتون وقطعة جبن.. هى تسمع آهات الجميع.. تنصح وتحكى لمن تحب، وعادة ما تحصل على زوادة من السكر والقمح والتفاح هدية؛ وما أجمل هدايا شهرزاد التى تحب الجميع.. وأحب من تحب طبعا سهر؛ سهر ابنة العشق والجمال والجبل، عشيقة القمر..

جاءت سهر إلى بيت شهرزاد.. اقتربت منها وهى جالسة أمام الموقد تصنع القهوة السادة، فمازال البرد فى الجبل.

قالت شهرزاد:

- ما أخبارك يا حبة العين؟
- أعيش يا خالتى فى ضجر، أحلم بالذهاب إلى الإمارات وتغيير الزمان والمكان..
- وما أخبار العاشق الأستاذ كاظم؟
- لا أعرف ولكن وصلتنى رسالة هى قصيدة شعر أظن أنها منه أو من مدرس آخر.. أتعرفين يا خالة على الرغم من زواجه من وردة لا ينساني هذا الرجل أبدا.. كلما مررت من جواره احمر وجهه خجلا.. أشعر بدقات قلبه أحيانًا تقفز أمامى مرتبكة.
- ماذا مكتوب في القصيدة يا قمر؟
- مكتوب: "سأمر على بابك ذات يوم.. وأترك زهور أحلامى على

عتبات باب قلبك.. وإن لم أمر سأرسل دقات قلبى عبر نجوم السماء.. الحب عناء وغناء وشقاء ونعيم وجحيم.. سأمر على بابك ذات يوم، ذات عام، ذات عمر، ذات لحظة، فالمرور جنون وسرور، والمرور لا يعنى الحضور، فالحضور تماس بالروح والإحساس وليس بالجسد فقط.."

ضحكت شهرزاد، وقالت:

- يا عينى يا عينى يا ست سهر؛ حفظتى القصيدة يا حبيبة قمر.. هل تعتقدين أنه الأستاذ كاظم من كتبها؟

ضحكت سهر مع شهرزاد:

- لا أعرف يا خالتى.. تأتينى خطابات ولكنى شككت فى هذه القصيدة، وهذا الرجل سيجننى، لو شاهدتيه وهو ينظر لى.. نظراته ستسبب لى وله ولأبي وردة مشكلة كبرى.. البلد ستقسم وتتفجر مشاكل ليس لها حل.
- سيجن الرجال بك يا عشيقة القمر!! سيجن بك البشر والجبل والزرع. حتى اسألى عصفورك العاشق سيحكى لك أنه ليس عصفورا بل قلبا بشريا أو قلوب رجال مفتونة بك يا سهر، حتى الشجر يحبك يا حبيبة القمر.

قالت شهرزاد:

- خذى يا سهر وأشعلى لك سيجارة.. دى سجاير جاية هدية من البرازيل.
- اووف يا خالتى أنا ما أدخن.. يا خالتى...

- دخنى.. دخنى؛ لأنك ستدخنين السيجارة ذات يوم.. لأن النساء تدخن من القهر والفراغ الذى تواجهه مع الأيام..لو فيه سينما فى القرية كنت جبت لك تذكرة وانا تذكرة وجبنا فيشار وولعنا كل واحدة سيجارة واتفرجنا ...ههههههههه

راحت شهرزاد تعصب رأسها بعصابة وردية مزركشة، وأخذت تشدها إلى جمجمتها بقوة حصان.. أخذت سهر السيجارة وأشعلتها.. سعلت مرة.. ثم أخذت نفساً ثم نفساً.. ثم استطعمتها فانسجمت..

قالت شهرزاد وهى تبتسم:

- سأعطيك حبات ينسون فى فمك تمنع رائحة الدخان؛ حتى لا يغضب أبوك.. السيجارة حرام بس حرام خفيف ومباح.. يا بنت، ستسامحنا السماء.. ناقصنا فيشار وسينما هههههههههههه
- احكِ لى يا خالتى شهرزاد..
- سأحكى لك، ولكن دعينا نأكل شيئا حلواً.. جبنة نابلسى حلوة..
- طيب.. استريحى نشرب المتى أولا.. والا أقولك قهوة سادة أنت تحبينها، والا كابتشينو جاى لى من البرازيل هدية، هل أنت تميلين إلى كاظم يا بنت؟
- نسيته يا خالتى من زمااان.. طلعته من رأسى فهو الآن متزوج..
- لهذا السبب نسيتيه...؟
- لا، لأننى أرغب فى السفر.. ورؤية العالم.
- اشربى الكابتشينو..

لا شئ يمنع سهر من السفر.. لا العشق ولا الرجال، هى أنثى

ترغب فى أن تمسك بالقمر وقمة الجبل، وأن تعشقها كل الكائنات الأرضية والسماوية.. ألم يمنحها الله جمالاً وجسداً وعطراً لم يمنحه إلا لقلة من النساء.. ذات يوم ستجعل الرجال ينهارون تحت قدميها.. يبكون.. يتوسلون.. أن يتحسسوا كفها.

كاظم إذا تزوجها ستصبح دجاجة فى عشة.. تنتظر الديك كل مساء، وهى ليست دجاجة.. وليست قطة سجينة وليست مهرة تجر عربة.. هى مهرة برية.. هى الطبيعة والتحول والنغمات هى تعرف أن بعض النساء نغمات ولسن لحماً وعظاماً.. هى تريد أن تطير مع عصفورها، وتسمع غناء الكائنات.. ودت لو تعيش فى ألمانيا لأنها تظن أن ألمانيا مركز الفلسفة والثقافة فى أوربا والعالم.. سهر عذرية العذارى.. نظرت إلى الجبل.. قالوا لها إن الأستاذ كاظم يصعد إلى أعلى كل يوم.. ترى لماذا؟

هل ينتظرها؟؟.. هل يهرب من وردة؟.. أى أسرار يحملها الجبل؟

* * *

كاظم يحب الجبل.. الجبل مجنون، وأحياناً مفتون، وأحياناً بلا أخلاق يعرى النساء حين تصعد عليه، وأحياناً يكِن ويسكت ويتأمل، وتشعر أنه كائن هادئ، ساكن، ولكنه يراقب كل شئ ويسكت، ويظل يراقب ما يفعل الإنسان فهو ظلوم جهول.. الجبل لئيم وحكيم.. فى كل يوم يصعد كاظم أعلى الجبل قبل الغروب.. ليراقب الشمس وهى تغرب.. تحمل الشمس في الغروب رسائل وجع القلوب فى النهار لرب السماء فى المساء، الشمس تشكو وجع الحب والعشاق وتنهيد

البنات.. كاظم ينتظر هبوط ملاك من السماء ليسأله أن يحضر له سهر ولو ليلة واحدة أو عمراً كى تكون زوجة ووطناً له وحده يسكن بعينيها الساحرة.

كاظم شارد طوال الوقت وفى قلبه تسكن نظرات سهر، ظن ذات يوم أنه سوف ينساها أو نسيها خاصة حين يحاول دخول غرفة النوم يتذكرها حتى يتعامل مع وردة جنسياً ويلاطفها، وقليلا ما نجح وكثيراً ما فشل فهو عندما يرى سهر فى كل حصة يرتبك. وفى كل مرة تمر أمامه ينخلع قلبه ويجرى خلفها لاهثاً.. كاظم غارق فى العشق حتى الانسحاق والذوبان..

"يجيء الليل عند قدميك يا سهر وينام القمر مغشيا عليه، أو فى حالة خجل، ويصحو الفجر مستتراً، وينسحب بصوت الهمس حتى لا يوقظ قلبك أو يقلقك، وأنت فى أحضانك حلم بى، يهون على بكاء النجوم وهى تعطرك، وأكتب على خد كل نجمة أحبك، على الرغم من كل المعاناة والقهر وغربتى فى وطنى ورغم قسوة الزمان"..

فى بيت كاظم

قالت وردة لكاظم، وهى تقدم له فنجان القهوة السادة:

- اللى واخد عقلك.. هنياله (هنيئا له).
- الشغل والمدرسة.
- بعرف حبيبى بعرف، والله وحشتنى الدراسة والرفاقة، صحباتى زهرة ومنى وياسمين وسهر.. إلا إيش أخبار سهر؟

نظر لها بدهشة قائلا:

- روحى زوريها واسأليها.. ليش ؟ عم تسألينى أنا؟
- والله فكرة.. بنروح نزورها..
- بتروحى أنت.. كيف أنا أروح معك ؟
- لما ييجى عريسها.. نزورهم سوا.. بدى تغور من هون.. والله لما تمشى حنفقدها.. بتوحشنا.. موهيك يا زوجى يا حبيبى؟؟
- شو بيكِ؟ كل ما قعدت فى البيت تعملى مشكلة وكلام هيك وهيك..
- بدى إياك تتكلم معى ما تتركنى هيك مثل الكرسى والكنبة والتلفزيون..
- أووه... بدك تعملى مشكلة.. أنا بترك لك البيت وماشى..

قام وارتدى ملابس الخروج، وترك لها البيت وخرج وهى تثرثر وتلوك الكلام كما تلوك اللبان، واللوم والدموع على خدها.. خرج من الدار.. صعد الجبل.. لتصعد الروح للحرية للنور للسماء.. روح الجبل بها جمال ولعنة مخفية فى الأحاسيس... آه.. لو..

سكن كاظم الجبل وقلبه مع سهر، ونسى العالم وكل البشر وكل حوار، وغادرت روحه السأم والضجر.. وبينما كاظم يصعد الجبل لمحه أبو الريش؛ فتابعه من بعيد، ليرى إلى أين يذهب كاظم؟.. صعد كاظم إلى التل، وجلس فوق الجبل ونظر إلى السماء سائلا الله أن يخرجه من أسر طوق حب سهر، وسجن وردة، وجحيم القرية.. أسرع أبو الريش، وأبلغ راغب أخا وردة وحصل على عشر ليرات.. ذهب راغب فى الحال إلى هناك وشاهده جالسا.. قال راغب لنفسه عندما شاهد كاظم ينظر للسماء طويلا طويلا ويتمتم بالشعر ..قال فى نفسه ربما

كاظم رجل يحمل عقيدة غير عقائدنا..

ظل راغب يراقبه، وانتظره من بعيد، وهو يهبط من الجبل، وفوجئ كاظم به يقف أمامه وجها لوجه ؛ فذعر كاظم فبادره راغب:

- مرحبا زوج أختى أستاذ كاظم..
- هلا راغب أخو مرتى..

فضحك راغب ضحكة صفراء فى هذيان محموم.

- شو بك.. تحب الجبل؟
- ليش هالسؤال؟.. كلنا نحب الجبل.

أجاب كاظم بوجه صارم، وأكمل حديثه:

- كل واحد منا له سبب لحب الجبل.. هو يحمل الذنوب من البشر والخير من السماء.
- اسمع أخى كاظم أنت بتعبد الشمس صح ما بتعبد عقيدتنا. ناس قالت لى زوج أختك بيطلع على الجبل كتير.. ما صدقت اليوم شفتك بالصدفة..

ضحك كاظم وقال:

- يا راجل أنا زوج أختك وشو كتبت فى عقد الزواج.. ما قريت إنى مسلم.. ما تفتح فمك هيك هلق.
- والله أخوى كاظم ما عدنا نعرف مسلم من مسيحى من درزى لسنى لعلوى لشيعى.سوريا صارت خلطة...هههههه
- أحسن هيك.. أنصحك إنك تسيب الموضوع ده لله فى السماء.. مو أحسن هيك.؟

- شو أحسن هيك؟
- كلنا بشر كلنا أبناء الله ؟ اترك الله يحاسب البشر.

لم يقتنع راغب بهذا الكلام وأراد إشعال الفتنة، فذهب فى الحال إلى البيت ليخبر أباه بأن كاظم يصعد على قمة الجبل.. ظن الأب أن كاظم مثله يصطاد النساء وأن له وكراً خاصاً هناك؛ فأرسل خلفه بعض العيون ليتأكد.. فوجدت عيون المختار أن كاظم يجلس وينظر للسماء ويتمتم، وأخبروا المختار الذى أخذ يهرش فى ذقنه حائرا، وراح يفكر.. شو حكاية الجبل بها المخلوق جوز بنتى؟

حاول أن يخبر أم راغب بالموضوع وهو متردد.

- يا مرة تفتكرى الراجل اللى اسمه كاظم جن؟
- لا.. يا خويا.. دا عاقل.. شو فى يا أبو راغب؟
- شو أخباره مع بنتك؟ أنت بتسيريها.. شو هو عامل معها؟
- بنتك بتحبه وبتموت فيه؟
- أنا بسأل عن أخباره التانية؟ يعنى بينام معاها؟ فهمتى والا ما فهمتى..؟

ضحكت بسذاجة:

- يا راجل.. أمال وين حينام.. فى الشارع؟
- يا مرة؛ قصدى كزوج وزوجة.. زى الفل البنت قالت كويس بس فيه عيب، هى اللى لازم تطلب منه.
- لازم أعرف شو صاير بالرجال هدا؟

وقام وذهب المختار فى الحال إلى شهرزاد.. فوجئت به شهرزاد

يدق الباب بينما كانت عندها سهر.. المختار دق الباب بقوة:

- **افتحى يا شهرزاد.**

خافت سهر واختبأت فى حجرة نوم شهرزاد بعد ارتباكهما..

- **افتحى.. يا مرة.. والا حافضل هون قدام الدار.**

فتحت الباب:

- **خير.. يا مختار.. شو بك؟**
- **خير يا شهرزاد؟**

أخذ يحكى لها عن كاظم وأفعاله المريبة..

- **دبرينى يا مرة شو أعمل معه؟**

ضحكت شهرزاد وطمأنته وقالت:

- **النفس وما تهوى اطمئن، هو عاقل ويألف خير.. هو صادق اللسان، وينال محبة الإخوان، وهو بعيد عن طغيان الأبالسة.. يؤمن بالتوحيد، والرضا بفعل ربنا، والتسليم لأمره.. صادق اللسان والتسليم لأمره..**

نظر المختار لها، وفكر شيطانه له بأن يهجم عليها ويضاجعها، فهى تنتظر حامد الصقر ابن عمها الذى هاجر من عشرين عاما إنها محرومة ولم لا أضاجعها؟ هى لوحدها فى البيت. هما الاثنان وثالثهما الشيطان.. أصبحت شفتاه لونهما أحمر.. طلت عيون ذئب جائع فى عيون المختار.. نظرت شهرزاد، وجدتهما صارتا حمراوين.. فهمت.. قالت وقد أمسكت عصا غليظة لها رأس غليظ :

- اسمع يا مختار.. بنت أختى نائمة فى الداخل فى حجرة النوم.. إياك أن تتهور، وتسول لك نفسك بحركة غبية.. لا تجعلنى أندم أنى فتحت باب البيت لك، وستندم لأنك جئت دون سابق إنذار.. سأضربك ضربة قاتلة بهذه العصا.. يا ابن مورة
- هوووش اسكتى أنا سأخرج.. كيف عرفتِ اسم أمى مورة.. يا مرة؟

خرج مهزوماً.. أغلقت الباب خلفه.. خرجت سهر من حجرة النوم، وانفجرت ضحكات شهرزاد هى وسهر.. قالت شهرزاد:

- يا سهر.. لازم يكون فى يديك عصا للرجال الكلاب هادول مثل هالكلب.. اللى يطمعوا فى كل امرأة.

ضحكت سهر:

- احكِى لى يا خالتى شهرزاد
- كان يا ما كان في سالف العصر والأوان...

أتسمحين لى بدقيقة واحدة لأرسل لك سحابة؟
ودقيقة واحدة حتى أتنبأ بقمر الفرح القادم .. دقيقة واحدة
أقبلك قبل أن تغادرين دقيقة واحدة أعيش فيها حرا من
هواك ولا أعود أسيرا دقيقة واحدة حتى أتنفس فجرا و
أمسح أسماء كل النساء وأوحد أسماءهن باسمك ماذا أطلب
مجرد دقيقة واحدة.

فتحى رضوان خليل.. (حبيب سهر بعد قليل)..
إذا مر الزمان على بابكم سلوه أين حقائب أحلامى التى أخذها؟.. وأن يشترى حذاءً لكل الحفاة فى مصر والبلاد العربية..

* * *

الوقت مجنون.. وأنا أعشق النساء والوطن مفتون.. قلت لأمى:
لا أفهم حتى الآن لماذا أحب النساء كل هذا الحب؟؟
قالت:
ربما فى اليوم الأربعين من مولدك ذهبت بك إلى حمام النساء كما قالت لى النسوة وأخذنا البخور والمغات والمشروبات.. والغريب أن كل النسوة كنَّ عرايا فى الحمَّام وحملنك من يد إلى يد احتفاءً بك وكنت تضحك.. يبدو أنك كنت فرحًا فى أحضانهن بين كل ثدى وثدى جمال ضائع وخفى كنت تروى عينيك به يا صغيرى.. وبين كل حضن أنثى وحضن أنثى سحر خفى.. ألقى إليك بسره..
فكنت المسحور والساحر والسحر، وكنت العاشق والمعشوق والعشق. وتعرف سر الغرام ونبضة جسد النساء.. وعرفت حين كبرت أنى رجل بسيط مثل اللون الأبيض، ووقور مثل اللون الأسود، ومتفائل مثل البنفسج؟؟ أحب الألوان والرسم، لكنى كنت فاشلا فى الرسم والألوان وداخلى تسكن الألون؛ ولذلك كنت دومًا كلما شاهدت معرضًا للفن التشكيلى سعيت إليه وأكتب عنه رأيي وانطباعاتى.. وأعرف أن عشقى للألوان هو جزء من عشقى للنساء.. وأعرف يا هوايا أن فى قلبك شجرة ياسمين لى.. وألوان كثيرة.. وأن روحك مجروحة من زهر

البنفسج.. سأقبل جبينك حين ألقاك وسأهديك النيل لأن الوطن مجنون بحب العبودية المختارة.

ما أنا إلا ..؟

(رجل بسيط مثل اللون الأبيض وحزين مثل البنفسج ووقور مثل اللون الأسود أنا رجل بسيط أحب كل البشر رغم شرهم وكنت أتمنى أن أكون ملاكا حتى لا ألوث قدمى بتراب الأرض... بى وجد لا أعرف لماذا ؟ وبى حالة تجاه المعرفة والحكمة ..إنى أحتاج أن أصرخ وكيف أصرخ ووطنى لايسمع وأغلبهم للحق كارهون .. آه ياوطنا يقدر إصابة الحمار بأربعمائة جنيها والإنسان بمائة)

فتحى رضوان خليل

تهانى اختارها فتحى لتكون شريكته فى الحياة وأن تصبح زوجته قال لها: لو تزوجتك حبوسك طول اليوم. وأكتب وأعضك.. وأكتب وأضاجعك.. وأكتب وأشرب قهوتك وأكتبك.. أنت والكتابة صنوان عشق وجمال.. سأكتب على جسدك وأنت عارية أنتِ كتابة من نوعٍ آخر لا يعرفها إلا العارفون.. أنت تغريد النساء ولى عيد.. قال محمود درويش "وأكتب عنك بلادا ويحتلها الآخرون. وأرسم فيك جوادا. ويسرقه الآخرون. وأكتب أرسم.. وأجعل ذراعيك فاتحة الحزن والزهر. وأعود إلى الأرض.. وأصاهر في كفّك الحجر".

قرر فتحى أن يترك معجباته وقلوبهن المحطمة على أرصفة الذكريات، فوق صخور رصيف كورنيش الإسكندرية. أنا البسيط والفقير والمستجير وأنا السائل للمعرفة والتفسير ولى فى العشق معاصى والعشق ابتلاء ولى فى الرقى طاعة ولى فى القرآن صفحات وآيات بكاء ولى كذلك فى التوراة والإنجيل ولى فى الأولياء.. وأنا صفر فى الملكوت علمنى ربى وحمانى من جهل الجهلاء أليس الله نورًا وعلمًا ورحمًة دون حدود..

- **ومصر**
- **قال الشيخ الوهرانى فى الدولة المصرية، هى عجوز محتالة، وطفلة مختالة، وروضة زاهرة، وامرأة عاهرة، ولدت فى السعود، ونشأت بين الطبل والعود، حتى إذا هرمت سعودها، وذوى فى الترب عودها، رميت بالرواعد، فأتى الله بنيانهم من القواعد:**

وإن الجرح ينفر بعد الحين   إذا كان البناء على فساد

قال: وكيف انقلع أسُّها، وكانت أبعد من السُّهى، وفيها جنود وأبطال وغيمُ أصحابها بالجود هطال، يعطون الجزيل ويكرمون النَّزيل، وفى مثلهم يقول الشاعر:

جمال ذى الأرض كانوا فى الحياة وهم
بعد الممات جمال الكتب والسير

فقلت: إنه لما أحان الله حينهم وأظهر شينهم، ألقى بأسهم بينهم، فضرب زيد عَمْراً، وقتل خالد بكراً، وكسر قراب السيف، وأعملوه فى الشتاء والصيف، حتى انتهى فسادهم وفنيت آسادهم، فقصرت حبال الدولة عن ربطها، وضعفت رجالها عن ضبطها، فبقيت كالجارية الحسناء التى أبرزها الحجال، وأسلمتها الرجال، لا تمتنع عن عانس ولا ترد يداً من لامس، فتغاير عليها الجيران، وطرح عندها الجران، وسبق إليها رجال الفرنج فصيروها كرقعة الشطرنج يجسون خلالها ويتفيئون ظلالها، ويأكلون حرامها وحلالها، فأنف من ذلك ذوو الأحلام، وغضب لها ملوك الإسلام، فانتدب لها من بنى شادى الأسد الهصور(أسد الدين شيركوه) والملك المنصور(صلاح الدين الأيوبى)، فرماها بهمته وقصدها برمته، فاستعانوا عليه بالأسود والأحمر والملوك من بنى الأصفر، فهتك حجالهم وقتل رجالهم، ورحل عن بلادهم وقد قدح الرعب فى أكبادهم، ولم يزل يزروهم بين الطارق والمنتاب والساكن والمرتاب، حتى طواها كطى السجل للكتاب. فلما انتهى إلى كماله، وبلغ النهاية من آماله، انتقل إلى ربه، وفاز بالرضوان من

قريه، وأجمع الناس بعد موته، على تخليدها فى أهل بيته لما يعلمون من رياستهم وحسن سياستهم، وما يجدون من سماحهم وطول رماحهم. فاتفق عظماء المحل، وأرباب العقد والحل، بعد النظر فى الأواصر والاختبار فى العناصر، على تقليدها لابن أخيه الملك الناصر، لما جُبل عليه من جميل الأوصاف، وإيثار العدل والإنصاف. (منامات الوهرانى ومقاماته ورسائله – للشيخ ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهرانى المتوفى سنة ١٥٧٥ ميلادية – منشورات الجمل – تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نغش – منشورات الجمل الطبعة الأولى – كولونيا – ألمانيا)

قالت تهانى:

- من أنت يا فتحى؟
- أنا البسيط ولى فى التوحيد عقيدة ولى حسنة إذا بدل ربى بمشيئته كل ذنوبى حسنات.. يا تهانى غيابك عن عيونى طال ولكن كنت أراك فى كل الأحوال.. وفى أعلام الثوار.. وفى حروف الأشعار وفى زهور الميادين وفى صمت اليوم الذى بدونك أشبه بعمر وزمن طويل طويل طولاً.. وأنت لا تسمعين إلا صمتى.. اعملوا ما شئتم فإنا للحق سند وكبرياء والله هو الحق والعدل والحق ليس فى الأرض بل فى السماء تمر الأيام حريق بطئ واحتكاكى بالناس قليل وصراخى فى أضلعى هل تسمعين؟
- أنت تكتب كثيراً.. وتقرأ كثيراً.. لابد أن تتوقف عن الكتابة..
- هل يستطيع رجل أن يتوقف عن التنفس؟ معناه إيقاف الحياة..

أما حكاية أنا بكتب كثير.. ابن حزم ألف ٤٠٠ مؤلف فى أكثر من ثمانين ألف ورقة..

- من هو ابن حزم؟ من حرقوا كتبه أمام عينيه..؟ واتهموه بالكفر والعصيان.. وتركوا له كتاباً واحداً.. هو طوق الحمامة.
- إنه علي بن حزم الأندلسي الإمام البحر، ذو الفنون والمعارف، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الأندلسي القرطبي اليزيدي مولى الأمير.. كان ابن حزم قد خرج من وسط أسرة عرفت الإسلام منذ جده الأعلى يزيد بن أبى سفيان، وكان خلف أول من دخل الأندلس من أسرته في صحبة الأمير عبد الرحمن الداخل وكان مقامه في لبلة، ومن ذلك نعرف أن مقر هذه الأسرة كانت الشام بعد مشاركة يزيد أصل هذه الأسرة في الفتوحات الإسلامية بها، ولما خرج عبد الرحمن إلى الأندلس خرج معه خلف بن معدان.. وقد بدأت هذه الأسرة تحتل مكانها الرفيع كواحدة من كرائم العائلات بالأندلس في عهد الحكم المستنصر، ونجحت في امتلاك قرية بأسرها هي منت ليشم، ولا يعلم هل خلف بن معدان هو الذي تملكها أم أبناؤه من بعده، ولعل ذلك يحيلنا إلى مدى ذكاء هذه الأسرة الذي انعكس بدوره على أحمد بن سعيد وولده ابن حزم من بعده. أما عن أبنائه الذكور فنعرف منهم أربعة وهم: أبو رافع الفضل، وأبو أسامة يعقوب، وأبو سليمان المصعب، وسعيد، وكانوا كلهم ظاهري المذهب. سكن هو وأبوه قرطبة ونالا فِيهَا جاهاً

عريضاً. أصبح أبوه أحمد بن حزم من وزراء الحاجب المنصور بن أبي عامر من أعظم حكام الأندلس، فارتاح باله من كد العيش والسعي وعندما دعا إلى التفكير التجريبى واستخدام العقل وطلب من المسلم أن يجرب ويصل إلى الله بعقله أولا.. وقال إن خلف كل بحر بحر وليس هناك بحر الظلمات ولا الشيطان.. وكانت أفكاره سببًا فى رحلات الاكتشاف للغرب فى اكتشاف أمريكا الشمالية والجنوبية، ودفع ثمنًا غالياً أمام جهل المتعصبين من المتشددين السلفيين ..

– يعنى أنت كرهت مصر.. ؟

سأترك الإسكندرية المدينة البليدة الخاملة التى لا يتخطى أحلام مبدعيها محطة قطار سيدى جابر.. (سيدى جابر رجل من أولياء الله الصالحين.. مغربى الأصل مر أثناء الحج وعشق الإسكندرية فجلس فيها ساكنا..) وحدى فى غرفتى، فى وحدتى، أنا والليل والقمر والحزن، وأنت اختفاء، لا ثدى نساء هنا، حتى لو كان ثديا مؤنثًا من حجر، جسدى عاشق، والحرف احتراق، وحب محموم، واحتراق ينام معى فى غرفتى.. كلمات وذكريات ألف أنثى أحببتها، وأحبتنى بجنون، لو تجئ واحدة الآن، لوقعت على جسدها وصايا الأنبياء والأولياء، وابن الرومى، ورسمت على ثديها قوساً وهلالاً، لو تجئ لى أى أنثى الآن، سأسهر معها حتى الصباح، وأنام على صدرها، وأرتاح وأكتب ألف ليلة من جديد، ولن أستهتر بها لأن الأنثى فى حياتى عيد.

السكون فى الإسكندرية مثل الملح ضرورة.. الإسكندرية مدينة

مستباحة صيفًا باسم السياحة فتنتشر الإباحية، وهى فى حالة احتجاج على شكل استسلام، أو عصيان على الحياة، منذ أن انتزع عمرو بن العاص تاج العاصمة منها ووضعه على رأس مدينة الفسطاط لتكون العاصمة.. قالوا إن المصريين منذ بدء الخليقة كانوا قبائل غجر هندية وإيرانية وخرج منها هذا الخليط، ولكن المصريين أحبهم الله حباً خاصاً؛ ذكر القرآن مصر خمس مرات، وذكرتها التوراة ٢٨ مرة، أحبها الله كثيراً.. وقام المسلمون فى مصر بتطوير مفهوم الدولة الإسلامية، فعملوا وقفا للموسيقى التى تعزف لمرضى المرستانات (المستشفيات).. وعملوا وقفاً للحليب للمرأة التى جف حليبها، ووقف الأطباق لمن يكسر أطباقاً فى عمله ليشترى أطباقاً، ووقف المكتبات، ووقف التكايا للطعام.. وعاشوا تاريخهم فى العبودية سبعة آلاف سنة أو ثلاثة آلاف تحت يد طغاة.. لا يهم كيف أمكن لهذا العدد من الناس من البلدان ومن المدن، ومن الأمم أن يحتملوا أحيانًا طاغية واحداً لا يملك من السلطان إلا ما أعطوه ولا من القدرة علي الأذى إلا بقدر احتمالهم الأذى منه ولا كان يستطيع إنزال الشر بهم لولا إيثارهم الصبر عليه بدل مواجهته. إنه لأمر جلل.. هذا ما كان يقوله اتين لابوسيه القاضى والمفكر الفرنسى وأنا قررت أن أهرب من مصر ومن السادات الفرعون الجديد.. أهرب من الفسطاط.

الفسطاط مدينة انتشر فيها الإسلام على مدى مائتي عامًا وليس بالقوة.. والدليل على ذلك أن عدد المسيحيين فى مصر فى فترة الحكم الفاطمى كان أكثر عددًا من المسلمين، مما اضطر المسلمين إلى بناء

مساجد بوفرة لمواجهة عدد الكنائس.. صراع البناء على المساجد والكنائس بين المصريين أمر غريب.. يهدأ قليلا ثم يعود كأنه كائن شرير يسكن روح المصريين لا يموت، ولكن يستكين سنينًا فى بعض الأحيان، ثم يتجلى وينشط حين يزداد ظلم الحكام، فيلتفت المصريون إلى بعضهم لاختلاق صراع دينى وهمى؛ وذلك لخوف المصريين من مواجهة الفرعون، أو الخليفة، أو الوالى أو الملك أو الرئيس أو أأى حاكم.. سواء كان عظيماً أو تيساً.. من له بأن يجز هذا الرأس فهو يتعبنى.. هكذا أشعر وهذا ما قاله السهروردى الفليسوف المصرى العظيم.. قال (إن المصريين يؤمنون بالله بطريقتهم الخاصة).. ولم يتركوا أى ديانة نهائيا؛ فالمسيحيون يحبون الاحتفال بشهر رمضان الإسلامى، ويحتفل المسيحيون والمسلمون بعيد شم النسيم العيد الفرعونى.. والسنّة فى مصر يحبون الاحتفال بعاشوراء، وهو احتفال شيعى ولم يتخلوا عن كونهم كانوا شيعة مائتى عامٍ منذ أيام الفاطميين، كما أنهم يقومون بموائد الرحمن تلك الطريقة التى كانوا يستخدمونها أيام كانوا شيعة.. وهم أكثر شعوب الأرض تطرفًا فى الإسلام والمسيحية واليهودية؛ فالمسلم والمسيحى واليهودى المصرى إذا أصبح متطرفاً.. كان الأشد قسوة وضراوة من الإنسان الأول الجاهل المتعصب المتحزب

والمصريون أيضا هم من أكثر شعوب الأرض حبًا لله.. دائما تسمع فى الشارع: "قول يارب.. سيبها على الله.. ربك حيفرجها.. هو كريم.. وحد الله.."، وهم أكثر شعوب الأرض حبًا للموسيقى والموسيقيين.. نعم

هم أكثر شعوب الأرض حبا للموسيقى..

- أنت جيت يا فتحى؟

- نعم يا أمى.

- اتاخرت ليه؟

- كنت عند الحلاق.

- نعيمن..

خلعت ملابسى، أشعلت سيجارة بلمونت، وصوت احتفال فرح من بعيد، وأغانى عدوية "زحمة يا دنيا زحمة".. مددت جسدى المنهك فى مدينة الإسكندرية التى يأكلها الملح..

الفصل الثانى

أتشعرين بنبض قلبى وتفتحين شهوة روحى؟

(أتبتعدين بالجسد والروح عنى وأنت منى؟
ياقاسية كم لى فى العشق سيرة وأنت مسك النساء لى
وأنت الراقية..عرفت أن الحب مصرى الجنسية والهوى مذ
قامت إيزيس بجمع أشلاء أوزوريس فاجمعى أشلاء قلبى
من النساء بيديك الحانيتين)

شهرزاد.. جلست أمام باب الدار فى الغروب وأشعلت الحطب، ووضعت الماء فى الكنكة، وفجأة وجدت كاظم يقف أمامها.. اندهشت فى بادئ الأمر.. ابتسمت:

- **شو بك أستاذ شو أخبارك؟**
- **بدى أسألك ما هو الحب..؟ ليش بيعذبنا؟**
- **أحيانًا.. يظلمنا الحب.. وأحيانًا نظلم الحب وأحيانًا نظلمه ويظلمنا فى نفس الوقت، وأنت ظلمك الحب يا رجل.. والظلم قدر.. ومقدر ومكتوب وابتلاء..**

يود أن يبكى أمامها وأن يسألها عن سهر عن قلبه الملتاع.. عن مخرج من سجن قلبه فى عشق سهر.. عن عذاباته ودقات قلبه التى تنسكب كل لحظة بحب سهر.. عن خفايا الروح التى تدور بنا فى أفلاك وسماوات، ومتاهات.. ننسى فيها تفاصيل اليوم والحياة ويصير تاريخ الحياة تاريخ العاشق.. متى التفت؟ ومتى همس؟ ومتى قام؟ ونام وقام وارتعش وعاش.. ود أن يسألها مساعدته فى عشق سهر..؟.. لم يقدر.. لم يقدر..

قام وتركها وترك باب الدار مفتوحة ونزل من فوق التل.. فى القلب يا شهرزاد وجع يمتد من المحيط إلى المحيط ومن البحر إلى النهر ومن

اليابس إلى الماء.. ومن الذات إلى الفناء فى الطبيعة والمطلق.. تعرف شهرزاد ما وراء الحروف من ألم وشكوى ونجوى وهذيان وسحر الهوى.. صاحت شهرزاد وهى تلاحقه وهو ينزل من التل:

- أرسل مع العصافير دقات قلبك لمن تحب. إن العصافير والحمام رسل لقلوبنا.

أشار بيديه ملوحًا وهو يهبط.. هل كدت أن أدمر مستقبلى وأفسد حاضرى وأقول لشهرزاد إنى أحب وأذوب فى سهر وإنى لست من الموحدين وأنى من العلويين.. ربما تسخر منى، وبعدها سيسخر الناس.. سيقولون الأستاذ كاظم المعلم قد جن ويحب تلميذته.. وهو ليس من ملتنا حينئذ، لن أعيش فى سلام وسوف أفسد الحاضر بمللة وسأترك القرية.. ولن أرى سهر بعدها ..

كان هذا يوم جمعة، وهو يوم عادة ما يزور الأصدقاء والأهل بعضهم.. خاصة هو يوم عطلة.. جاءت سهر إلى شهرزاد كالعادة.. ولكن هذه المرة وجدت عقب سيجارة مختلفة فى مطفأة السجائر.. وشكت سهر وحكت لها عن أخيها وأبيها.. الذى يرغب فى زواج الابن الأكبر، سيكون هدية من السماء لأنه سيكف عن مطاردة النساء.. إلى أى مدى نستطيع كبح جماح شهوتنا وجنوننا وحياتنا لا نعرف متى تبدأ أو تنتهى؟.. إن الأولاد يشعرون بالعبودية أثناء وجودهم فى بيت أبيهم وأمهم.. ولذلك عادة عندما يتزوجون يفرون ولا يعودون للسجن مرة أخرى إلا فى الزيارات الضرورية. الآباء والأمهات هم الشهداء على مر العصور.. وضحايا جحود ونكران الأبناء..

أمر الحب ونسانى ؟
{و أنا أنتظره ويغيب عنى فمتى ألقاه وألقانى؟}

بينما شهرزاد جالسة تحكي، سكتت فجأة على صوت صراخ ودق على الباب.. كان صوت صراخ امرأة خارج الدار:

- يا شهرزاد.. تعال الحقينا.. نادية بنت أبو قاسم بتولد.. وزوجها مو هون ولا أهلها كلهم فى لبنان.

- حاضر..

قامت شهرزاد مسرعة ووضعت طرحة وشال وجرت، وقالت وهى تلهث:

- اقفلى باب الدار وأنت ماشية يا سهر.

قامت سهر.. أغلقت الدار بعد خروجها.. سارت إلى البيت يتبعها العصفور العاشق لعطرها، والذى كان واقفًا ينتظرها على غصن شجرة أمام دار شهرزاد..

شهرزاد تولِّد النساء عند اللزوم وتعالجهن عند اللزوم وتزين بعضهن، وتدلك أكتاف النساء وصدورهن عندما تشكين من الألم الخفى.. وجع الروح حين يتحول إلى ألم جسدى.. خرجت سهر إلى بيتها لم تشبع من الحكاية لكن غدًا ستسمع..

الفصل الثالث
"أَفَلا تَذَكَّرُونَ"

الليل والوحدة وشهرزاد، والبرد والجبل.. كيف تكون النساء.. شهرزاد بلا رجل بلا ابن بلا أهل؛ ماتوا أو سافروا، حتى حبيبها حامد الصقر سافر، وقال البعض مات فى البحر والبعض قال مازال حيًا.. الغربة اللعينة، والوحدة ونميمة النساء فى كل صباح ومساء إذا ذكر اسم شهرزاد.. يا ويلنا من الوحدة..

ترى ماذا تقول الوردة فى المساء فى غرفة النوم لشهرزاد حين تضعها على الوسادة التى تجاورها؟..

أحيانا تسمع صوت دقات مرتعشة على بابها ربما كانت من المختار الحقير "زير النساء"، ربما من رجل حقير سولت له نفسه أنها تحتاج إلى رجل فى هذا المساء البارد.. هى لا تفتح الباب فى المساء إلا إذا سمعت صراخ امرأة بها تستغيث.. لكنها الليلة سمعت بكاء رجل على بابها ترى من يكون؟ وماذا يريد؟ أهو قاتل؟ أم مقتول؟.. سيان.. فى قرية يغيب فيها العدل القاتل والمقتول يتساويان.. ربما هو جنى؟ ربما هو ملاك اقترف ذنبًا وهرب من السماء. ربما رجل غريب من مدينة شهبا او صلخد به وجع.

"لن أفتح الباب.. هناك من يفتح باب داره فيلقى الجحيم، ومن يفتح باب قلبه لغريب فيلقى العذاب أشكالًا وألوانا. ربما رجل جاء من عرمان أوتعلا"

ازداد بكاء وتشنج صوت الرجل خلف الباب..

"لن أفتح الباب.. ربما هو صوت القمر نزل ليطمئن على ويشكو لى من النساء"

ربما هو الجبل جاء على هيئة رجل ليزورها؟

" لن أفتح الباب.. أيها الخوف الكامن فى أعماقى لن أجعلك تتمكن منى.. إنه الخوف يهزم النساء العازبات فى المساء بلا خجل.. عرفت الآن أنه صوت هزيمة أحلامى المؤجلة.. لن أفتح الباب"

شدت الغطاء على وجهها حتى أخفت الرأس.. لم ترد ولم تفتح الباب حتى الصباح.

* * *

كاظم يجلس يشاهد فيلم "الوسادة الخالية" فى البيت، هى المرة المائة للمشاهدة، وكأنه أول مرة يشاهده، وعبد الحليم حافظ ولبنى عبد العزيز.. قال له أحد الزملاء فى الصباح كثرت الأقاويل حولك.. يقولون إنك صرت لا تهتم إلا بفصل واحد للبنات، والباقى كأنهم أموات.. لم يرد عليه، ولم يعره اهتمامًا..

"الغيرة والحسد دائما يلاحقان الواحد منا. إن العمل والكسل سيان. الإتقان والإهمال سيان. والموت والحياة سيان. والفرح والحزن سيان. تساوت كل أشياء العالم أمامى".

تذكر كاظم حين سأل الطالبات فى الفصل: كل واحدة منكن تحكى لى من هو فارس أحلامها؟؟ يومها أجابت وردة مدرس عربى.. ضحكت البنات، أما سهر أجابت فارس أحلامى أحب أن يكون طيارًا.. سألها كاظم لماذا؟ أجابت:

– بدى أشوف العالم أستاذ وبدى يفسحنى كل سنة فى بلد.

عرف لحظتها أنه ليس طيارًا ولم يركب طائرة ولا مرة فى حياته حتى

الآن..

الثلج يغطى الجبل المطل على قريتنا فى الشتاء.. قريتنا مكان أم حزن أم سر الأنبياء.. كانت تنتابنى حالات مزاجية مفاجئة فأنا رجل متقلب المزاج.. أحياناً أشعر أننى نبى أو أننى زعيم أو حيوان اجتماعى سياسى برى يبحث عن غزالة برية ومهرة النور.. أقاوم تلك المشاعر العنيفة.. ريح الحب والعشق لسهر تدفعنى أن أدق بابها.. أتجنب هذه الفكرة ألف مرة.. كل الجبال تعرف أنى أحبها، حتى جبال الشام تعرف ذلك، لكنهم يتجاهلون..

هدفى الحصول عليها، تمنيت أن آخذها إلى بلاد بعيدة. أنا رجل غامض وأشعر أحيانًا أنى بسيط إلى حد التفاهة. ماذا لو خبطت عليها الباب، وسألتها أن أمارس معها الحب، لكن ترى من سيفتح الباب أبوها أم أخوها أم أمها؟؟ كنت أتمنى أن أجدها ضعيفة فى الإملاء.. بعض المدرسين يحاولون أن يضطهدوا الطالبات.. كنت أحدد قطعة الإملاء التى سأمليها عليهن..

قلبى يتورم فى كل يوم وأنا أنظر إليها وهى تختال بشعرها، وصدرها النافر فى بلوزة المدرسة يفتك بقلبى.. ما هو الحب؟.. كم ساعة أتقلب فى الفراش يميناً ويساراً.. كم مرت على الساعات والأيام والأسابيع والشهور، وأنا أفكر فيها.. سيأتى شهر مايو، وتمتحن وتسافر هى إلى أبى ظبى وأظل أنا وحيداً سجينا مع وردة.. هنا فى الجبل

دق باب الدار، فتح كاظم الباب دخل راغب بغلاسته المعتادة، وهو

يحمل زوادة طعام أرسلها المختار لابنته وردة وزوجها كاظم، قال راغب وهو ينظر للتلفزيون، شاهد فيلما يعرض لعبد الحليم حافظ:

- عبد الحليم حافظ مات.. شوفوا لنا فيلم جديد.

قالت وردة:

- كاظم بيحب عبد الحليم حافظ، وفيلم الوسادة الخالية.
- آه.. وأنا عم بحبه بس بحب عمرو دياب ومحمد فؤاد أكثر ومحمد منير.

لم يرد كاظم..

- أمى بتقولك هى بعتت لك لحم طازة.. بتقولك اطبخيها بسرعة عشان تستطعمى به أنت وزوجك..
- ما بدى أطبخ اليوم.. عندى طبخ.

صاح كاظم:

- قوم اطبخ أنت راغب، وعشينا..
- لا أنا حمشى ورايا موعد على القهوة..

خرج راغب من البيت، وقابله فى الطريق أبو الريش، ارتعد أبو الريش.. نظر له راغب..

- ولد.
- نعم سيدى .
- تعال ولد.
- أأمرنى سيدى.
- معاك حشيش؟

- ايش بتقول سيدى.
- حشيش بدى أشرب سيجارتين حشيش.
- أأمرنى سيدى إدينى مصارى أروح أشترى لك وأجى لك على القهوة..
- بسرعة.
- هواااااااااء..

جرى أبو الريش؛ لقد رضى عنه راغب ابن المختار ونسى ما كان.. الحشيش يجمع الأمير مع الخفير.. الثرى مع الفقير.. الحشيش هو الوطن السفلى للضائعين.. عالم الحرافيش والمهمشين والسفلة.. متسع وضيق لا يعرف اتساعه إلا من ملك كلمة السر.. حشيش.. وبينما يجرى أبو الريش متجهًا إلى الجبل عند تجار الحشيش وجد أمامه شداد، تاجر التفاح والزيتون، وسيارته الفارهة؛ فصرخ فيه شداد:

- وين رايح يا ولد؟
- سيدى وسيد الناس. تعال ادخل السيارة بدى احكى لى شو صار فى البلد من ساعة ما غبت عنها.
- بخير الحمد لله.
- كيف بخير؟
- قصدى مو بخير زفت.. إنت سيد الناس، وتعرف كل شىء أحسن منى.
- مين عم بيشترى التفاح والزيتون؟ بعدما تركت لهم المحصول.

- كتير والله..
- زى مين؟
- ما بعرف.
- لازم تعرف أسامى التجار..
- حاضر بس اتركنى أروح.
- وين رايح دلوقت؟
- أجيب غرض لراغب.
- ما تجيب شئ أنا معايا اللى بده إياه.. اركب معايا السيارة..

ركب معه السيارة، وذهب معه ليدله على المقهى التى يجلس عليها راغب.. فوجئ راغب بظهور شداد بعد امتناعه عن شراء الزيتون والتفاح منذ فترة واشتكى الناس من الكساد، لكن كل واحد من الناس تصرف بطريقته، والله ستر، وجاء بعض تجار صغار وكانت فرصة للبيع بسعر أعلى أحيانًا..

جلس شداد وراغب، وفرش الأرض لهم أبو الريش جلسة الحشيش والضحك والنكات.. كان شداد قد عود راغب على شرب الحشيش لأنه من لوازم الرجولة، وفوجئ راغب بأن شداد يخبره بأن سهر مازالت معلقة فى ذهنه، وأنه يود الحصول عليها بأى شكل حتى ولو ساعة واحدة، بأى مبلغ وبأى طريقة.. قال راغب مازحًا:

- يا ليت.. أنت خدها ساعة وأنا ساعة والا أقولك أنت يوم وأنا يوم.. وألا أنت أسبوع وأنا أسبوع.. البنت حلوة.. قشطة.. عسل.. تتلحس لحس.

- هههههههههههههههههههه
- لا أنا لوحدى.
- فى الأحلام يا سيد الناس.

الحشيش فرح وبلاء، هم وقضاء، الحشيش يسلب العقل فتحلق الروح بعيداً فى الأثير.

قال شداد:

- تخيل يا راغب أن سهر عم ترقص الآن طبل لها يا ولد على الطاولة .

وأبو الريش يصفق

أبو الريش خادم الاغنياء، عدو الفقراء والأغبياء، ليس هناك أى مانع أن يقف ويرقص مقابل عشرين ليرة، ويتخيل الاثنان أنها سهر وينادون عليه:

- ادلعى يا سهر..

قام راغب يطبل والمعلم يصفق وأبو الريش يرقص. أخرج شداد من شنطة السيارة كيسا به ملابس نسائية، وارتدى أبو الريش ملابس نسائي حتى يضحك شداد مقابل مائة ليرة أخرى.

همس شداد فى أذن راغب برغبته فى عودة الميثاء إلى الجبل، وأنها أخطأت وتابت وأنابت، وقال سورة من القرآن:

{ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ....}...

....

....

كانت سهر فى احتفال سبوع نادية بعد ولادتها.. ذهبت سهر مع أمها إلى بيت نادية بنت الحاج قاسم وهناك التقت بشهرزاد (رب صدفة خير من ميعاد).. اقتربت منها، واختلت بها بعد الاحتفال وقالت لها:

- خبرينى خالتى شو صار في الحكاية.؟
- ها الحكاية طويلة يا قلبى.. مو هون..
- والله احكى شوى شوى صغيرين يا خالتى.. شو صار بعدما وقع الحبيب فى العشق والعشق ماله كبير..
- كيف ماله كبير يا سهر؟ قصة حب بتجنن
- الحب يسهرنا.. يعذبنا ويفرحنا ويؤلمنا.. الحب يعذبنا بقوة.. ويفرحنا بجنون..
- شو صار مع أخوك سالم؟
- النسوان يتشاجرون من أجله .
- أخوى سالم؟

لم تكن تدرى أن سالم احترف إقامة العلاقات مع النساء المتزوجات.. اللائى هاجر أزواجهن من القرية بحثاً عن المال فى الخليج وأوربا وفنزويلا.. الرجال يهربون بحثًا عن المال وينسون أن النساء تبحثن فى الليالى عن حضن رجل دافئ، أى رجل مهما كان خفيرًا أو حمالاً أو عابر سبيل؟.. البرد والرغبة والشهوة كافرة عمياء هوجاء ليس لها عين ولا أنف ولا عقل، ولا استحياء.. هو يلمح فى

عيون النساء المحرومات من العشق، الرغبة؛ فيرسل إشارته فى الحال، وعندما قالت بعض النسوة إن سالم جيد الأداء فى الفراش، طارت سمعته بين النساء، وبالطبع النساء كلهن كتاب مفتوح أمام شهرزاد التى يتناثر الكلام من أسنانها الذهب وعينيها الزرقاوين وأحياناً الخضروايْن..

اعترفت لشهرزاد بعض النسوة من وراء بعضهن أنها تحب سالم لأنه وسيم وقوى العضلات وشاطر فى السرير، وتردن الطلاق والزواج منه..

- أنت شو بتقولى يا خالتى؟
- أخوك لازم تاخديه معاك الإمارات.. أحسن لو طول هون بيتقتل من أى راجل مرته حامل أو شئ.
- شو بتقولى خالتى.. أنتى عارفه شئ ومخبيتيه عنى يا خالتى؟؟
- بدك تعرفى.. أقولك.. أخوك محبل اتنين نسوان وبدهم يتخلصوا من الحمل ومحتاسين..
- شو بتقولى يا خالتى؟؟ يا ويلى يا ويلى يا ولى ى ى ى ى

ارتبكت شهرزاد حينما ولولت سهر وأخذت تلطم خديها.. قالت شهرزاد:

- وطى حسك إحنا فى سبوع.
- وبعدين.
- أنا ارسلت كل واحدة من الحوامل فى سكة وعنوان.. من شان ما يشوفوا بعض.. اتستر عليهن.. وربى هو الستار على النسوان..

صمتت سهر..

- **أقولك شو اللى صار مع المحبين؟**
- **وأخوى..**
- **أنا بعت لأخوك يقابلنى من شان أكلمه.. ما تكلميه أنت..**
- **حاضر.**
- **مين النسوان دول.؟**

لا تقل شهرزاد أسماء من يشكو ومن يبوح ومن ينوح.

- **هن سافلات... نسوان سفلة..**
- **الله أعلم.. لا تظلميهن لأنهن من السيدات أولاد الناس.**
- **يا ويلى . أحك لى يا خالتى.**
- **غدا تعال لى نحكى سوا..**

لم تنم ليلتها سهر.. كيف تسكت.. ولكن ظلت كلمة شهرزاد فى أذنها: "الراجل ما بيسأل نفسه أبداً الست تتحمل قد إيه غياب الراجل عنها فى الفراش؟"

وتعمل إيه؟ وإزاى تشفى وجع الروح وسخونة الجسد؟؟ ومن يسيطر على من الجسد أم الروح؟ ومن يسيطر على الروح؟

آه... آه... آه...

فى الصباح راحت سهر إلى المدرسة.. وجدت فى درج الفصل خطابًا آخر كله شوق وحب وحنان، خط آخر، ليس بنفس الخط السابق: "ياسهر أنا لا أنام الليل وأتحسسك فى المنام.. أنا لا أنام".. ترى أي مدرس كتب هذه الرسالة.. أى بنت أتت بها ربما أخو بنت..

ربما قريبها.. ربما يكون شخصاً آخر، ومثلت سهر أنها متعبة وطلبت بإذن خروج، لكنها فوجئت بأن الناظر مدير المدرسة يطلبها فى مكتبه.. راحت إلى مكتبه، وجدته مشغولاً.. قال لها:

- اجلسى يا سهر..

جلست سهر.. حاول الناظر أن يخلي المكتب من المدرسين والطالبات، كأنه يريد عطرها يعبيء المكان، وعندما خلا المكان سألها:

- سلامتك.. سهر.. شو بك تحبى أبعت لك سيارة تيجى تاخدك من هون للبيت؟

قام واتجه نحوها.. فى عينيه دمعتان بهما وجع مراهق عجوز وقع فى نزوة ويقاوم حتى النخاع.. هبت سهر واقفة:

- لا .. ممكن أستاذ أروح البيت..
- ممكن

مد يده يصافحها، ولمسها، شعرت بالحرج الشديد، مدت أصابعها بسرعة وخطفتها، وفتحت باب المكتب بسرعة، وخرجت.. ارتبكت كثيراً، وقلقت، بينما جلس هو منهارًا على كرسى جميل بجوار باب مكتبه وأخرج منديله ومسح عرقه الذى تفصد من جبينه...

خرجت سهر بحجة الدورة الشهرية وذهبت إلى بيت شهرزاد.. رفضت شهرزاد أن تحكى لها عن سالم أخيها.. مع الإلحاح من سهر لمعرفة أسماء ضحايا أخيها من النساء..

قالت شهرزاد وهى تشرب القهوة :

- بلغنى يا أميرة القمر...

كان ظهور الميثاء فى القرية أشبه بعاصفة خفيفة كيف عادت ومتى جاءت بعد فعلتها الشنيعة وإبلاغها عن وردة تذهب إلى بيت الاستاذ كاظم الأعزب ، وكادت وردة تدفع حياتها من هذه الفتنة.. عندما أخبرت أسرتها أنها زارت كاظم فى المشفى فى دمشق أثناء مرضه؛ الناس تحب أخبار النميمة والشر بالسليقة، والمصريون والعرب بالذات يمارسون هذا باستمتاع وتلذذ.. الميثاء فتحت باب دارها.. وقبلها راحت وقبلت يد المختار أمام كل الناس واعتذرت وحملت التراب فوق رأسها، وطلبت العفو منه.. راحت الميثاء إلى سالم أخي سهر، وقالت له إنها تعرف عدد النساء اللائى لهن علاقة به، وأسماءهن.. ارتبك فى أول الأمر ثم ضحكت وساومته أن يزورها كلما احتاجت إليه ووعدته أنها ستستحم وتضع العطر الذى يحبه، وأنها لا تريد المال ولا الرشوة منه وأنها ستحصل على ساعة فى الفراش معه.. شداد عاد إلى البلاد ودعا سامى أخا سهر مرة أخرى إلى العمل معه، الناس تغمض عينيها أمام المال حتى ولو مس الشرف من قريب أو من بعيد..

راحت الميثاء إلى شهرزاد.. ودقت عليها الباب فتحت لها االباب شهرزاد وقالت لها:

- حمدا لله على السلامة يا ميثاء، والله عندى ضيوف وما أقدر أضيفك..

أغلقت الباب؛ لم يكن لديها ضيوف وغضبت الميثاء، وأسرت فى نفسها أن تنتقم منها وتدمرها، وهى تعلم أن شهرزاد طلبت مقابلة سالم. خافت الميثاء أن تساوم شهرزاد سالماً.. سالم ثور هائج فحل انطلق على نساء القرية ونساء الجبل فى الخفاء.. ليس كل الخفاء ستراً، وليس كل ستر خفاءً، وليست كل النساء بغايا، وليس كل البغايا نساء، والشرف معنى وليس جسداً..

لماذا لم تفكر شهرزاد فى عمل علاقة مع سالم أو أى رجل فى الجبل منذ زمن؟ لأنها هى المرأة التى عشقها آلاف الرجال منذ الصغر، وهى من قالوا عنها إنها جامعت ألف رجل، ربما نسيت أن لها عضو جهاز تناسلى، وأنها امرأة من دم ولحم مثل النساء.. هى تعيش كحلم وروح وحكايات.. وتحب حامد الصقر المهاجر من عشرين سنة

الفصل الرابع
فسر لى يا قلبى ؟

قال الكاهن المصرى خع خبر رع سنب عن مصر فى لوح موجود الآن بالمتحف البريطانى و هو من الأسرة الثامنة عشر منذ ٣ آلاف سنة قبل الميلاد (ليتنى كنت أعرف صيغا للكلام لايعلمها أحد وأمثالا غير معروفة أو حتى أحاديث جديدة لم تقل من قبل غير مكررة، إن العدالة فى مصر قد نبذت وأخذ الظلم مكانه وسط قاعة المحكمة وتعاليم الآلهة انتهكت حريتها وأهملت أنظمتها والبلاد صارت فى هم والحزن عم كل مكان وصارت المدن والأقاليم فى عويل وكل الناس صاروا على السواء يرزحون تحت عبء الظلم أما الاحترام بين الناس قد انتهى ..إن كل البلاد فى اضطراب عظيم .. فسر لى ياقلبى ماذا يحدث الآن على الأرض. إن المصائب تقع اليوم، ومصائب الغد لم تأت. ليس إنسان خاليا من الشر فلإن جميع الناس فى مصر على السواء يأتون بالشر والقلوب بالحزن مفعمة والناس على الشر يستيقظون كل صباح و قلوبهم لاتنبذه ولاتزال على مافعلته فى ذلك بالأمس فلا يوجد إنسان عاقل يدرك ولا إنسان يدفعه الغضب إلى الاحتجاج أو الكلام .. والناس تستيقظ فى الصباح كل يوم على ألم ..والرجل الفقير لاحول له ولا قوة لينجو ممن هو أشد منه قوة وإنه لمؤلم أن يستمر الإنسان ساكتا على الأشياء التى يسمعها .. ولكن المؤلم المؤلم أن الرجل الجاهل يجيبك: كل شيىء تمام)

فكر فتحى أن يرسل إلى العمة سعدة فى قرية الضهرية بحيرة عشرة جنيهات، ووضعها فى ظرف، ولفها بورقة بيضاء؛ لأنها لا تعرف توقع، ولا تعرف طريقة الحوالات، حيث يصل إليها البوسطجى. لكن سلمان ابن

عشيبة البوسطجى فتح الظرف وأخذ العشرة جنيهات.. هل تأثر ابن عشيبة بفيلم البوسطجى، حيث كان شكرى سرحان يفتح الرسائل.. أرسلت إلى عمتى مع أحد أقاربنا فى القرية.. هل وصلتك الفلوس.. قالت: أى فلوس؟.. عرفت العمة سعدة، خرجت إلى دار سلمان بن عشيبة ودقت الباب بعنف:

- افتح يا حرامى.. فين العشرة جنيه يا سلمان يا ابن عشيبة يا حرامى.

ارتبك سلمان.. تجمع الناس حول الدار، قالت العمة سعدة صارخة:

- يا ناس.. يا هوه.. يا شيخ البلد يا شيخ الخفر.. يا خلق هوه هـ هـ.. سلمان ابن عشيبة سرق جوابي وفيه عشرة جنيه (تساوى الآن ألف جنيه)

قال ابن عشيبة وهو خجل:

- فيه ايه يا خالة.. والله ما أنا فاهم حاجة.. عشرة جنيه إيه وجواب إيه..؟؟ اهدى بس بلاش صوات وفضايح.. فيه إيه؟

اجتمع كبار القرية الذين مروا بالصدفة وبينهم سيد أبو راضى.. تذكر سيد أبو راضى الجزار، أن سلمان بن عشيبة اشترى منه منذ أسبوع كيلو لحم وأعطاه عشرة جنيه صحيحة وجديدة.

قال سيد أبو راضى:

- يمكن يا خالة سعدة الجواب ما جاش من إسكندرية..

رد سلمان بسرعة مؤكدا:

- أيوة يا خاله... يمكن يجى بعد الضهر أو يجى بكرة ولا حاجة؟
- يا حرامى.. الجواب بقى له ١٥ يوم.. يا ناس يا هوه

همس الجميع.. خاف سلمان خاصة بعد همس له سيد أبو راضى:

- العشرة جنيه أنت أخذتها وأنا اللى فكتها لك لما أخدت كيلو لحمة منى من أسبوع..

فى الليل ذهب سلمان إلى الخالة سعدة وبكى بين يديها وطلب منها السماح، وأعطاها خمسة جنيهات، وطلب منها أن تقسط المبلغ كل شهر جنيها، وهمس لها:

- والنبى يا خالة قولى لفتحى بيه رضوان يجيب لى جزمة من عنده أحسن جزمتى اتقطعت..

فرحت أنها حصلت على الخمسة جنيهات، وقالت:

- حاضر حأقوله يجيب لك جزمة يا جزمة..

ضحك وقبل يدها ومشى.

قالت العمة سعدة لفتحى:

- ابقى هات لسلمان بن عشيبة الحرامى جزمة..

تذكر فتحى فى القرية وهو طفل صغير فى سن الثانية عشر حيث ذهب مع جده هناك واكتشف أن كل الأطفال حفاة والرجال والنساء وقلة فقط هى التى تنتعل الحذاء، وعرف فتحى حين كبر ما كتبه الشيخ يوسف الشربينى فى كتابه هز الكحوف حيث قال: (يجتمع أهل الريف حول العروس وينادى فيهم رجل فلفوس بيده مشعلة مش شرموط

هاتوا النقوط صاحب العروس بقى فى أمان هاتوا يا ناس يا جدعان فيعطيه الشخص منهم الدرهم والدرهمين والذى يرمى نصف أو نصفين وبعد هذا يقبلوا على العروس بوجوه كأنها وجوه التيوس، وينادى واقح والأشعر والاسم مشقور غزير فإن كانت مليحة فالواقع زرياً أو سمسم مقشور وإن كانت قبيحه قالوا شعير نبت فوق الجسور ثم إنهم يدخلونهما إلى الفرن أو البيت ويسرجون لهم بشئ من عكار الزيت ويفرشون لهم شيئاً من التبن أو القصل ويضعون لهم وسائد محشوة من قش البصل ويغلقون عليهم الباب ويدقون لهم بالحجارة على الأعتاب فإن أخذ وجهها (أى فض بكارتها) هموه وإلا جرسوه وتكوه، وقالوا له شرفت البلاد وهتكتنا بين العباد فعرسهم هتيكه وفرحهم مصيبة ووليمتهم الكشك والفول ونوع من البقول والأرز بالعسل يشبه الطين والأرز باللبن طعام المجانين

ويقول الشيخ الشربينى أيضاً فى كتابه هز القحوف فى شرح قصيدة أبي شادوف فى وصف أهل الريف فى مصر(صفحة ٥) عدم اكتراثهم بالصلاة والدين، إذ أن الواحد منهم لا يعرف غير الحزام والنبوت، والنقز والبنتوت، والساقية والفرقلة، وشيل الطين والجلة، والعياط والغارة، والطبلة والزمارة، والحدوة خلف قفاه ومزراقه وهزراده وحزامه الليف والتبن والشنيف وخلقته المشرمطة وصورته الملخبطة وطربوشه الدنس وزره الغلس وطرده للغازات والدواهى والبليات ومشيه حافى فى الحر والخلا وعياطه فى الظلام بالسعد أو بالحرام فتجتمع عليه اللموم ويقع منهم على البلاد الهجوم وهم سعد أو حرام ويخرج

إليهم الآخرون بالتمام فيقع بينهم الحرب والعناد وتخرب بسببهم البلاد وتقطع الطرق على العدو والصديق وترتب على ذلك المفاسد وتمنع عن بلادهم الفوائد وكل هذا من قلة عقلهم وكثرة جهلهم وسوء خلقهم وعدم اتفاقهم إذ كلهم فى الظاهر مسلمون والقتل عندهم مثل الديون وأيضًا عندهم قلة الوفا، وعدم الأنس والصفا، لا يؤدون القروض ولا يعرفون السنة من الفروض، إن عاملتهم أكلوك، وإن نصحتهم أبغضوك، وإن أقمت لهم الشرع رفضوك، وإن ألنت لهم الجانب مقتوك.. الرجل العالم عندهم حقير والرجل الظالم عندهم كبير.. أمورهم معاند.. وليس عندهم فؤاد.. عندهم قبض المال أعز من العم والخال.. سود الوجوه إذا رأوا معروفا أنكروه..

أهل الفلاحة لا تكرمهم أبدا ** فإن إكرامهم فى عقبه ندم
يبدو الصياح بلا ضرب ولا ألم ** سود الوجوه إذا لم يظلموا ظلموا

إذا أقاموا أفراحا لا تكون إلا بالعياط والصراخ والصياح وشدة الاضطراب، وربما وقع فيها البطح والضرب، وشاهدنا كثيرًا من أفراحهم وما يقع فيها من عدم نجاحهم، وستأتى كيفية أفراحهم وأعراسهم، وعدم ذوقهم مع ضيوفهم، وإذا حصل منهم الكرم بالاضطرار يكون العدس والبيساره أو الفول المدمس والبقول ولو مكث منهم مدة فى مصر أو دمياط لك يكتب من أهلها الطافة قيراط وبعض أكابرهم المشار إليهم بالبنان والمعول فى الأمور عليه إذا طلع مصر لمقابلة الأمير أو قضاء حاجة من الوزير ترى عليه لبس محبوب ومع ذلك يمشى حافى بلا مركوب.. لا يحترمون صغيرًا ولا يوقرون كبيرًا.. عوراتهم على

الغساقى مكشوفة وثيابهم بالنجاسة. ملحوقة. يجتمعون لحساب المال فى المساجد، وليس فيهم راكع ولا ساجد، وأولادهم دائما عريانين فى صورة المجانين.. الرحمة فيهم قليلة والرأفة متروكة ذليلة) (من صفحة ٥ إلى ٧ كتاب هز القحوف الشيخ يوسف الشربينى سنة ١٣٠٨ هجرية.. المطبعة الأميرية ببولاق مصر المحمية..)

ويقول أيضاً فى صفحة (٨) عن الأسماء: "(الأسماء) تدل على لطافة المسمى أو على كثافته، وفى كلام أهل العلم والتأديب كل أحد له من اسمه نصيب (واما كناهم) فأبو شعره وأبو معره وأبو عفره وأبو دعموم وأبو شادوف وأبو جاروف وأبو مشكاح وأبو رماح وأبو بطاح وأبو بقر وأبو مطر وأبو هودج وأبو خرق النورج وأبو ضلام وأبو شقوير وأبو قشقوش وأبو قسيم وأبوجريده وأبو طعيمه وأبو بليله وأبو زغلول وأبو سيسى وأبو جاهل وأبو قصاله وأبو زباله وأبو بعبوص وأبو نموص وأبو لبده وأبو غدّه وأبو زعيط وأبو معيط وأبو بريطع وأبو زعيزع وأبو تعيتع وأبو شعيشع وأبو صابر وأبو خناقر وأبو هبول وأبو هوير وأبو طرطر وأبو عوكل وأبو حوقل وأبو عسقول وأبو ذبابه وأبو زغابة وأبو طريف وأبو قدح وأبو عريش وأبو كريس وأبو فتيشه وأبو دشيشه وأبو قزق وأبو قلوط وأبو حجلاط وأبو جيص وأبو كانون وأبو مقلد وأبو جعباظ (ويلقبون) عمران القلبط وعمير اقرط وقبرى وفنديسه وشحيير وبعيببرر وعنطوز الباب وشلاطة محلاب ومحمد القلاب وكسبر التقلية ويربور الهبلة ولهاط الزبلة ومشالى الجلة ونحو ذلك كثير لا غاية له (ويجيبون السائل) بلفظة هاه وخيدوايس مالك واى

مالك وايهاه مما هو مشهور بينهم.

(وأما أسماء نسائهم) فمن معنى أسمائهم فيسمون زعره وبعره وهيطله وميكله وأخطيطه وحويطه ومعيكه ودعيكه ودكيكه وشباره وشراره وزراره وعلاره وعباره وشلبيايه وعطايه وعليوه وحليوه وخديه وبليه ولبده وغدّه وشمه ولمه وبلمه وسروه وبروه وفيوه وخريوه (ويكنون) بأم جعيص وأم معيص وأم رميح وأم عرّام وأم زواح وأم شغيره وأم صغيره وأم شواهى وأم دواهى (ويلقبون) بجلايه وكرساية وغاسوله وفاره وفرفاره وغاره وغايره (فهذه) أسماء وألقاب وجودها كالعدم وإنما هى ألفاظ يضعونها مناسبة لذواتهم ليطابق الاسم المسمى، وبعضهم إذا نادى زوجته يقول لها يا داهيه يا داهيه تقول له تجيلك من الحيط (كما اتفق) أن رجلاً منهم دخل منزله فرأى زوجته عند الجيران فناداها يا داهيه يا داهيه فقالت له تجيلك من الحيط فقال لها تعالى اتعشى فقالت له ابنك بيخرى، كل أنت وقال شخص منهم لزوجته يا قطيعه قالت له تجيلك يا أبو عنطوز (وأما أولادهم) فإنهم مثل أولاد الهنود أو أولاد القرود دائماً فى شلاتيت وشراميط ترى الواحد منهم دائماً مكشوف الرأس غارق فى الجلة والساس ونومه فى المدود وشربه من المترد وأكله من الجلد ولعبه حول العجله يشخ ويخرى فى ثيابه دائماً فى سخامه وهبابه عمره فى الدناسه وأمه فى نجاسه وإذا درج فى الحاره لا يعرف غير الطبله والزماره والطردورا الثور والفحل وسخامه فى الجله والوحل لا يلبس على طهارة قميص وعيشه دائماً فى تنغيص خالى من التنظيف وكلهم قحوف من قحوف الريف (وأما

نساؤهم) عند الجماع فإنهنّ فى حكم الضباع يدخلن الأفران ويضرمن فيها النيران ويعبق عليهم الدخان وتظهر لهم روائح الدمس حتى يصيروا فى قلس ثم ينضجعوا على شئ من القش وما تيسر من القصل والعفش بعد أكلهم المدمس والبيسار حتى يصير الشخص منهم كأنه حمار ثم يضم زوجته إليه وهى تتشقلب عليه فيظهر من بين الاثنين روائح الجله والطين وتعطيه رجليها وينظر إلى عمشة عينيها ويطرحها على جنبها فتستغيث بربها وتقول أحيه جتك داهية جتك مصيبة أحيه جتك غاره فغنجها بليه وجماعها رزيه، وربما جامع الشخص منهم زوجته فى مزود الحمارة أو فى الغيط جنب العباره، وقد تمكث المراة منهن الجمعة لا تغسل من النجاسة لمعه وكذلك الرجل بتحقيق فى أعظم الدناسة وعدم التوفيق (وأما أعراسهم) فإنها مثل قيام الغارات أو تعفير الكلاب فى الحارات يدوروا بالعريس دوره وهم فى غارة أو غوره وعائط وصراخات ودواهى وبليات وزعيق وعفره وصياح وغبره والكلاب تنبح والشعرا تمدح والطبل يضرب والمشاه حوله تلعب والجدعان تخبط بالنبابيت والأولاد تنط بالشلاتيت وربما كانوا فى هزل صاروا فى الجدّ، وربما تخرب من فعلهم البلد ويزيد الهم والنكد ثم بعد هذه الدوره يفرشوا للعريس جنب الجوره ويجلسوا على حصير أو برش من أبراش البير، ويأتوا له بالعروس كأنها فحل جاموس منقشة بالحبر والهباب وقدّامها الشاعر بالرباب وخلفها الصبايا بالزغاريط تصيح والجدعان تمشى بالمصابيح ويرشوا عليها الملح هوف النظره وقد خلبطوا وجهها بالسواد والحمره ويكشفوا وجهها عند الجلا وصارت

بهذه الفعلة "مثلة" بين الملا وهذا من أقبح أفعالهم وأتعس أحوالهم)

رحم الله شيخنا الجليل العلامة يوسف بن محمدين عبد الجواد بن خضر الشربينى عفا الله عنه آمين (الطبعة الثانية – بالمطبعة الأميرية – ببولاق مصر المحمية سنة ١٣٠٨ هجرية)

***

العمة سعدة، خضراء العينين، زوجة جدى رحمة الله عليه، فلاحة مصرية كانت تزرع وتحصد وتساعد جدى، كانت حمراء الوجه بها مسحة من الحزن وروحها مرحة تسخر من كل شئ حتى من نفسها.. كانت تقول لفتحى رضوان:

– إذا ركبت الحمار بالمندار ستكتشف العالم..

لكنه لم يسمع كلامها أبداً.. كانت تحب تدخين الشيشة، المعسل، وكان الجد يحب أن يدخن السيجارة اللف.. الجد يحب أبو زيد الهلالى سلامة، ويجلسنى بجواره على المصطبة فى أثناء زيارتى للقرية، ويسمعنى. وعندما أشعر بالملل يغيّر الكتاب إلى سيرة عنتر بن شداد.. كنت أحب قصة عنتر لأسمع قصة عبلة وجمال عبله، وصراع الرجال عليها.. كنت أفكر: هل القوة هى التى تجذب النساء؟.. وأنظر لعضلاتى الصغيرة فى حزن.. لن ترضى عنى عبلة ولا هبلة..

لكن الجد قال لى المهم ليس العضلات المهم الشعر؛ لأن الشاعر يسحر عقل النساء والزعماء، لذلك كلما كبرت كنت أقول لنفسى، إن الشعراء والكتاب وأهل الفنان أصحاب رسالة خاصة، وإن الله لن يرسل أنبياء جدداً على الأرض بل مواهب من علماء وأدباء

وفقهاء ومفكرين..

(لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَاذِبِينَ)

الفلاحون فى مصر ومعظم المصريين كانوا حفاة، وحاول حزب الوفد أن يعمل مشروعًا اسمه مشروع الحفاة حذاء لكل مواطن مشروع القرش.. تبرع بقرش.. وكانوا يذهبون إلى البيوت لقياس أقدام الناس لتوفير حذاء لكل فرد فى مصر، حيث كان ينتشر القبقاب وهو حذاء خشبى، والشبشب، وكان المصريون وكذلك العرب يمشون حفاة كأمر طبيعى.. وحاول عبد الناصر أن يرسل إلى المدارس لجاناً لقياس أرجل التلاميذ لعمل حذاء، وكان يرسل للدول العربية المعونات التعليمية: المدرسين والكتب والأقلام والحذاء للطلبة.. كان من يملك حذاءً يعتبر ثرياً.. احنا مش شعب فقير، وبلد غنى جدا يسرق من ٧ آلاف عام..

***

الفصل الخامس
حين أفكر فى النساء أشتهيك أنت..

(الوطن معنى فى الروح وإذا أصبح واقعا فإنى برىء منه. ولكن كل أحلامى مؤجلة ليس بيدى أن أحققها، لم يسعفنى الحظ العظيم، بعضها هاجر أو سافر أو انقرض او اختفى أو كمد حزنا ومات آه أحلامى ياأحلامى ..)

شهرزاد، طلبتها وردة لزيارتها فى البيت.. راحت شهرزاد إليها، وكانت أول مرة تزورها إلى البيت.. كانت شهرزاد فى قلق؛ هى لا تستريح لوردة، لكنها ابنة المختار، كما أنها زوجة الأستاذ كاظم.. وبعد السلام والكلام، والقهوة والمتى، فوجئت شهرزاد بأن وردة تسألها أن تساعدها على عمل حجاب حتى يحبها زوجها كاظم أكثر.. صاحت شهرزاد:

- حجاب.!!. أنا لست ساحرة.. ولا أؤمن بهذا الكلام..

وبسرعة ودهاء تراجعت وردة وقالت:

- مو أنت خالتي تعمليه.. دلينى على حد تعرفينه يعرف فى السحر يساعدنى، ولك الحلاوة خالتى..
- والله ما أعرف

خرجت شهرزاد من البيت غاضبة، قابلها عند باب الخروج كاظم، حياها لم ترد.. أو ربما لم تسمع، وعندما دخل إلى البيت سأل وردة:

- هذه أول مرة تأتى شهرزاد إلى بيتنا.. خيرًا؟..

ردت وردة بلؤم وخبث وقالت:

- عم تيجى.. وانت بالمدرسة تاخد حسنة فقيرة بساعدها..

سكت كاظم.. دخل غرفته وقفل الباب..

فتحت سهر باب حجرتها.. وفتحت حقيبة المدرسة.. أحبت اللغة العربية وظل النحو يطاردها المبتدأ المؤخر والمنصوب والمرفوع حتى فى اللغة الإنجليزية فعل ماض ناقص وتام وظلت الرياضة لعنة عليها.. فتحت كراسات المدرسة.. وجدت فى حقيبتها خطاباً.. فتحت الخطاب.. قرأت: "سهر... أنتِ لا تعلمين كم أحبك وأذوب فيكِ.. إنى أحلم بكِ ليلاً ونهاراً.. أنت امرأة لا تتكرر.."

أمسكت الرسالة فى قبضها وكأنها تعصر ما فيها من جروح.. الخط ليس خط كاظم فلديها خط الأستاذ كاظم.. فى كراستها وهو يكتب لها إلى الأمام يا سهر.. إلى المستقبل الباهر.. ترى من يكون الراسل؟.. هل يكون مدير المدرسة؟.. هل هو مدير المدرسة؟.. هل هو أخ لفتاة؟.. أم قريب لها؟.. راح عقلها فى جولة الأسماء والأشكال والألوان ثم فتحت باب النافذة ودخل عصفورها.. جلس أمامها يرتجف، بدأ الجليد يتساقط على الشام.. الجليد هل هو استراحة الطبيعة؟ أم أن نتف الجليد هى أغاني السماء للأرض.. أم رحمة من الله.. أم احتجاج ضد الشمس التى تبعث الحياة فى كل الأرض.. وقف العصفور أمامها يحاول أن يكون شامخاً، لكنه كان يرتجف؛ فأمسكته بيدها، وضعته بين النهدين، وعندما شعرت الحلمات نهضت بينما العصفور تدفأ فزقزق بحنان..

فى الصباح، فى الفصل دخلت سهر، وبينما هى تجلس فى (التختة) اكتشفت وجود ليلى الفتاة الجديدة التى انتقلت فى أجازة

نصف العام قادمة من دولة قريبة.. ليلى من نفس الملة، وهى الشقراء بنت ١٧ عاماً.. سألتها سهر:

– ليش تركتى مكانك هذا مكان سلوى رفيقتى؟

– ضحكت ليلى من اليوم حاصير أنا رفيقتك..

وفتحت ليلى شنطتها، وأخرجت باكو شيكولاتة (نوع تحبه سهر):

" تفضلى هذى الك.."، وأخرجت واحدة لها:

– بعرف أنت تحبينها..

اندهشت سهر وضحكت؛ بادرتها ليلى:

– بمووووت فى عطرك.

– أنا مابحط عطر

– بعرف.. يا قلبي

وبادرتها ليلى بقبلة من خدها.. حينما قبلتها من خدها، كان العصفور يدق بجناحيه شباك الفصل فى تلك اللحظة . فى هذا اليوم خرجت المدرسة كلها إدارة وطالبات مبكراً؛ تأييدا للرئيس الأسد فى موضوع ما سياسى.. راحت سهر تخرج فرحة من باب المدرسة ففوجئت بسيارة أنيقة تفتح بابها وتظهر منها ليلى زميلتها:

– تعال سهر أوصلك للبيت..

– لا شكرًا.. بحب أتمشى..

رفضت سهر أن تذهب معها، وراحت إلى شهرزاد التى كانت تطبخ بازلاء ولحما، ورائحة طعامها الشهى تغوى من يشمها.. أكلت مع شهرزاد، وقالت لها:

– احك يا شهراد ..

ضحكت شهرزاد، حكت كثيرا. وسهر تسمع وتستمع،...

ثم سكتت شهرازد، وألقت بعض الرمال على ركوة النار، وأطفأت الفحم على القهوة:

– قومى يا سهر نكمل غداً الحكاية.

قامت سهر والدموع على خدها.. لقد فهمت أن الحكى فى هذا اليوم قد انتهى.. وهنا أدركت شهرزاد أن الوقت قد حان لتمشى سهر

فى الطريق للبيت كل من تمر من جواره يلتفت.. هذه لفتة البشر لعطر منحه القدر لامرأة جمالها خطر.. وهى فى الطريق مرت بجوار الفلاحين الذين يحصدون التفاح ويغنون أغنية جماعية "يا مال الشام يلا تعالى".. قابلت المختار بسام الذى يجرى وراء النسوان ليلاً ونهاراً.. كان يجلس معه فى السيارة سالم أخو سهر.. ووقف المختار محييا داعيًا إياها بالتوصيل مع أخيها لكنها أصرت على المشى، بحجة أنها ستزور صديقة لها مريضة..

الفصل السادس
قلبى الأسير فى هواك..

(زحف الحزن على من كل جانب .. اللهم نجنى منه ويسر لى أمرى إلي طريق النور ... أخشى على منى.. وأخشى عليك منى.. وأخشى على قلبى وهو الأسير فى هواك)

حملت سهر حقيبة المدرسة فى أحضانها، ومشت، رفضت أن تركب سيارة بسام المختار ومعه أخوها سالم. (آه يا قلب سهر لو طرت بجناحين إلى زمن وبيت الحبيب لتمسح جبينه بعطر روحها) خرجت سهر من بيت شهرزاد فى حالة هيام مع حكاية الحبيبين.. هبطت من التل ودموعها تنسال على خديها وخلفها تطير زهور وفراشات تتمايل لها، وعصافير تطير فوق رأسها وأمامها، ودقات قلب الأرض على كعب قدميها تتراقص.. يحمل الهواء سر القلوب والبيوت.. الهواء يلعب مع شعرها، ويحاول أن يلمس ثدييها وصدرها؛ فيتسلل تحت قميص المدرسة.. "سهر أنثى حافلة بأنوثة نصف نساء الأرض.."

وفى منتصف الطريق من التل إلى الدار، قابلت سهر راغب ابن المختار(العمدة)، وحاول أن يتكلم معها، وسار خلفها أكثر من أربعين خطوة.. فى كل خطوة كان يلقى بوعود وعهود وحب وشوق هيام، لكن عقل سهر كان موجوداً فى مكان آخر قلبها يدق على صفحة الماء والهواء والجدران واللحاف والوسادة..

سهر تسهر فى شباك بيتها ترسل مع النجوم دقات قلبها.. لم تعرف سهر أن راغب ابن المختار فكر فى خطفها، لكنه تراجع عن فكرة الخطف لأنها فكرة فاشلة ستسبب لأبيه مشاكل ولأسرته؛ ففكر واتفق مع مجموعة من البلاطجة مقنعين على أن يمثلون أنهم يريدون

خطفها؛ فيقوم هو بضربهم وإطلاق رصاص فى الهواء، لقد شاهد هذا فى فيلم عربى، حتى يكسب البطل قلب البطلة وترى شجاعته.. وفعلوا هؤلاء.. هؤلاء البلاطجة أحضرهم له أبو الريش.. التفوا حول سهر فضربهم وكل واحد حصل على ألفي ليرة أجرة المشهد.. كان من بعيد يختبئ أبو الريش يراقب الموقف فى فرح.. فى أول الأمر فزعت سهر عندما شاهدتهم، ثم اطمأنت أن راغب موجود، واكتشفت اللعبة بسرعة.. قال راغب وهو يقترب منها وابتعدت هى عنه:

- امشوا يا كلاب.. فيكي شئ يا سهر؟
- لا شئ.. مين هادول يا راغب؟
- مقنعين ماشفتهم..
- أنت ابن المختار وما تعرف؟
- ولا يهمك حأحاول أعرف؟ أنا مستعد أضحى بحياتى من شانك.
- ولا يهمك؟؟
- مستعد أوصلك كل يوم إن حبيتى؟
- لا ما تخاف.. ربى بيحمينى وأخوى بيوصلنى شكراً .

فشلت خطته، لم تهتم، اكتشفت اللعبة البنت الجميلة الخبيثة.. وصلت سهر الدار، دخلت إلى غرفتها.. بمجرد أن شاهدتها أمها أخبرتها أن موعد الزواج قد اقترب.. وأرسل العريس منقذ أخته ببعض الهدايا الذهبية، ربما هذا جرس الإنذار لها. لم تخبر أمها عما حدث.. لكن سهر ترغب فى حكايات شهرزاد ، وتهرب مما يجرى فى الجبل فى روايات.. ترى لماذا تعذب أرواح الناس فى الحياة؟ لأن الناس "أكثرهم

للحق كارهون"، سهر لم تخبر أباها أيضاً، لكنها كشفت بفطنتها التمثيلية التى قام بها راغب، ماذا ستقول لأبيها وأمها؟.. فوجئت بدقات باب الدار وقدوم راغب خلفها.. فتح الباب سالم أبو سهر وجد أمامه راغب..

- مساء الخير عمى.
- هلا راغب.
- انا.... خدامك.
- شكرا مابدى غرض.
- ما حكيت لك سهر؟
- عن شو حكيت لى ؟
- الزعران هجموا عليها.. أنا ضربتهم ماخلتهم لمسوها،، وضربتهم بالبارودة.. هوب هربوا..
- طيب وبعدين؟
- بس.. رجعت سليمة..
- الحمد لله.. مشكور دا واجبك أنت ابن المختار وحتصير بعد شوى مختار.. صح؟
- صح.

لم يدعه على كاسة شاى.. لم يقل له كلمة.. وأغلق الباب فى وجهه..
دخل سالم إلى غرفة ابنته سهر.. ووقف غاضبًا أمامها:

- شو صار اليوم ؟؟ راغب جه ولخبط فى الكلام.
- اجلس يا أبى..

جلس أمام ابنته وجلست امامه تحكى له.. هز رأسه.. فهم لعبة راغب.. عندما تكبر البنات يوما بعد يوم يكبر قلق الأمهات والأباء معهن يومياً..

وصل الخبر إلى المختار.. جن الرجل.. اقتحم غرفة ابنه راغب غاضبًا:

- راغب شو سويت؟؟
- ولا شئ.
- ايش اللى صار.. كلمنى عدل؟
- ما فى شئ.
- أنا عرفت شو اللى صار.. خيبك الله..

قام المختار وأغلق الباب غاضباً..

هذا ذنبك أيها المختار الأولاد ابتلاءات تعيش بيننا.. إن الله يعطينا الأولاد قد تكون نعمة أو نقمة وأغلبها نقمة، ودائما ننسى أفعالهم السيئة.. ماذا سيقول لوالد سهر؟ ربما لو علم أخوها سيأتى ويتشاجر مع راغب أو يقتله.. ظل ينتظر ماذا سيفعل أبو سهر؟ سوف يعتذر له.. ثمة احتمال أن يلقى بنا البلاء إلى أولاد شبه شياطين.. الأولاد يتنكرون لنا دوما بسبب أو بدون سبب.. ماذا فعلنا لهم، وماذا سيفعل معهم أحفادنا؟ كل الأولاد فى النار..

الفصل السابع
وأنا فى عشقك المقتول.."

فلاش باك

فتحى رضوان خليل

عملت بالتدريس فى مدرسة الفلاح للبنات. صديقى محمد السيد مرسى أحضر لى الوظيفة أنا وعادل الحوفى زميلى فى المسرح والكلية .. أحببت فتاة تلميذتى سميرة كانت شقية أوقعتنى فى حبها بينى وبينها خمس سنوات أمسك الكراسات كل ليلة وكراسة سميرة أشمها خلسة.. "الحب يخيبنا كثيراً فى السلوك.. أو ينجينا من الواقع.. أو يدغدغ قلوبنا وأرواحنا ونحن نتلذذ.. كم أحب أحرفك يا بنت الذين؟؟؟.. كأنى أشعر بأصابعك وهى تكتب على جسدى وروحى تعزف.. وأنت سحر لى أذوب فيه وأهرب منه لأنى لا أحتمل طاقة نور حنانك.. كأنى أعرفك منذ عشرين سنة قبل ولادتك.. وعشت معى كل عمرى وسنين ما قبل التاريخ.. وكنت ابنك وأباك وأخاك، وكوكبا وكنت من حولى قمرا يدور.. وجدلية العشق والتاريخ ونقطة ضعف الكون والتحول والتعديل وجزء من هوائى اليومى وقوة الميادين التى تنقذنى من الإحباط، وأنا فى عشقك المقتول والمشغول بالواضح والغموض وفك رموز العشق وتراثى الفرعونى واليونانى والرومانى والقبطى والإسلامى فأنا قلبى مع الأنصار وروحى مع المهاجرين وأنا من الكاثوليك وقلبى مع البروستانت وكنت مع اليهود والبوذيين، وأنا تمرد الكلمة والتجريب وأنا جبة الشيخ وناقوس القسيس.. وأنت امرأة لا تشبه أحداً مثل مصر، وأنت الظن الجميل، ودفء السطور، وأنا رجل كثير الصبر، منفلت الطموح، وأنا معك طاقة خلاقة، ومشاعرى الفائضة معك تتحول أساور

وأقراطاً وتيجاناً لكل النساء، وأنت سفر، وبينى وبينك مشاعر تشابكت واشتبكت، وليس علىّ إلا الاستسلام للأمر الواقع، كى أذوب وأذوب وأصير نوراً وتصيرين هوية تجرى فى خلاياى جميعها.. كأنى.. كأنك...

***

الزمان / نهارا

المكان / الجبل..مسكن كاظم

كانت وردة تمسك الكراسات الخاصة بكاظم وتقلبها لتبحث عن خطابات غرام أو إعجاب من سهر إلى كاظم أو أى فتاة أخرى.. وردة، تحاول أن تمسك طرف خيط لتشك فى كاظم لتهاجمه بقسوة وقوة، الغيرة نار وجحيم، الغيرة قليلها توابل عشق، وهى حارقة المذاق، وكثيرها يحرق القلب والروح ويذهب بالعقل. دخلت وردة تحمل القهوة فى البالكون حيث يجلس كاظم وجلست وقالت بوقاحة:

- شفت اخوى أنقذ سهر من شوية شبيحة كان بدهم يتحرشوا فيها يا ريتهم خطفوها وريحونا.
- ها؟
- شو ها؟
- فى شيئ جديد آخر؟
- ترى أنت زعلان عليها والاشو..؟؟
- شو..

قام وترك لها المكان.. صرخت:

- أنت قمت لشو مو عاجبك كلامى.. وإلا من شان هالبنت المايعة. اللى اسمها سهر .
- ما بحب تجيبى سيرة الناس..
- بدك فى شو نتكلم ؟
- اى شئ غير سيرة الناس..
- ليس عندى لك كلام..

تركها ومشى إلى حجرة النوم: تعال أشرب الكابتشينو. لم يرد، تركها ودخل غرفته وأغلق الباب، تمدد على السرير، جاءت خلفه تحمل فنجان الكابتشينو، وضعته بجوار السرير، وضعته على الكمودينو، ومددت جسدها بجواره، ثم أخذت تقترب منه قليلا قليلا، ومدت يدها تتحرش به وتفك أزرار بيجامته، حاول أن يتهرب منها، احتكت به وتلاصقت بجسدها معه..

- بس بالراحة يا كاظم على.. أحسن ابنك فى بطنى..
- كل شئ مباح..

فى الصباح سألوا البنات سهر، والتفوا حولها:

- هل حقا هجم عليك شبيحة أمس.
- لا
- سمعنا.
- إشاعة.
- هل أنت خائفة؟
- لا.

صمتت، وضحكت وقالت: هذا حكى فارغ..

اقتحم العصفور العاشق فصلها، ودخل من النافذة.. صرخت البنات فرحاً به.. حاولن الإمساك به، لكنه عاد وطار ووقف خارج الفصل على جدار ينتظر خروج سهر، وسط ضحكات البنات وهو فى حالة خجل..

* * *

الحب قصر نسكنه ولا نراه

سهر على الجبل

قل هو الله أحد.. واحد أحد.. الذى خلق السهل والجبل وخلق الجمال فى كل النساء واختص سهر .

صعدت سهر على الجبل كى ترى الخالة شهرزاد لتحكى لها باقى حكاية المحبين.. لم تجدها وجدت الدار مغلقة.. قالت لعصفورها:

- تعال يا عصفورى ننتظرها قليلا..

صعدت الجبل، والعصفور يطير فوقها كأنه حارس كأنه طفل شقى يرواغ صديقته أو حبيبته.. لأول مرة ترى الجبل من فوق الشجر، وهواء بارد يداعب الروح قبل القلب والجسد.. مشت على القمة.. القمة دومًا ناعمة وفارغة ولذيذة الإحساس.. وقف العصفور على الأرض.. أغمضت سهر عينيها وتذكرت صوت فيروز "أنا وشادى غنينا سوا ولعبنا على التل" ولوهلة بعمر ثوان رأت العصفور فى هيئة شاب وسيم يمد يده نحوها يراقصها كما فى الأفلام.. تتمايل على كتفه فى حنان.. يدور بها ويدور على صوت فيروز.. أليس الحب نور وخيال؟.. أليس الله محبة، ونحن نحب الله بقوة خيالنا اللا متناهية وإيمان فى القلب والروح؟..

جسدها تغمره السعادة والانتشاء وتعانق يداه بنشوة.. الحب حلم، خيال، تسلية، حقيقة، دراما.. الرجال متعطشون لجمالى وعطر جسدى.. وجسدى عطش للحب دون حدود.. الحب برئ حتى لو لوثناه بالخطيئة.. أشعر بأنى مع الحب أطير فى الخيال.. جسدى أهو نعمة أم نقمة؟.. والنهد فى الليل حلماته تتوجع من غياب أصابع حانية تواسيه.. إن روحى متعبة تريد التحرر من ثقل الجسد.. أشعر بجسدى يطوف فى خيال كل الرجال فى

المساءات.. الحب صوفى الوجد.. الحب قصر نسكنه ولا نراه، وندفع ثمناً من الدموع من اللذة من الألم من أجله..أنا أنثى محرومة من الحب.. قالوا الرقص هو الخلاص أرقص فوق الجبل ليتحرر الجسد والروح من الوجع والسهد..

وبينما هى تدور فى الهواء مع الشاب الخيالى الوسيم.. شعرت بأنها تلمس وجهاً وجسداً حقيقياً.. فأفاقت على كاظم..

- **أستاذ كاظم؟**
- **تعال نكمل الرقص ياسهر.**
- **أستاذ.؟**
- **سأرقص معك وأنسى أنى رقصت معك فوق الجبل.**
- **أستاذ.؟**
- **لا حد غيرى وغيرك والحب، إنى أحبك يا سهر تعالى مسكى يدى دعينا نرقص.**
- **الله يرانا.**
- **انا لا أفعل خطيئة.. تبخلين برقصة لى يا سهر؟**

مدت يدها مرتبكة.. احتضنها.. رقص معها.. لأول مرة تمسك يد رجل.. تعانقه.. أحمر وجهها.. وشعرت بجسدها يفوح بعطرها.. هو حرمان السنين رفعت ذراعيها مع ذراعيه.. لم يكن هناك ما يمكن عمله إلا القبول بالرقص..

سمعت دقات قلبه ورأتها تخرج من صدره تقفز على صدرها وشعرها.. نافورة دقات قلب وموسيقى هذ الإحساس الخارق بالتميز هذا الإحساس الخارق للمألوف.. لمسة اليد والرقص مع رجل نبض حياة.. الصمت يرقص

معنا....أنا فتاة مشحونة بمشاعر تنفجر الآن.. إنى أضغط على نفسى وقلبى.. أريد أن أضمه.. فجأة فوق كتفه لمحت وجه وردة زوجته والدموع تنهار على خدودها.. أظن أنى أخون خطيبى وهو يخون زوجته.. توقفت سهر:

- كفى.
- ما بك؟
- الأمر سخيف..

ربت كاظم على كتفى ونزلت.. فكرت أن أصرخ وأقول له: "تعال ضمنى قبلنى أيها المدرس الغبى.. ضمنى فجسدى يستصرخك.."..

فكرت أن أقول له لا تكررها.. أو أقول الحقيقة.. كررها.. أو أقول لماذا لم تقبلنى أيها الأبله قبلة العمر .؟؟.

فكرت فى هذا كله.. انهمرت دموعى على خدى.. وترقرقت على خدودى حبات ياسمين مختبئة تحت الجلد.. وقف العصفور أمامها حزينًا.. وضعت قبعة على رأسى من القش أهدتها جارتنا لها هدية جاءت بها من بيت أخيها من فنزويلا.. نزلت من فوق الجبل إلى التل لترى خالتها شهرزاد.. ضحكت شهرزاد وهى تشعل الحطب أمام الدار:

- ليش ما كملتى
- كملت شو؟؟
- الرقص.
- شفتينى ياخالتى ياويلى أصل.

وضعت شهرزاد يدها على فم سهر:

- لا تحك يابنت القمر.

الفصل الثامن

أذكر أنى كنت أسامح الوطن ..

(لأن اسم مصر مؤنث وليس مذكرا لكنى عندما اكتشفت أن أصله مذكر وعلى اسم مصراييم عرفت أننى لن أسامحه لأن مصر أب قاس لا يعرف الرحمة)

فتحي خليل رضوان..

احتفلنا بيوم الطالب العالمى فى مدرسة الليسية حيث إننى رئيس اتحاد الطلاب ومعنا نادية حسن رئيسة الاتحاد تلك الفتاة مثل الزجاج رقيقة المهذبة جدًا.. يوم الطالب ذكرى كوبرى عباس وشهداء الطلبة والعمال فى فبراير ١٩٤٦..وذكرى شهداء ٢٨ فبراير ١٩٣٥ سقط فى ميدان التحرير ١٨ شهيدا.. أمام الإنجليز فى ميدان التحرير.. ميدان التحرير..

خرجت من الاحتفالات مع شلة صبيان وبنات سرنا على الكورنيش إلى محطة الرمل. اشتريت مجلة الآداب من عم السيد بائع الصحف.. فتحت المجلة قرأت قصة أعجبتنى فى صفحة واحدة للسيد حافظ :

الخـــلق

فى اليوم الأول: خلق الله الفن والحب وآدم وحواء، أنبت الفن والموسيقى والشعر والجمال.. وعمر الكون

فى اليوم الثانى: قتل قابيل هابيل وانتشرت الجريمة والفساد وارتدى الرجال الأقنعة، والنسوة بعض منهن ارتدين شوارب وجلست فوق الكواكب والتلال والجبال، والرجال المخنثون صاروا عمالقة وصار الأنذال كباراً.. وصار المخلصون رعاعاً..

فى اليوم الثالث: جاء الطوفان أغرق كل شئ.. ما عدا طفلا يسمى زين العابدين.. كان يزرع زهرة على تل ويغنى أغنية بيضاء.

فى اليوم الرابع: عصر الشجر والأنـهار كان.. وكانت الحرية وقسم الإنسان الكون إلى سادة وعبيد وصار زين العابدين جداً لأسرة: ٢٥ من أولاد وأحفاد، ٥٠ من المظلومين من العباد، ١٠٠ شخص طعنوا، ١٠٠٠ رزق فرد قطع، ١٠٠٠٠٠ إشاعة ضد عباد الله المطاعة + ١حسنة على فقير من باب التفاخر.

فى اليوم الخامس: استشرى الشر فى الأرض والضغينة والكراهية والحقد المأفون والكل يرى ويأكل لحم الكل والفقراء والأغنياء فى لعبة الصراع المجتمعى.. دوامة كبرى.. رجال بلا رجولة ونساء بلا حياء ونهر من العذاب يغرق فيه المجتمع.

فى اليوم السادس أخذ الرب راحة

فى اليوم السابع ترك الرب الأرض وسكن فى السماء السابعة.. وحدد يوم القيامة وساعة الحساب وترك البشر..

انتهت

فتحى رضوان..

جلسنا فى كافتيريا كلية الآداب القريبة من البحر مباشرة.. كنا مجموعة من الشباب أخذنا نضحك ونسخر من أساتذة الجامعة المنافقين الذين يشتمون السادات فى السر ويمدحونه فى الخطب..

قال شبل بدران

- افتكر أستاذ الجامعة دا رسول علم لازم يكون محترم والا ايه؟

قلت له:

- بكره يا شبل حتبقى أستاذ جامعة ونشوف حتبقى رسول علم والا تابع للنظام؟؟ انت الاول على الدفعة..

ضحكنا.. قال شبل:

- الواد إبراهيم عبد المجيد مختفى النهاردة الظاهر قبض مرتبه أول الشهر واختفى عشان ما يعزمناش على الغدا؟

- لاتخف سيظهر ويعزمنا مثل كل مرة.

قالت ناهد هامسة لى:

- عاوزه أروح. يلا يا جماعة..

خرجنا.. ركبنا الترام لازم نوصل البنات الأول ثم نعود نحن الشباب إلى بيوتنا.. ترام الرمل العجيب الغريب.. فى الزحام اختلست لحظة كى أمسك يد ناهد فى الزحام حتى أظل طول الليل مشحونا بنبض يدها الساحر..

قال محمد نوار:

- على فكرة يا جماعة فى كنيسة الجزويت فيه مسرح حلو.

- خلاص نقابل القس المسؤل هناك.

قابلنا القس بيتر هناك.. كان رجلاً جميلاً.. مبتسما أستاذ فلسفة.. كنا كلنا مسلمون..يوسف عبد الحميد ومسعد خميس ونوار قال القس:

- أهلاً بكم.

احتوتنا الكنيسة.. قاعات المسرح للبروفات.. قاعات للاستراحة.. لم يناقشونا فى أمر دينى أبدًا.. لم يسألوننا عن أى شئ.. لم يتدخلوا فى شؤننا.. نحن نمثل، نسمع موسيقى، نذاكر.. وفجأة قابلتها سوزى.. فتاة مسيحية سكرتيرة القس.. ظلت بيننا نظرات حب حبيسة ونظرات إعجاب بريئة.. وشهوة لقاء مختبئة..

قال يوسف عبد الحميد:

- فاروق حسنى مدير قصر ثقافة الأنفوشى.. عاوزنا هناك عنده.

- قلت احنا هنا فى الجزويت أحسن.

قلت ليوسف عبد الحميد أخرج أنت مسرحية كبرياء التفاهة فى بلاد اللا معنى.. أنا مش عاوز أخرج..

ذات يوم ممطر انتظرت سوزى خارج الكنيسة.. المطر أغرقني رغم وقوفى تحت دار خارج مبنى الكنيسة.. خرجت تجرى فى الثامنة مساء. وكانت سيارة تنتظرها.. أدركت أن بينى وبينها فارقًا اجتماعيًا، ليس عندى سيارة.. خلقت للمشى أم أن حلم السيارة قريب.. أمشي كما مشى الأنبياء والعشاق تحت المطر.. المطر يغسل ذنوبنا وأفكارنا.. زخات المطر دقات قلب عاشق لا يشعر بها إلا العشاق.. لماذا أحب سوزى هل لأنها بيضاء ونظارتها الطبية تشبه ممثلات السينما

الأمريكية.. لماذا حزنت عندما أمر عبد الناصر بمقاطعة السينما الأمريكية.. التصوير والديكور والإضاءة كل شئ فى السينما الأمريكية به إتقان شديد.

قال لى محمد نوار :

- بلاش تعمل علاقة مع البنت دى حتعمل مشاكل.

صرفت النظر عنها.. قلت لمحمد نوار:

- عاوز أكتب مسرحية سيزيف أحتاج ٣ أيام بعيداً عن البيت والمسرح..

- تعال عندى فى البيت اكتب براحتك.. أختى فايزة مسافرة دمنهور.. أنا أخرج صباحاً أعود فى المساء..

فى السابعة صباحًا يخرج نوار ويترك لى جبنة وخبز وشوربة فى المطبخ ولا يعود إلا فى المساء متأخراً.

قال لى نوار:

- إياك تجيب نسوان هنا.. إحنا سكن وسط عائلات إياك شيطانك يوزك..

- حاضر.. لا تخف.. لا أحب التعامل مع المومسات..

حى المندرة فى ذاك الوقت كان شبه منفى، رمال ومنازل قليلة وندرة فى البشر.. خرجت على الكورنيش، الكازينوهات فى الشتاء تئن من الفلس.. لا مصطافين ولا زوار.. بعض نساء الليل يخرجن فى الصباح بحثا عن زبون صدفة.. أتنهد البحر فى رئتى يتنهدنى اليود بنبض الحياة.. ورجال يبحثون عن النساء لإطفاء شهوة الجنس مهما كان

الثمن والذنب والنتيجة.. الدنيا ليست بهيجة..

بدأت البروفات، وانطلقنا.. كل شئ يسير ولا يسير.. جوع وعشق للمسرح والجمال المطلق.. أو الاقتراب من منطقة الجمال المطلق.. هل كتب علينا نحن المصريين والعرب الجهل وغياب المعرفة والضياع.. إن الأمور ليست على ما يرام دوما منذ فجر التاريخ.... نحن أمة الفساد.. نحن أمة الضلال، نكره الخيال للمستقبل، ونحب تخيل أننا أمة عظيمة، ونلوى أذرع التاريخ والجغرافيا ونلفق الحكايات ونسرقها من الشعوب الأخرى، لنقول إننا عظماء...

جاء موعد العرض.. قامت نازك بالتمثيل معنا.. نازك مثل العصفور الذى جناحه من ورد الياسمين.. نازك الثرية الراقية الطيبة الحانية..

فى ليلة العرض.. فتح الستار فى مسرح الجزويت، وكان ميلاد أول مسرحية فى مصر والوطن العربى يُكتب على العرض المسرح التجريبى.. الحمد لله وجدت من يؤمن بفكرة المسرح التجريبى

قام الجمهور بالصراخ والضوضاء غضبًا. خطب الأب بيتر فى الجمهور وشرح لهم ماذا يعنى "مسرح تجريبى"، وقال هذا المسرح يحدث فى أوربا.. مسرح يخاطب العقل.. الله يخاطب عقلكم.. وأنتم احترموا عقولكم..

لم يفهموا شيئاً. الغريب أن فاروق حسنى مدير قصر الأنفوشى حضر ومعه محمود آدم الشهير بسامى، وبعد العرض قال فاروق:

- دخلتم مصر إلى أوربا.. بالمسرح التجريبى

قال الأب بيتر:

– إن فتحى رضوان (بعد ثلاث سنوات) سيقوم بثورة فى الفن
ضحك فاروق حسنى:
– ياريت.
احتفل الأب بيتر فى سكنه بالكنيسة بجماعة الاجتياز.. أول جماعة فنية أدبية تحاول اجتياز نكسة ٦٧ وأدب وفن النكسة.. جاء على الغداء فاروق حسنى ومحمود آدم أقرب صديق له فى ذاك الوقت.. ولاحظ الأب بيتر اهتمام فاروق حسنى بباريس
قال الأب بيتر: فرنسا عاصمة النور والفكر والثقافة.
قابلت فاروق حسنى منذ ٣ سنوات وقال لى أنت كاتب على مسرحيتك "الأقصى فى القدس يحترق" مسرح تجريبى، وستكون هذه فاتحة خير للمسرح.. اسمع (باريس) هى موطنك.. لقد جعل فاروق باريس حلمًا يجرى فى خيالى .. لقد شعرت بغربة شديدة جمهور لا يفهم ما نقدم، ولم أتوقع أننى سأظل طوال الوقت أنتظر الجمهور، والوعى أن يأتى إلى الناس.. الوعى هسهاس ليس شرًا ولا خناس..
قابلتنى على كورنيش الأنفوشى إيمان.. ممثلة جميلة من هواة المسرح، وطلبت منها الانضمام إلى جماعة الاجتياز.. انتقلنا إلى العرض فى مسرح قصر ثقافة الأنفوشى الذى كان اسمه مسرح يوسف وهبى، حيث قرر يوسف وهبى أن يترك القاهرة ويعيش فى الإسكندرية، فأعطوه مسرح الأنفوشى، وعلقوا لافتة على باب المسرح (مسرح يوسف وهبى)، وأعطوه فرقة الإسكندرية المسرحية. المفاجأة أن أعضاء الفرقة سخروا من الرجل عندما فكر فى تقديم ريبتوار

لمسرحياته القديمة!!.. وبدأت البروفات تتحول إلى ضحك وسخرية ومسخرة.. اكتئب يوسف وهبى وهرب من الإسكندرية، وبعد عامين جاء كرم مطاوع، وأعطوه نفس المسرح؛ فرفض، وطلب مسرح سيد درويش الذى بناه الخديوى إسماعيل.. وهرب كرم مطاوع من فرقة الإسكندرية، وذهبت جماعة الاجتياز إلى قصر الأنفوشى، وفوجئنا ببلطجية الطابية.. الطابية حي عشوائى ملاصق لقصر الانفوشى يخرج أهله للهجوم على المسرح كلما كان هناك نشاط.

***

الفصل التاسع
وأنا رجل أجيد الانتظار

الزمان ليلا

المكان / الشام

(وكنت على شفا عشقك لولا برهان ربى فعدت إلى كهفى ونمت سنين عددا.. حين ترين الفراشات على كفى فى المساء والصباح لاتنزعجى فهن قلوب نساء عشقتهن وعشقننى .. فتذكرننى وذكرى الحب فراشات تطير.. عفوا قلبى اليوم بذكر الله مشغول فلا تقولى ولا أقول)

مكرم ابن أخت الميثاء فى ليلة الزفاف!!!.. مكرم أبو الشوارب، هو صاحب الشارب الذى يقف على شواربه صقران فى الجبل والشام.. الليلة ليلة زفافه اشتهر فى المقهى بوسامته وأنه حكاء عن مغامراته فى الشام ولبنان ومصر مع النساء.. الليلة ليلته سيتزوج من الهيفاء بنت الجبل التى قالوا إن سمارها جاء من لون الشمس، حيث ولدت فى شهر يوليو.. الليلة سيهز عرش السرير ويغنى أهل الجبل له.. تمت دعوة القرية كلها.. النساء فى جانب القاعة والرجال فى الجانب الآخر من القاعة.. والمطرب والغناء.. راحت فى تلك الليلة وردة وكاظم وراحت سهر وأمها وأخوها سالم..

فرح وهرج ومرج وزينة فى كل الأركان وإطلاق نيران.. وسط الزحام كان كاظم يتابع من بعيد، سهر.. تملص بحجة الرغبة فى تدخين سيجارة.. تعلم التدخين منذ زواجه من وردة.. التدخين عزاء وابتلاء.. كانوا يجهزون الطعام والعشاء فى الحديقة، وخرجت النسوة والفتيات فى ساحة قاعة الأعراس للتجهيزات، وخرجت سهر.. راقبها وهو يدخن السيجارة، أشار إليها ملوحاً بعيدا، ردت التحية، وأشارت له بعض

النسوة مرحبات به، وشاهد موتور الكهرباء بجانبه، وللمرة الأولى يفكر كاظم أن يعبر عالم البراءة إلى عالم الشر. أشار إليها برغبته فى رشفة ماء.. قامت سهر تحمل له كوب عصير.. اكتمل لديه إحساس الشر الكامن ليحققه الآن.. يريد قبلة، ولكن كيف؟.. أمام كل البشر كلما اقتربت منه خطوة، اقترب خطوة من مولد الكهرباء.. قبلة هى حلم حياته الآن لتهز كل كيانه.. عندما اقتربت منه فكر أن يشد السلك من الموتور.. قبلة تجلب البهجة.. عندما وقفت أمامه تماما تحمل كوب العصير، شد السلك بقدمه فانطفأت الأنوار؛ جذبها نحوه وقبلها بعنف موج من الشوق ينصهر بين الشفتين.. هرج ومرج فى الحضور.. "لكننى انتزعتها".. أشعل الرجال الولاعات.. تركها.. لحظة لا يشعر بها إلا ملائكة السماء تنفطر قلوبها على العاشقين.. جاء البعض وأصلحوا العطل، لكن سهر راحت إلى البيت، لا تصدق ما حدث، وجسدها يرتعد.. هذه أول قبلة لها.. ما لونها ما طعمها.. لم تنم ليلتها، وظل العصفور قلقاً عليها.. وذهب كاظم ليلتها مع وردة ليلتها كأن أسداً يبحث عن لبوءته، لكن لبوءته الآن هى وردة..

أما أبو الشوارب العريس ليلتها لم يفلح فى أن ينهضه.. هو لم يقف.. هو لم يساعده.. كيف هذا هو لم ينتصب لماذا؟ يا فضيحتك.. هو أول مرة يرى جسد امرأة ليست فى مجلة، ولا فى فيلم ولا صور جسد حقيقى عار، وانكشفت حكايته الوهمية التى يخدع بها الكل على المقهى.. قالت الهيفاء وهى تعطيه ظهرها:

ـ اسمع.. اذهب إلى شهرزاد فى الصباح.. بكير واسألها ليش هو ما

وقف؟ يمكن توصف لك دواءً أو تعطيك شيئا.. هى منيحة فى هالامور.. كل الناس بتقول هيك

فى بيت شهرزاد.. جاء مكرم أبو الشوارب مبكرًا ليسأل شهرزاد.. كانت كل الأهالى تتحدث عن شاربه القوى.. عن صوته الأجش القوى.. مكرم أبو الشوارب تزوج.. ولكن تعثر يا فضيحتك.. قال لشهرزاد كيف أقضى ليلة جميلة مع زوجتى؟

ضحكت شهرزاد وقالت: عليك بالاهتمام بما قبل الجماع وما بعده وسأقسم العملية إلى ثلاث مراحل: المرحلة الأولى ما قبل الجماع.. ادخل على زوجتك المنزل بقبلة رائعة وهدية صغيرة غير مكلفة على الإطلاق مثل وردة واحدة صغيرة أو قطعة شيكولاتة أو مصاصة أو أي قطعة من الحلوى تحبها زوجتك (لن تكلفك أكثر من ٥ ليرات) أعلم زوجتك بطريقة غير مباشرة برغبتك في مضاجعتها، وذلك بالقيام ببعض الأفعال الدالة على ذلك مثل: قم بالاستحمام وحلاقة ذقنك تعطر بعطر تحبه زوجتك.. داعب زوجتك أثناء إعداد الطعام مثلا بالكلام وبملامسة جسدها.. اقترح عليها أن تلبس ملابس داخلية تحب أن تراها بها وتتعطر بعطر تحبه.. وغير ذلك من الأشياء التي تهيئ زوجتك لهذه الليلة.. حاول أن تهيئ المكان والجو المناسبين للقاء وذلك عن طريق: اختر مكاناً هادئاً وحاول أن تغير مكان اللقاء المعتاد بأن تغير الغرفة أو السرير وجرب مكاناً جديداً حتى ولو يكون أرضية الغرفة.. حاول تعطير المكان إن أمكن ذلك.. اترك إضاة خافتة وجميلة ويفضل الشموع.. شغل موسيقى هادئة وحالمة تحبها أنت وزوجتك..

قم بمساعدتها في تجهيز العشاء.. تعشيا سويا في هذا الجو الجميل ودللها ولاعبها أثناء العشاء ويفضل أن يكون العشاء خفيفًا محببًا للطرفين.. لا تجامع زوجتك بعد العشاء مباشرة بل انتظر ساعتين على الأقل لأنك بعد الأكل ستشعر بتخمة وبتكاسل، وسيؤثر ذلك بشكل كبير على أداءك الجنسي، ومن الممكن أن ترقصا سويا بعد العشاء أو تحتسيا أياً من المشروبات كالشاي أو العصائر، ومن الممكن أيضًا أن تتجاذبا أطراف الحديث في أشياء جميلة كذكرياتكما المشتركة أيام الخطوبة وما شابه ذلك وابتعد نهائيا عن الحديث عن العمل أو أي نوع من المشاكل.. من الممكن أن تنام ساعة بعد الأكل مباشرة إذا شعرت بالتعب أو الكسل فالنوم سوف يجدد نشاطك.

عليك أن تعرف أن المرأة تختلف تماما عن الرجل في كيفية استثارتها واستمتاعها بالعملية الجنسية فحين أن الرجل يثار سريعا بمجرد اللمس ويمتعه أكثر الإيلاج فالمرأة تثار أكثر بالكلام على الأقل من تناول العشاء وقد تهيأت وهيأت زوجتك لبدء اللقاء وبالمشاعر وبالأحضان والقبلات ولا يمتعها الإيلاج بدون ذلك وإليك بعض النصائح: ابدأ مع زوجتك بالكلام وذلك بأن تمتدح مفاتن جسدها وأظهر لها حبك بالكلام وعليك أن تكرر عليها كلمة بحبك وبعشقك وكلام مثل ذلك وبالغ في ذلك وكرره كثيرا ولا تمل.. فى أثناء ذلك احضن زوجتك بحرارة وضمها إليك وإلى صدرك وأشعرها بالاحتواء كأنها طفل فى حضن أمه.. قبل زوجتك كثيراً وعليك بالقبلة العميقة في الفم والتي يتلامس فيها اللسان والشفتين واللعاب والأسنان وعليك تعلم فن

القبلة فإنها من أكثر الأشياء التي تثير المرأة.. ساعد زوجتك بحرفية وإثارة في خلع ملابسها وحاول أثناء ذلك أن تتلمس جميع أجزاء جسدها واجعلها أيضًا تساعدك في خلع ملابسك فهذا يثيركما معا..
ثانيا : عليك أن تعرف مواطن إثارة زوجتك فلكل إمرأة مكان في جسدها يثيرها بشدة وهناك أماكن مشتركة لمعظم السيدات مثل الرقبة وخلف الأذن والثديين والفم والسرة وبين الفخذين فاهتم كثيرًا بموطن إثارة زوجتك..

ابدأ إثارتك لزوجتك تدريجيًا فابدأ بالأماكن الأقل إثارة فالأكثر وهكذا قبل ما تستطيع من جسد زوجتك فهذا يسعدها ويثيرها كثيراً.. داعب الأعضاء التناسلية لزوجتك بيدك فهذا يثيرها.. خذ وقتًا كافيًا للمداعبة وفعل السابق ولا تقم بالإيلاج إلا بعد أن تتأكد تماما من أن زوجتك وصلت إلى قمة الإثارة وهذا له دلالات كثيرة.. فى هذا الوقت تكون أنت قد وصلت لكامل الانتصاب والإثارة فقم بالإيلاج برفق وببطء.. عليك أن تتعلم الكثير من أوضاع الجماع (موضوع كبير يطول شرحه) واختر ما يناسبكما واحرص على تغير وضع الجماع في المرة الواحدة باستمرار (الطريقة الواحدة تصيب الزوجان بالملل.. جرب الكثير من الأوضاع واستشعر أيهما يثير زوجتك أكثر وقم به بين الحين والآخر..
حاول أن تصل بزوجتك إلى هزة الجماع وأنت في مرحلة القذف فما أجمل أن يتم الاثنان في ذات الوقت (جسد المرأة كله ينتفض) ولو استطعت أن تصل لهزة الجماع أكثر من مرة فهذا نجاح عظيم..
المرحلة الثالثة: ما بعد الجماع قبل زوجتك بشدة واحضنها بكلتا يديك

وضمها إلى صدرك وأشعرها بحنانك بعد الإنزال ولا تقم بشكل يحسسها أنك كنت في مهمة وانتهيت منها.. أكمل كلام الحب والغرام وأنتما مسترخيين، لا تخرج قضيبك بسرعة بل تمهل حتى يعود لحجمه قبل الانتصاب.. تناولا كوبين من العصير قد تم إعدادهما مسبقًا (قبل اللقاء) ويفضل وجودهما بجواركما واسق زوجتك من كوبك..

أخيراً انتظر فترة قصيرة من الوقت واذا وجدت في نفسك نشاطاً لتكرار الجماع فعاود مرة اخرى فبإمكانك مجامعة الزوجة أكثر من مرة في اللقاء الواحد وهذا سوف يسعدك ويسعدها وبعد الانتهاء اخلدا للراحة والنوم سويا وستشعر بهدوء وراحة وحاجة للنوم لم تشعر مثلها من قبل.. بعد أن تمر ساعتان لا تجامع زوجتك نهائيا وأنت مجهد بدنيا.. لا تجامع زوجتك نهائيا وأنت مشغول ذهنيا أو مشغول الفكر أبعد عن ذهنك التفكير في أي شئ غير زوجتك وليلتك انس العمل والمشاكل.. لا تجامع زوجتك وأنت متخم بالأكل أو بعد الأكل مباشرة فهذا سيتعبك ويضعف انتصابك.. اهتم بالنظافة الشخصية ورائحتك ورائحة فمك اهتم بتغيير مكان الجماع من وقت لآخر واهتم بتغيير وضعية الجماع حتى لا تشعرا بالملل لا تثبت يوماً محدداً أو ميعاد للجماع ولكن عندما تشعر أنك أو زوجتك في حاجة إليه.. زوجتك مخلوق ضعيف عاملها برفق وحنان وأشعرها أنك تريد إمتاعها أكثر مما تريد لنفسك.. املأ بيتك بالحب والرحمة والمودة والمعاملة الحسنة ولا تنس الهدايا البسيطة فكل هذه الأشياء مفتاح للقاء زوجي ممتع.. لا تنس اتباع الهدي الإسلامي في أمور حياتك ومنها الجماع ولا تنس دعاء

الجماع.. أتمنى لك أوقاتا سعيدة وجرب وهتدعيلي..

قام كرم أبو الشوارب فرحاً، وخرج مهرولا، أغلق باب الدار.. ضحكت شهرزاد.. قام كرم بترك مبلغا من المال تحت إحدى الوسادات الموجودات على الكنبة التى يجلس عليها، دون أن تدرى شهرزاد.. الليل يحمل أسراراً.. وشهرزاد تحمل حكايات..

***

الفصل العاشر
العجائز أشرار أحيانًا

حكاية خطف سهر حبيبة القمر راغب

لم يعد يطيق فكرة سفر وغياب سهر عن القرية والجبل.. لابد من لمسها وتقبيلها ويمسك صدرها ويتحسس جسدها.. ويستولى على روحها وقلبها بالقوة.. فكر جدياً فى خطفها حتى ولو ساعة.. حتى ولو مات أو قتلوه.. فكر راغب مع بعض الشبيحة على خطفها هذه المرة عن جد وأن يمتلكها حتى ولو ساعة، وذلك لن يكون إلا فى وقت الظهيرة عند خروجها من المدرسة، أو الغروب عند عودتها من الدرس الخصوصى.. دفع مبلغاً كبيراً، ولكن بعد دفع رعبون (عربون) لهم.. لم يفكر فيما سيحدث بعدها؛ لذلك فكر له أحد الشبيحة فى فكرة شيطانية فى حيلة.. وكانت:

فى الموعد المحدد خرجت سهر من المدرسة ومشت بجانبها امرأة عجوز وبنت صغيرة فى العاشرة من العمر، وادعت العجوز مرضها المفاجئ وسقطت على الأرض.. قامت سهر بمساعدتها مع الطفلة الصغيرة.. وطلبت البنت الصغيرة من سهر أن تساعدها للوصول إلى البيت فى الجبل، فقامت سهر بمساعدتهما، وحاولت سهر أن تقنعهما بالحضور لبيتها، لكن البكاء التمثيلى خدع سهر فهى لا تعرف السيدة ولا البنت الصغيرة ولم ترهما من قبل.. صعدت إلى الجبل، وهى تسند المرأة حتى وصلت إلى بيت شبه مهجور.. إن عين الله لاتنام.. ففى تلك اللحظة، كانت شهرزاد تمر من بعيد حيث كانت فى زيارة لإحدى النساء الحاملات.. واندهشت أن هذا البيت مهجور، وما الذى أتى بسهر هنا فى هذا البيت؟ ومن هذه السيده العجوز؟ وقفت شهرزاد

تراقب من بعيد، ثم اتجهت بخطوات مرتبكة إلى هناك

بمجرد دخول سهر الدار أغلقت الباب الطفلة.. نامت العجوز على السرير، قالت العجوز للطفلة:

- هاتى لى كوب ماء.

خرجت الطفلة بسرعة.. قالت سهر:

- عن إذنك خالتى.

أصرت العجوز على أن تشرب سهر شايا معها وقامت العجوز لتجهز الشاى، وحاولت سهر التملص لكن العجوز الشمطاء أصرت.. ارتبكت سهر.. قامت العجوز وخرجت من الحجرة.. سمعت سهر صوت إغلاق الباب.. وفجأة ظهر راغب مرتدياً على وجهه شراب..

- من أنت؟

اقترب منها ارتعدت سهر، حاولت تحمى نفسها بالحقيبة المدرسية.. حاول يقبلها ويعتدى عليها، وهى تقاوم وتصيح وتصرخ.. فوجئ بصوت شهرزاد والعصا تدق على الباب:

- افتحوا الباب يا كلاب وين سهر؟

ارتعد راغب، هو يعرف العصا التى تمسكها شهرزاد وصوتها.. جرى للداخل وخرج من الباب الخلفى للدار، الذى خرجت منه الطفلة والعجوز.. لم تر وجهه شهرزاد، ولا حتى سهر..

جرت سهر فتحت الباب.. ارتمت فى أحضان شهرزاد وهى مرتعدة، وأخذت شهرزاد تمسح شعرها..

- ما بك ياصغيرتى.. ما الذى أتى بك هنا؟.. هذا بيت مهجور من

سنين.. ؟؟ ومن الذى فعل هذه الفعلة الشنعاء..؟

أقنعت شهرزاد سهر بالحضور معها إلى بيتها حتى تستريح، وأقنعتها أن تهدأ.. ذهبت سهر وجلست.. بكت.. وحكت ماحدث لها، فهمت شهرزاد.. هزت رأسها، وفكرت من يجرؤ على فعل هذا سوى راغب.. ولكنه لابد من أن يخاف ويرتعد..

صمتت شهرزاد وقالت بلغة أمر لسهر:

- الآن اذهبى إلى البيت ودعينى أحل المشكلة.. لا نريد أن تشتعل البلد بسبب ولد أو رجل أو شاب أحمق..

هزت رأسها سهر وقامت إلى بيتها. قامت شهرزاد ونزلت للسوق ومرت على المقهى التى يجلس عليها راغب لم تجده، نادت صبى القهوة وقالت له:

- قل له خالتك شهرزاد عاوزاك ضرورى..

رد القهوجى:

- هو أنت خالته بصحيح .

- اتنيل..

مشت وبصقت على الأرض، إشارة احتقار لصبى المقهى. بعد وصولها للبيت بقليل جاءها راغب، محاولاً الابتسام فى وجهها، وكأن شيئا لم يحدث، وكأنه لا يعرف ولم يفعل شيئاً.. جلس.. نظرت فى وجهه وجدت بعض الخدوش..

- خير يا خالتى فى حد مزعلك فى الضيعة؟

- ايه فيه؟

- مين؟

- ما فى غيرك يالحيوان يا أهوج.. يالحيوان وهايج على بنات الناس.. فحل وطلوقة على المزرعة.. اشو بيك جنيت.. تخطف البنت عاوز تغتصبها.. جنيت انت.. دى سهر.

احمر وجهه خجلا ومرتبكاً.

- شو فيه ياخالتى؟ عن شو بتحكي ؟
- إسمع لو حاولت تكلم سهر أو تجرب يتلمسها أو تمسها بسوء والله أنا اللى بقتلك.. سامع انا ماحخلى البنت تحكى لأبوها سالم ولا أخوها.. سامع.. امشى وتذكر انا اللى حاقتلك بايدى لو كلمتها أو لمستها أو حاولت تعمل شئ.. سامع..

فتحت الباب..

- امشى انجلع ما شوف وشك ولا تشوفها فى طريق ولا تحكى معها..

جلست تشرب المتى..

هى تعرف سر الشوق.. وسر اللوعة.. وسر الهوى....

***

سهر ما بين قبلة من كاظم أيقظت مشاعرها وأيقظت أنوثتها الساكنة الصامتة، وبين راغب الذى حاول أن يغتصبها، وبين حلمها بالسفر إلى الإمارات..وبين البينين يتوه القلب.

***

راح راغب على القهوة ظل صامتاً.. مكتئباً.. تعلق فى ذهنه.. كلمة شهرزاد:

- سأقتلك ابعد عنها..

جاء صبي القهوة..وقدم له الشاى.. قال له راغب:

- **هالمرة شهرزاد.. شو رأيك فيها؟**
- **الله يكفينا شرها.. دى خلصت على ألف راجل..**
- **ألف رجل!!**
- **نعم..**

صمت راغب..

- **هات لى زفت..**
- **شيشة ؟**
- **ايه..**

الفصل الحادى عشر
ماذا أقول لعينيك وكل الكلام أمامها
يتبخر يتبخطر يتبعثر

فتحى رضوان..

تهانى.. لها قلب صنع من ورق الياسمين.. للورد قلب وقلب تهانى وردة.. كنت أرى فى عينيها براءة العالم.. هى من ستتحمل جنونى.. تتحمل نزواتى ورغباتى.. ليست خبيرة بالفكر والثقافة.. ولكنها يمكن أن تشاركنى الحياة فتعلمت الآلة الكاتبة كى تكتب مقالاتى وقصصى ومسرحياتى.. فهي ليست هدى شعرواى أول إمرأة خرجت للمظاهرات فى مصر وواجهت المجتمع، أو هى إنجى أفلاطون الفنانة التشكيلية، أو درية شفيق التى قامت بالعمل السياسى والصحافى.. قالت لا لعبد الناصر وأمر بعدم خروجها من بيتها وماتت منتحرة.. كان عبد الناصر صعيدى لا يفهم مسألة نقاش المرأة، وأنت صعيدى يا فتحى ودماغك ناشفة تريد زوجة جارية ومحظية وملكة وهانم ورقيقة فى الليل ووردة وطيبة كعطر الملائكة.. عند الزواج سألنى المأذون: على أى مذهب ستتزوج؟؟.

قال خالى على:

- على مذهب أبى حنيفة طبعا..

قال أبى قبل موته:

- نحن على مذهب أبى حنيفة يا ولد..

- قال المأذون:

- زوجتك يا فتحى.. على مذهب أبى حنيفة النعمان..

قالت أمى :

- يا ليتك تكون مثل أبو حنيفة النعمان..

قلت من هو أبو حنيفة النعمان؟.. سؤال دار فى ذهنى يقول المصريون تزوجتك على مذهب أبى حنيفة النعمان.. من هو هذا الرجل الذى ينتسب إليه المصريون؟؟

أبو حنيفة نعمان بن ثابت بن زوطا بن مرزبان المولود سنة ٨٠ هجريا بالكوفة هو أفغانى الأصل (٦٩٩م / ٨٠ هـ) وهو من أعلام الأفغان ومن مدينة كابول التى نشأ وتعلم فيها إذ تعود أصوله إلى كابول، والتي كانت آنذاك حاضرة من حواضر العلم، تموج بحلقات الفقه والحديث والقراءات واللغة والعلوم، وتمتلئ مساجدها بشيوخ العلم وأئمته، وفي هذه المدينة قضى النعمان معظم حياته متعلماً وعالماً، وتردد في صباه الباكر بعد أن حفظ القرآن قضي الوقت في الطواف على مجالس العلم حاملاً أوراقه وقلمه، واتجه إلى دراسة علم الكلام حتى برع فيه براعة عظيمة مكّنته من مجادلة أصحاب الفرق المختلفة ومحاجّاتهم في بعض مسائل العقيدة، ثم انصرف للعلم.. بلغ عدد شيوخ أبي حنيفة أربعة آلاف شيخ، فيهم سبعة من الصحابة، وثلاثة وتسعون من الفقه. اشتهر بورعه، وكان تاجراً مشهوراً. (سمى أبو حنيفة لأنه أول من أجاز استخدام الصنبور الحنفية للوضوء. وأكد أنه ماء جار يجوز التوضؤ به).

قال أبو حنيفة يجوز للمرأة أن تتولى أى منصب فى الدولة ولا يحق الفتوى بحجبها عن أى منصب، واستفتاه الخليفة فى الزواج من امرأة أخرى فقال له يسمح لك القرآن بالزواج من أربع نساء ففرح الخليفة، وأكمل أبو حنيفة وقال: ولكن القرآن أفتى وقال وإن خفتم ألا تعدلوا

فواحدة، فهل أنت عادل؟.. إذا أجبت.. تزوج بأربع؛ فرجع الخليفة فأرسلت له زوجة الخليفة هدايا حمارًا، ومالا، وثيابًا، وجارية حسناء؛ فرفضها كلها..

كان أبو حنيفة يدعو للمساواة والعدالة بين البشر وأن المرأة ليست للمتعة، بل هى كائن حى مساو للرجل، وهى حرة تتزوج وتختار متى وصلت سن العشرين دون ولى.. ولا يحق لمسلم أن يكفر مسلما.. عرض عليه الخليفة المنصور منصب العدل فرفض.. وسقط الأمويون وجاء العباسيون فطلبوا منه نفس الطلب فقالوا له لماذا: قال أنا طالب علم.. قالوا قد غنيت بعلمك.. فرد.. من يقول أنا استغنيت عن العلم يبكى على نفسه لأنه يكون قد مات.. طلب منه الخليفة العباسى أن يتولى أمر العدالة فرفض فسجنه وعذبه وقطع الخليفة يديه وقدميه ومات وهو فى السبعين بالسم فى السجن.. مات المستنير ونور من قبس العالمين قتله أبو جعفر المنصور لعنة الله عليه.. آمين

قالت تهانى:

- أنت تشبه أبا حنيفة..

قلت :

- أنا لا أستطيع ان أكون أبا حنيفة، ولكنى قد أشبهه فى بعض الأشياء فى قولة الحق ولقد خسرت كل شئ فى حياتى بسبب هذا، ولهذا أنا لن يرضى عنى المسلمون ولا النصارى ولا اليهود، فمن يرضى عنى غير الله تهانى تشعر أنى رجل سيصنع له الوطن تمثالا

قلت لها فى مصر صنعوا التماثيل على مر العصور وألقوا بها فى

الشوارع، وتحتها يتبول الرعاع العشوائيون.. نحن والهنود أكثر الشعوب حبا للتبول فى الشوارع، ولكن المصريين يتفوقون على الهنود.. ألا ترى حديقة الخالدين فى الإسكندرية كل صباح يجدون تحتها براز ووساخة من الناس العشوائيين فى الليل. ارفع رأسك لتمثال نهضة مصر واشك لرب العالمين ماذا يفعل المصريون فى الشارع العام (يتبولون).. أنا لازم أسيب مصر للسادات.. كانت هجرة المصريين قوية.. طوال عمرى كنت أفسد حياتى باختيارى للحكمة والحب والمعرفة والكتابة.. الكاتب هو الوحيد الذى يخترع أنثاه إن لم يجدها على الأرض، ولذلك كنت أحب امرأة دومًا على الورق إذا لم أجدها على الأرض لم أترك نفسى للفراغ العاطفى أو أستسلم وأتخلى عن الأنثى فى حياتى.. لم أشبع من الحب أبداً.. أنا لا أحب أن أكون صفرًا مهما كان الوطن صفراً.. قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: "ويل لك من رجل شبع بعد جوع، وهنيئا لك من رجل جاع بعد شبع.. لذلك تهنأ النساء معى لأني أجوع بعد شبع.."

- فتحى أنا أحبك جدا..

- وأنا أيضًا ..

- بجد تحبنى؟

فى ظنى أن الرجال أصبحوا ندرة فى زحام أشباه الرجال، فى ظنى أن النساء الاستثناء أصبحن قلة وسط زحام أشباه النساء، فى ظنى أنى أبحث عن مدينة فاضلة أو من رحم ربى من النساء ومن اصطفى ربى من الرجال، اللهم أكرمنا وارزقنا ببشر حقيقيين.. كلما التفت فى

الطريق أقابل كائنات أشباه بشر..

فى ظنى أنك أحلى النساء يا عمرى، وفى يقينى أنك نور عيونى.. أنت فى عيونى آية وأنا الرائى بالعشق وأنا مكسو بمعرفة الروح وأنا عبد الرحمن والشاكر وأنا مجتنب السفهاء والأدعياء وأنا السالك والمجذوب وأنا المجذوب والسالك وأنا الطفل الصغير ومطر الحنين.. وأنا المستجير ناولينى يدك حتى أنهض واجعلينى حسنة على خدك واجمعينى حسنة عند الرحمن وحسنة للعشاق، وأنت غواية الفضيلة وعصمة النساء وأمنية الشعراء، آسف أنا مشغول البال عنك بوطن يترك نفسه مستباحًا صبحًا ومساءً، وطن السائرين نياما كما قال سعد مكاوى.. مشغول بأن أبدل سيئاتى إلى حسنات مشغول بمقاومة الحنين لقهوتك فى الصباح.. سألتنى الطفلة الصغيرة بنت الجيران لماذا تحبك أمى؟.. قلت دون ادعاء أنا من تخلع النساء أحذيتهن عند عتبات دارى ومن يتعطرن له حين يقرأن كلامى ومن يتوضأن ويصلين شكرا لله ركعتين حين تلقاني، ولأنها حين تقول: آه ، تجدنى بين شهيقها وزفيرها، أمامها، وحين تفترسها الوحدة، تجد أصابعى ناياً، يعزف لها، وحين يهجرها الزمن وتداهمها الوحدة يخترق قلبها صوتى عبر الهاتف سائلا كيفك يا امرأة؟.. انزلى إلى المقهى أدعوك على فنجان قهوة، فتزغرد فساتينها فى الدولاب وكعب حذاءها العالى ينهض من كسله وتتعطر ببخور وتجئ فأقدم لها وردة وأمسح دمعها بكلمات الله والأنبياء والشعراء والحكماء فتعود ابتسامتها للحياة فأركب جوادى وأعود لدارى فلا أنا أسعى لمبتغى منها وما أنا إلا إنسان، ووجود

إنسان فى هذا الزمان أعجوبة وعشقى للرقى ابتلاء وأنا الرائى والفانى ولكنى أبقى ضرورة كالهواء فى حياة الجرحى والبسطاء.. نعم يافتحى ورثت دماغ الصعايدة من جدك من أمك كان من محافظة المنيا إلى الكويت إلى الإمارات.. الكويت حرة الرأى وحر جوها وخير رزقها وشر تعاملها، فالغريب عبد إلى أن يثبت عكس ذلك. الكويت كر وفر فى السعى، الكويت درة الخليج والعرب وقلب العروبة فى عهد عبدالله السالم.. الكويت نماء وتطور ومعرفة برجالها الراغبين فى التميز بها ولها.. الكويت صفوتها من الرجال كنز وفرسان.. الإمارات عشق وحلم وأمان وهدوء لنفس المقيم والمواطن، الإمارات حياة وموت وكبرياء، ودرهم وحذاء يدوس كرامة الغرباء.. الإمارت رجالها ذهب وطيبة قلبها تحتوى العالم.. لماذا نهجر مصر ونتركها للسادات؟؟.. أخو السادات تاجر مخدرات وكل الإسكندرية تعلم وهو يدعى أنه لا يعلم.. لا أحد يجرؤ على الكلام.. مع أن أصناف الحشيش سميت باسم اخيه وباسم أنور السادات سموا نوع الحشيش نورة نسبة إليه.. وأشعر أنى فى متاهة الكتابة والنساء.. وطنى يسرقه العسكر منى منذ ٧ آلاف سنة ويدوسون البلاد والعباد بأقدامهم.. كل أحلام الثورة تداس.. إلى متى يا وطنى تبتلى؟، وأنا المبتلى بعشقك فلا أجدك أيها الذليل دومًا وتتنفس الذل والكذب وأنت حلم كل الغرباء، وأظل أبحث عن وطن آخر ويطول بيننا الغياب.. أستحي أن أقول أنك يا وطنى نور.. وأننى من أمة حرمت من أن تنير حتى ذاتها.. أستحى أن أقول إننى لست عنصريًا فى حب النساء لا يهمنى اللون أو الجنسية أو الدين، يهمنى

مشاعر الإنسانة.. أستحى أن أقول إننى مسكون بالظنون، محاصر بالواقع المر وحزن يشبه اليأس، وإننى أحمل ملايين الأحلام للفقراء من أمثالى أو ما شابهنى بعشق الحروف المرقومة وتجدد الترتيل وتلاوة الروح والنفس وتلاوة سر الأسرار فالحب ينصر ولا ينتصر والعاشق ينصر وينتصر.. الحب بصيرة للقلب من إله مقتدر.. أستحى أن أقول أنا من الجهل منهزم.."

قابلت جلال مقرر لجنة الرحلات قال:

- عاوزين نعمل رحلة للأقصر واسوان..
- ماشى.
- شباب وبنات .
- ماشى .
- نفسى افهم أنت كل يوم مع واحدة .. وأنا كل ما تعرف على بنت تقولى أنت زى اخويا.. وكل ماشوفك وأنت قافل المكتب ويتبوس البنات وتحسس اتجنن.
- ولد أنت بتبص عليا؟
- أنا تعبت من العادة السرية أبويا دخل عليا الأوضة وشافنى بعمل عادة سرية على صورة نادية لطفى بالمايوه..
- والله انت مش طبيعى ياجلال ولازم أشيلك من لجنة الرحلات..
- ياريس ادينى بنت.. من قفة البنات اللى عندك يا فتحى.
- امشى يا ولد..

عند خروج جلال من غرفة رئيس الاتحاد اصطدم بناهد حجازى قادمة

لى.. صاح عند الباب: ارحم..

أمنت بالله . وبسطوة الحب وغربة القلب

فتحى رضوان خليل

(أمنت بان أتهجى اسمك وأبدل الحروف حين يحاصرنى لصوص الأفكار و أعلن فى نشوة الانتصار بلا خوف. لم أجد غضاضة فى هجاء السخفاء لى)

المكان : محرم بك..

جلست أقرأ قصة شجرة الدر.. كنت أذاكر فى كتاب التاريخ استوقفتنى كلمة شجرة الدر:

– ليست الأيام جميلة ما دام العسكر يحكمون الوطن ..

ولكن نحن الوطن الوحيد فى العالم الذى يحكمه العسكر من ٧ آلاف سنة..) جلست فى التاريخ.. جلست أكتب رسالة إلى سلطان العلماء العز بن عبد السلام:

إلى سيدى سلطان العلماء العز بن عبد السلام

تحية واحتراماً أكتب لك وداخلى ألف سؤال..

كيف رأيت الأمراء من المماليك فئرانًا؟.. كيف استحضرت قوة الله سبحانه وتعالى؟.. إنى أريدك أن تأتى وأن تبيع أمراءنا وملوكنا ورؤساءنا.. أيها الشيخ الجليل إننا أوساخ حتى النخاع حولنا حكامنا إلى هذا الحال.. فى كل قطر عربى يوجد زعماء ولهم نساء، وفتيان،

وشباب كثيرة ملقاة على قارعة الطريق يتحرش بعطر النساء لأنه لا يجد رائحة أنثى فى فراشه فى المساء.. ياسيدى نحن نتجرع الجبن والرياء والصياح والجدل على التفاهات هل ندخل بيوتنا ومساجدنا بالقدم اليمين أم بالشمال؟.. هذا هو الحال؟.. هل حلق الشارب والذقن حلال أم حرام؟؟ هل النقاب والحجاب سنة أم فرض؟ هذه قضايانا الآن..

سيدى تعال لتبيع حكامنا ورؤساءنا.. فى الحال .

المواطن العربى المقهور

فتحى رضوان خليل

أمى جهزت الشاى وشربت سيجارة بلمونت وجلست فى بالكونة البيت..أى البلاد أنت يا بلادى.. كل شئ فى حى غربال الفقيرة البسيطة الرائعة أحيانًا والقبيحة معظم الوقت..

ناهد حجازى تطاردنى فى الخيال.. كل شئ يسير نحو الغروب العشق والقلب المنهك بالتفاصيل.. الاستقامة نوع من العناء والانحلال غباء.. وأنا بين العناء والغباء.. لست أسير على الأرض بل فى الهواء.. كل ما حولى من أخبار عن الوطن والأصدقاء حزين.. أنا حزين.. فتشت فى قلبى سائلا نفسى... ما لون الحب والحزن والفرح والعشق..؟؟

لقاء الزلزلة

جلست على شاطئ الشاطبى مقابل سور جامعة الإسكندرية، ها هنا كنت ألتقى مع ناهد حجازى. وجدت الحزن فى قلبى لونه أبيض.. بى حزن وانكسار وبى ألم وأمل وبى مشاعر غريبة ترى لماذا؟؟ ما هى الحدود بينى وبين المعرفة.. وبينك وبينى؟ أود أن أفيق.. مكبل أنا بالأسئلة وغياب الأجوبة.. فاجأتنى ناهد بيديها على كتفى. قبلت يدها التي على كتفى:

– بتفكر فى إيه؟

- فيك؟
- كذاب يا راجل. كذاب بس بموت فيك.
- وبفكر فى مصر وشعب مصر.

قالت ناهد:

- أنت حتجننى.. إحنا أطيب شعب فى العالم وأجمل شعب؟؟
- لا. نحن أسوأ شعب فى العالم أول من اخترع السجون، والدليل سيدنا يوسف وضعناه فى السجن، مع أن القاضى قال إنه برىء سجناه.. ونحن أول من أخذ الثأر فى العالم، ثأر حورس وقتل عمه ست. ونحن أول من أرسل الله لهم نبيا سيدنا إدريس ليهدينا من الفساد وأرسل لنا إخناتون.. ونحن أول من اخترع الظلم منذ ٧ آلاف سنة والتعذيب لجمع الضرائب.. اقرئى سيدتى أتذكر أن شادى عبد السلام كتب مشروعا (اقرئى يا بلدى) وأنا أقول لك اقرئى يا ناهد. كيف كانوا يجمعون الضرائب من الفلاحين فى عهد الفراعنة قبل إخناتون، وتدخلت نفرتيتى لتوقف الظلم على الفلاحين بإغراق رؤسهم فى الماء حتى الموت.. وبعد.. منشأ كل ضلالة من هنا ومنشأ كل فكرة طيبة كانت من المسلمين غير العرب لأن العرب أسوأ من المصريين.. وأول من أفتى بالإرهاب والقتل كان إمام المسلمين فى مصر فى عهد سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه حيث أفتى هذا الإمام حينذاك بقتل سيدنا عثمان بن عفان ومن قتلوا سيدنا عثمان كانوا ٣٢ شخصا منهم ٢٨ مصرياً.. نحن والعرب واليهود تركيبة واحدة اقرأى التاريخ يا عزيزتى جيدًا دمت

الفصل الثانى عشر
يا أنثى لا تعرف قدرى

وميزانى مهما هربت منى فكل الناس حين تنظر فى عينيك تلقانى

كاظم..

إننى أدور فى حلقة مفرغة: متزوج وغير متزوج.. جسدى مع زوجتى وقلبى مع سهر.. كم رجل يعيش مثلى فى هذا العالم جسده مع زوجته وقلبه مع غيرها.. وكم زوجة قلبها مع رجل آخر وجسدها مع زوجها.. المدرس دوماً يحاصر بحكايات حب مع أهالى الأولاد أو مع البنات الطالبات.. المدرس كائن مسكين.. محاصر بالتكرار.. المدرس الآن ليس صاحب رسالة.. بل هو ببغاء.. كنت أتمنى أن أكون شاعراً.. أو كاتباً.. كلنا بداخلنا شاعر.. كلنا فى سن المراهقة نعبر بالشعر أو ما نظنه شعراً..

جلس يكتب على الطاولة (الترابيزة).. ربما كنت أظننى مهيًأ إلى أن أكون شاعرًا.. ها لقد غابت سهر عن المدرسة.. وقالوا إنها مريضة وتذاكر فى البيت.. هل قبلتى جريمة؟.. ماذا فعلت حتى أفتقدها؟.. ربما غيابها رحمة من الله حتى أتعود على سفرها مع زوجها إلى الإمارات..

تعالي لى أنا مرتبك جدًا ومكتئب جدًا

وقبل أن يجف القلب عن التنهيد

وقبل أن يدوسنا الوطن الحقير بأقدام السفلة الجهلاء .

وقبل أن أختفى بين الحروف والظروف.

وقبل أن أعتزل الحياة إلى التصوف..

وقبل أن أراك ولاأراك..

وأن تغنى ولا أحد يسمعك..

وأن تبكى ومنديل دموعك معى..

وقبل أن يحتلنا العبيد ويصبح الأحرار ذكرى..

يا أيتها العالية تعال..

قبل أن يغرب الوعد والوعيد..

وقبل أن وبعد أن...إنى وحيد

مشت وردة على أطراف أقدامها، ووقفت خلفه وسحبت الورقة التى بها القصيدة، ووقفت خلفه لتقرأ ما يكتب.. وصاحت:

– أنت وحيد يا ظالم امال أنا شو.. حجر.. بالبيت..

لم يرد.. تركها وخرج من البيت وهى تصيح و تولول وتلطم وجهها بيديها..

خرج كاظم إلى المقهى.. قبل الزواج لم يتعود على المقهى ولا التدخين.. هل كل الرجال يهربون من النساء إلى المقاهى؟..

"آه يا سهر إذا تزوجتنى لن تنسى بقايا أحرفى التى سقطت من ديوان أشعارى على شفتيك لحظة أن قبلتك، لن أنسى كم تمنيت أن تدوم همسات يدى على شعرك وهى تعربد فى الصباحات والمساءات.. وأشم رائحة وسادتى المبتلة بنز عشقى لك لحظة مطارحتك الغرام.. لن تنسى رائحة سجائرى ودوائر رسمتها على سرتك، ونهدك يحبل من لمساتى وينتصب راقصًا.. لن تنسى ستائر منزلى ألوانها البيضاء الزرقاء بلون السماء لن تنسى حبيبتى بقايا معادن نقدية سقطت من جيبى، وأوراق كلينكس معطرة تركتها تحت وسادتك، وسأتذكر أنى عندما قبلتك فقدت

الذاكرة، وأنى حين احتضنتك وجدت وطنى وحين ارتميت على جسدك تلاشيت فى جسدك وصرت نوراً، وسأذكر أنك موطنى وهوائى وخيمتى ومهرتى، وأنت فى الليلة الظلماء قمرى..

كاظم..

أوشك الليل أن يأتى، وعشقك لا يأتى أبداً إلا فى الأحلام.. كل شئ لا يمر دون عناء.. فى ساحة البيت تلهو وتفرفر وتموت كل أحلامى.. غريب أنا.. أى جبال الشام.. أى سوريا.. أيتها الجبال افتحى ذراعيك احضنينى، لعلى منك أخرج من ضلوعى عشق سهر.. ويشفى قلبى من الدق باسمها.. عشقها يصهرنى وأغيب وأفقد الذاكرة.. أيا جبال سوريا الماكرة.. تلقين على قلوب العاشقين بالحور العين الحسان وتنفلت قلوب الرجال وتنقلب الأحوال.. أيا جبال سوريا والشام تلقين فى الليل الجمال على النساء وعلى الرجال القلق..

أغلق كاظم كتابًا فى يده، وذهب إلى الحمام، اكتشف بينما هو يتبول علبة قطيفة صغيرة على رف من رفوف الحمام.. فتح العلبة وجد حجابًا.. خرج وهو يصرخ:

- ماهذه الخرافات؟.. ماهذا؟.. تكلمى؟

ارتبكت وردة :

– حجاب.

– حجاب لشو؟

- شو؟
- شو هذا حجاب؟
- لى من شان الحسد حجاب لى؟
- وردة.

لم تقل وردة له أى شئ.. إن أمها هى التى أحضرت الحجاب لها قالت إنه سيحمى زوجها حتى لا يفكر وهو فى الحمام بأى أنثى غيرها.. لم تقنع كلمات وردة كاظم، الذى ارتدى ملابسه وخرج إلى دار المختار غاضباً..

سمع المختار الحكاية.. ضحك بقوة.. قام كاظم غاضباً تجهم المختار:

- اقعد يااستاذ.
- أنت بتضحك
- لازم تضحك على عقل النسوان
- دى ممكن تموتنى بأى حاجة تحطها فى الأكل اتسمم وأموت

ضحك الأب:

- لا أعتقد
- أنا أعتقد..

.. إذا كلمها أنت أبوها وكبير البلد.. أنا ما راح حاكل من يديها شيئا ولا أشرب شيئا.. أنا راجل متعلم ومثقف وأستاذ فى مدرسة بفتح وأعلم العقول ..

- ما تكبر الموضع أستاذ ..
- بكبر الموضوع ..

- شوف أستاذ بنتى بكسر دماغها عشان تطيعك.. بس انت ما تتحجج بهيك أو هيك لتهرب من المسئولية والبنت حامل ..

خرج كاظم غاضبًا من بيت الأب..

دخل الأب حجرة الأم صارخا:

- انتى يا مره ما تبطلى هالخزعبلات.. والحجاب.. حتخربى على بنتك..
- بنتى مين؟؟
- انتى حتستعبطى والا بتستهبلى والا ايه؟ عندك كام بنت هى واحدة وردة ..شو الحجاب؟
- خلاص مش حعمل لها حجاب تانى؟
- خلاص..

ماذا تقول أم راغب.. تقول له إن كاظم يحب سهر.. وأنه يتلوى فى الفراش كل ليلة.. فى عذاب؟؟

ماذا يقول أبو راغب لزوجته هو يعرف أن هذا الملعون كاظم يحب سهر.. ومن لايحب سهر؟ حتى المختار نفسه.. ألقى المختار على الأم وسادة الكنبة..

خرج كاظم إلى المقهى جلس على المقهى.. لمحه من بعيد راغب الذى كان يلعب ورق الكوتشينة؛ فترك اللعب وذهب له:

- هلا بالغالى
- أختك بتعمل لى حجاب فى البيت حجاب فى كل غرفة شو بها؟

ضحك:

- شو بك يارجل.. نسوان عقلهم فارغ..-

- الحجاب والسحر.. والجن والجان...

طلب راغب شيشة لكاظم الذى أخذ يسعل..

....

....

الزمان/ ليلا

فى المساء ذهبت شهرزاد إلى بيت سهر.. بعد أن انقطعت عن زيارتها بعد الحادثة ومحاولة خطفها واغتصابها.. ضحكت شهرزاد وأحضرت لها الحناء .. جلست فى غرفتها تحن لها شعرها بالحناء.. تقول شهرزاد:

- ما أجمل الحناء فى شعر النساء.. رائحة الحناء تخلب خيال الرجال وخيالى.

حكت شهرزاد :

- كان ياما كان...

فتحى رضوان

الاسكندرية كابوس يحاصر المبدعين عشق من طرف واحد

"السادات جعل الجهلاء أسيادًا وجعل العلماء متسولين"

لابد أن أرحل إلى الإمارات فهى أرض رحبة.. ليست بها حالة من الفطنة السياسية الشرسة التى فى الكويت، وهى أكثر طيبة من الكويت وأقل شراسة ولكن مرتع للنصابين والأدعياء خاصة الفلسطينيين واللبنانيين والسوريين والمصريين.. الإمارات تعنى لى: حبيب الصايغ ومحمد المر وسيف المرى وظبية خميس وكريم معتوق، أسماء بنت صقر القاسمى، إبراهيم محمد إبراهيم الوليد أحمد عبدالله المرزوقى. ثانى السويدى - حسين بن سوده. سالم الجمرى. سلطان الشاعر. سلطان النعيمى. مانع سعيد العتيبة. عيضة المنهالى. عبد الغفار حسين. نجوم الغانم. محمد بن حاضر. محمد الرمضانى. محمد العيدروس الهاشمى. محمد صالح القرق. الماجدي بن ظاهر، وميسون القاسمى، وعارف خاجه، أحمد راشد ثان. سيرحب بى الأحياء منهم، وسوف ألقى هناك حفاوة ودفء وطن أفتقده فى مصر.. يقول لى محفوظ عبد الرحمن فى مصر كل منا يمسك خنجرًا للآخر ليطعنه حتى ولو لم يعرف اسمه.. ستكون الإمارت واحتى.. سيد شحم فتح لى نافذة جديدة فى جريدة الوثبة هناك منذ سنوات .. الإمارات أرض حبلى بالأحلام.. أرض بكر.. ترى هل تستوعبنى؟ أو يستوعب المثقفون والمفكرون العرب أم أذهب إلى الكويت.. احتوت الكويت زكى طليمات، سعد أردش، كرم مطاوع، أحمد عبد الحليم، عبد الغفار عودة، محمود السعدنى، أحمد بهاء الدين، على الراعى، إسماعيل موافى، عبده بدوى، أحمد أبو زيد. محفوظ عبد الرحمن، المنصف السويسى، كمال عيد، فايز قزق، الكويت استعانت بخلاصة العقول فى الصحافة والفن والفكر من مصر وسوريا وتونس ولبنان.. الإمارات لم تستعن بأى اسم

من الأسماء الكبيرة المتحققة معظم من راح إليها سقط متاع الثقافة فى مصر والوطن العربى.. ما أسباب الخلل؟

هناك دوما فى الإمارات الرجل الثانى الذى يقود الشيوخ والمسئولين ويختار له أسوأ العناصر وأضعفها، كأن هناك من يريد أن تظل الإمارات أرض البدايات والبنايات والأبراج المعجزة وأرض الفراغ الفكرى والثقافى.. ترى من المسئول؟.. من اليد الخفية التى تدفع هذا الإمارات العظيمة إلى السطحية الفكرية حتى لا تترك أثراً فكرياً، ولديها كل الإمكانيات والمواهب.. لا أظن أن قدرة الاستيعاب لدى الإماراتيين أقل من الكويتيين، ولماذا نبغت اقتصاديًا وخبت ثقافيًا؟

غير معقول؟ من السبب؟ كل السبب يعود لأشباه المثقفين الخدم.. يشعر الإماراتى أنه سيد ولديه عبيد، ربما الإماراتيون تشغلهم تجارة العقارات واللحوم والعجول، ولا يهتمون بصناعة العقول.. لا يمكن سأذهب هناك وأحاول ولم لا؟.. المحاولة شرف.. الإمارات شعبها طيب أقل شراسة وقسوة فى التعامل مع الأغراب الأجانب (العرب) من السعوديين والكويتيين

دبى حلم الطامحين والشباب المجانين بالفرص.. والأطفال فى الهند يحلمون بالذهاب لها.. ترى لماذا؟ وأبو ظبى تشبه القاهرة فى حميمية المكان.. استولى التجار على الإمارات وكبسوا على أنفاس المثقفين الإماراتيين الذين استسلموا.. وذلك بخلاف مثقفى الكويت كانوا أكثر قوة وشراسة فى مواجهة التجار ورأس المال فوقف أحمد العدوانى وخليفة الوقيان وسليمان الشطى وسليمان الخليفى وسامى المنيس

وأحمد الخطيب وعبد العزيز السريع ومحمد السنعوسى وسليمان الفهد وفؤاد الهاشم وحمد الرجيب وعبد العزيز حسين وليلى العثمان وفاطمة يوسف العلى وفاطمة العيسى وحمد الرجيب وصقر الرشود وعواطف البدر وجاسم المطوع وسعاد الصباح وثريا البقصمى وحميد خزعل وأمل عبد الله ومنصور المنصور ومحمد المنصور.. جيوش من الأحلام والأفكار تسبح ضد التيار.. كل أشباه المثقفين فى الكويت ليس لهم مساحات كبيرة، ولا يحتلون الصفوف الأولى، فى الإمارات العكس لم يمكث اسم عربى كبير وموهبة كبيرة فترة طويلة فى الامارات فالعملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من السوق..

حتى ولو.. ولو.. لابد وأن أسافر إلى الإمارات وأحاول وأحاول..

اقتحم الغرفة جلال مقرر الرحلات فى الاتحاد وألقى أمامى بورقة :

– اقرا دى يا فتحى يا ابن رضوان يا ابن خليل

– ايه دا قصيدة شعر.. بحسبك عاوز فلوس لرحلة

– يا عم اقرا القصيدة

قرأت القصيدة، فكانت متماسكة وقوية وبها حساسية شديدة.. أدهشتنى..

– ايه دا يا ولد دى قصيدة كويسة جدا.. مين اللى كتبها.. اوعى تقول انك انت اللى كاتبها؟

أخذت يده تداعب ياقة قميصه بغرور..قلت له:

– بس دى كلها جنس وعنف ورومانسية كتبتها ازاى ياواد؟

– بصراحة.. عملت عادة سرية على صورة صوفيا لورين.. وقعدت

أكتب فكتبت القصيدة..

انفجرت ضاحكًا، وكاد يغمى على وأنا أضرب الأرض بقدمى وأضرب بيدى على مكتبى..

- اوكى.. اضحك.. أنت عمال تحسس وتبوس وبنات مستنياك بالطابور.. وأنا أعمل عادة سرية.

دخلت ناهد حجازى فجأة. صافحها واستأذن فى الخروج، وهمس بشفتيه (اررحم يا بن رضوان خليل).

جلست ناهد.. حاولت أن أقبلها رفضت بقوة وقالت:

- شخص منفلت.
- مش قوى
- ضحكنا وطلبت لها شاى
- قلت لها افكر فى السفر إلى الامارات
- نعم !!!
- هل لملمت اوراقك و قررت الرحيل؟
- قلت اوراقى فى قلبك وروحك وعقلك كيف ارحل وانت هويتى وعيناى وبحرى وقمحى وفرحى وسحابى وكيف ارحل وانت معسكرى وتاريخى وخيامى وسريرى وجسدى وانا مقيد بسلاسل حبك وانت الصيام والقيام والفطور والامساك والعيد تنطفأ نيران شهواتى امامك واشعر اننى المسيح ولا تنطفأ جذوة نيران حبى لك واولد من جديد..
- من انت يا ابن رضوان خبرنى ؟
- انا الالف بدون همزات وبالهمزات والمد والشد وانا الباء والكبرياء

وانا الجد والسد وانا مدن الحب والرعب وانا عباءة الانبياء والهاء والهواء وانت الميم ملكة قلبى والروح والوجدان وانا الخطايا السبع والبقرات السبع العجاف وانا المطر والجفاف وانا من حرر الحرف المؤنث من السبايا وانا الرمز والهمز واللمز وانت القاف قلادة وشقاء وسعادة وانت العين عرافة التاريخ وزرقاء اليمامة وانت الحسد للنساء

خرجت من الحجرة مسرعة

- أنت مجنون مجنون

الفصل الثالث عشر
فى قلبى إحساس

كاظم..

الفصل دون سهر ضجر، والمدرسة موحشة قفر وفقر فى المشاعر.. لا لون لا طعم لا رائحة.. لقد خنت المهنة وقبلت تلميذتى.. إنها بنت ١٧ سنة وأنا ٢٤ سنة.. إذا نحن مقتربان فى السن.. أهوى والهوى جنون والناس لا تعرف فى الهوى إلا سئ الظنون.. ماذا سأفعل معها؟؟.. هل أذهب لها فى البيت؟.. هذا جنون.. هل أرسل لها طالبة برسالة شفهية، فضيحة. أى شئ سأفعل، وبينما أفكر وأفكر، قلت فى الفصل بصوت عال:

- وين سهر يا بنات..

أجابت ليلى رفيقتها الجديدة فى الفصل:

- والله مريضة.. بروح أزورها الليلة..

فى الليل ذهبت ليلى بسيارتها إلى بيت سهر.. فتحت الباب أمها:

- أهلين مرحًبا بنتى.
- أنا ليلى رفيقة سهر فى الفصل.
- تفضلى.
- وينها.؟
- هى مريضة شوى.
- لا سلامتها..

دخلت ليلى إلى حجرة سهر فى الوقت الذى كانت سوسن أختها تبدل لها ملابسها؛ فقالت ليلى:

- سلامات يا قمر.. عنك أنا ببدل لها ملابسها دى رفيقتى فى الفصل.

ابتسمت سوسن وتركت ليلى لتقوم بتغيير ملابس سهر وخرجت من الحجرة.. كانت أنفاس ليلى ساخنة فى رقبة سهر، ويداها تداعب جسد سهر جلست على ركبتيها وقالت:

- شو رأيك بدى اعملك مساج.. جسمك يتنفس..

وبسرعة البرق راحت يد ليلى تعبث بجسد سهر.. راحت.. تدغدغ الحلمات والثدى والأذنين.. بينما العصفور يضرب بجناحيه على وجه ليلى التى صرخت:

- شو هذا؟

ضحكت سهر:

- هو عصفورى .
- أه.. قالت لى البنات هو يعشقك.
- هو قلب عاشق كما قالت خالتى شهرزاد.

تركت ليلى سهر لم تستطع أن تكمل ما بدأت بسبب العصفور..

لابد من حل كاظم فى قلق

سهر تحمل فوق طاقتها.. سر قبلة كاظم.. سر الحيلة ومحاولة اغتصاب قبلة.. آه... يا قلبى.. يااااااا ويلى.. يا عيونى ى ى ى

فى اليوم التالى فى بيت سهر، وجدت أمها على عتبة الباب رسالة إلى سهر.. أخذتها الأم بفرح، لكن سهر فزعت.. إنها رسالة العاشق.. ترى كيف وصل إلى بيتها وعنوانها.. لا يمكن الا أن يكون شخصا مجنونًا..

سألتها أمها.. لم ترد.

الأم حبلى بالكثير والقليل والفراغ والوحدة..

خلقنا الله لنعرف قدرته ونتذوق السعادة ونتألم.. مزيج سحرى هى الحياة يا كاظم.. تدخل وردة عليه تحمل صينية المتى المشروب العجيب اللذيذ.. ثم صبت له الكوب وجلست تحت قدميه تدلك الأصابع..

- يا سيدى أنا بحبك وبدوب فيك.. وبخاف عليك.. وبغير عليك..
- ارحمينى من هذا الحب الذى سيقتلنى..
- ألف بعد الشر عليك.

أخذت تدعك أقدامه بالماء الساخن ثم نشفتها، ثم مسحتها بالكولونيا، وقطعة قطن.. ثم أخذت تدعك الأصابع بالعطر ثم أخذت تمص أصبعًا اصبعًا فى فمها، حتى هاج وقام عليها وضاجعها على الأرض وترك المتى تبرد على مهلها..

على مهل يا قلب على مهل..

تحمل نداء الجسد؛ فالروح تطير بنا ولا تطير.. تحط بنا على أجساد أخرى.. من المؤكد أننا ننسى عند حاجة الجسد أن أرواحنا تذهب إلى من نحب حتى لو هزمنا الجسد...

جاءت شهرزاد فى هذا المساء إلى بيت سهر، وحدثتها سهر عن الرسالة التى وصلتها على باب البيت..

تنهدت شهرزاد وهدأت من روع سهر.. وقالت وهى تحاول أن تشرح لها من يفعل هذا مخبل.. لكنه ليس راغب.. وليس كاظم وليس ناظر

المدرسة.. إنه شخص آخر.. ومسحت جبين سهر..

....

....

كاظم كتب قصيدة إلى سهر أثناء اليوم الدراسى وتركها فى دولابه بالمدرسة، يقول فيها :

سيدتى لك الغرور ولى الحروف والنور

سأتجرد من كل ملابسى على جسدك.

وأرسم خريطة العالم وأنسى اسمى وعنوانى وناسى.

وبين نهديك أختبئ منك لامتص رشفة من حليبهما.

وأختفى فى الميدان حيث الوطن عطش للحرية

صباح المشاعر والحب والمعرفة العالية..

صباح الفهم والإدراك ودعوة لله أن يرحمنا

صباح الروايات والحكايات وقصاصات الأشعار

صباح الجمال لعينيك الراقدتين على جناح قلبى تشعان نور الحنان..

صباح التحفظ و الانضباط..

صباح الموسيقى الفضاء والمرح الجميل

صباح السعادة المتوالية يا غالية

تعال..

غفوت عن ذكر الله ساعات ولم يغفل ربى عنى طرفة عين..

فأعاننى وقوانى وقادنى وأخرجنى من كل بلاء عظيم..

غفوت وأنا الغافى والمغامر والشارد والصاخب والمتأخر والمتردد

والعاف عن قول الزور وغير مستعد للنفاق ومتفرد بالدهشة .
وخارج مقهى الحياة.
وخارج شوارع تفاصيل الروح العقيمة
وأنا الجارح والفوضوى فى العشق والهوى
....
....
كاظم و سهر
الزمان / ليلا
المكان / بيت سهر
سهر فى بيتها، وعصفورها يقف على باب النافذة، العصفور يقف مشدوها.. أبوها ينتظر العريس خلال شهور وتسافر إلى الإمارات.. سهر لا يشغلها الآن إلا عصفورها، وحكاية روحها..
جاءت أخت منقذ إلى بيت سهر، وحملت بعض الهدايا التى أرسلها لها منقذ من الإمارات، زجاجتي عطر فرنسى، وعلبتي مكياج، وقطع اكسسوار.. قالت أخت منقذ:
- والله منقذ بيعد الأيام والليالى.. بينتظر الثانوية العامة تمر على خير.. ويجى وتسافر الشحرورة ..
- هى مش صباح.. مش شحرورة.. نقول سنيورة زى المصريين..
قالت الأم سلمى:
- أبوها وأنا كمان مشتاقين وأختها سوسن..
- سوسن كيف حالها؟ مع زوجها.. الطبيب..

- بخير..

تذكرت سهر أن أختها سوسن لم تأت للزيارة منذ أسبوعين، وعرفت بالصدفة من أمها أن سوسن حامل، ولم تأتها الدورة الشهرية، وتأخرت وهذا فأل خير ..

عندما همت أخت منقذ للخروج قالت سهر:

- سأخرج معك سأذهب لزيارة أختى سوسن ..

- يلا تننسينى فى الطريق.. كان بدى أروح معك أزورها.

- يلا بينا.

كانت سهر تود أن تخرج لزيارة شهرزاد على بيت أختها تسير، وعصفورها فوق رأسها يطير، وعطرها يداعب شمس الأصيل التى تذهب وراء التل فى خجل.. كانت الزيارة مملة أو فاترة فزوج أختها الطبيب بخيل، ودائما يشكو الفقر وحظه القليل فى الرزق، وأن الله يرزق غيره من زملائه بحظ كبير ورزق وفير ..

لم تطل زيارة سهر مع أن زوج أختها كرم يحب أن تكون سهر عندهم فعطرها يعم المكان. ذات مرة سأل سوسن:

- شو نوع العطر اللى عم تستعمله أختك سهر؟

لم تجب.. ماذا تقول؟

قامت سهر بهدوء وهمست لأختها:

- بدى أروح أشوف خالتى شهرزاد كي تقرا لى الفنجان؟

- روحى.. بس ما تطولى الغيبة

- لا ما راح أطول ما تخافى..

فى الطريق قابلها كاظم

- مسا الخير سهر.

- مساء الخير أستاذ.

- كيف الحال؟

- بخير.. كيف وردة؟

- كيفك أنت؟

- الحمد لله.

- وأنت الحمد لله

مشت.. وقف ضائعًا فى فوح عطرها، والعصفور الذى يطير فوق رأسها..

الفصل الرابع عشر
أشـــــتاق

فكر كاظم أن يرحل بعد أن تسافر سهر إلى الإمارات.. كان كاظم يريد أن يهرب من مهنة التدريس؛ دوما كان يبحث عن عمل غير التدريس لكن وظيفة مدرس كانت قدره..

"أشتاق إلى عمل آخر، عمل آخر يعنى مجهول آخر.. مجهول يسكننى أو يصاحبنى، وفى كل مقابلة عمل أثير الإعجاب لدى المسئولين.. لكن نفسية المجتمع الجاهل تكره المتميزين والمثقفين والعلماء.. إن دأب الفرد فينا يحررنا من الفناء.. كما قال الفنان عبد المنعم مطاوع"...

سأل كاظم نفسه: هل للزوج الحق أن يهجر زوجته فى السرير؟ وما المفروض أن يفعله. وكم مرة يجتمع بها فى الأسبوع.. لو كانت سهر كان سيضاجعها فى اليوم مرتين أو ثلات.. لكن وردة مرة واحدة تكفى فى الأسبوع.. هل الزواج سجن؟ هل الزواج قدر؟ هل الزواج هو الاستقرار؟..إذاً لماذا بعد الزواج يكبر قلقنا ..

....

....

الشعب العربى القارى عنده زى الخارى..

فتحى رضوان خليل

دوما أبحث عن الجديد..

هى شهوة الاكتشاف أنى أنا الإنسان خليفة الله على الأرض؛ فلزامًا على أن أكون كل يوم فى جديد، إنى من خلق الله الذى هو كل يوم فى شأن..)

الشوارع ليست جميلة.. الحر شديد.. لا بد من أن أركب تاكسى.. قلت لسائق التاكسى:

- ممكن تشغل التكييف؟

أستغرب نحن المصريين لا نحب استخدام التكييف خوفًا من فاتورة الكهرباء فى البيوت وخوفًا من استهلاك البنزين فى السيارات.. يتخيلون أن استخدام التكييف فى السيارة سيدمر الموتور وسيدفع بنزينا أعلى وسيكلفه الكثير.

- آسف يا باشا التكييف عطلان..

تعودت على سماع هذه الكلمة.. تعودت فى مصر على مقعد التاكسى أو القطار أو المواصلات العامة غير النظيفة.. هذا أمر طبيعى فى مصر.. سائقو التاكسى ينظفون هيكل الجسم خارج السيارة لا داخلها إلا بالصدفة؛ فتوقع احتمالات ٩٠% أن يكون الكرسى متسخا بالتراب وتكتشف هذا عندما تنزل من التاكسى أن بنطلونك قد اتسخ.

أشتاق إلى ناهد حجازى، ليدها، لرأسها الذى يفكر، لرائحة شفتيها قبل أن تتزوج.. وسأتزوج من تهانى بنت محرم بك مثلى فقيرة أو أعلى درجة اجتماعيا هى من الطبقة المتوسطة مثلى تشبهنى تركب الباص.. وحين يكون لديها مالا تركب التاكسى مثلى، لكن ناهد تشدنى بجمالها وقوامها وطبقتها الأعلى وتركب سيارة فاااااخرة.. أبوها ضابط جيش.. الجيش فى مصر له كل شئ والشرطة والباقى عبيد.. أنا من العبيد..

ناهد تنتظرنى فى محل تريانون فى محطة الرمل.. خدعتها قلت لها

إننى عندى ندوة وعاوز أشوفها ضرورى قبلها لأنى أتفاعل بها.. الكذب الأبيض ضرورى حتى نكحل عيوننا بمن نحب وهو قمة الصدق..

دخلت بفستانها الجميل وقوامها الساحر، كل الرجال التفتوا للحضور البهى؛ فهى ليست ككل النساء هى بهاء أنثى له الحضور والمقامات....

فى أول جلوسها صافحتنى باستعلاء:

– انت عاوز ايه ياراجل انت مش حتتجوز؟ وانا كمان حتجوز؟

لم أرد.. "لو تعلمين ماذا أريد؟".. إذا سمح لى أن أقبلك فى هذا المقهى أو الشارع أو فى الحديقة أو فى ندوة سأفعل إذا سمح لى أن أضع رأسى على كتفك، ركبتك، صدرك، وأحلم سأفعل إذا سمح لى أن أتوسد جسدك، قلبك، عقلك، سأفعل.. إذا سمح لى أن أصير طفلاً أمسك كفك وأرافقك فى كل الاتجاهات، إذا سمح لى أن أصبح منديلك، دفترك، شجرتك عصفورًا فوق رأسك يحرسك. وأصير نبضاً فى أحشاء شهوتك، وشوارع نزوتك، إذا سمح لى أن أتزوجك سأفعل الآن.. أعدك سأفعل الآن..

تعال لى أنا مرتبك جدا ومكتئب جدا وقبل ان يجف القلب عن التنهيد وقبل ان يدوسنا الوطن الحقير باقدام السفلة الجهلاء وقبل ان اختفى بين الحروف والظروف واعتزل الحياة الى التصوف وقبل ان اراك ولا اراك وان تغنى ولا احد يسمعك وان تبكى ومنديل دموعك معى وقبل ان يحتلنا العبيد ويصبح الاحرار ذكرى ياايتها العالية تعال قبل ان يغرب

الوعد والوعيد وقبل ان وبعد ان انى وحيد
أخرجت مفتاح شقة متولى أشهر أعزب فى شلتنا.
- إيه دا؟
- دا مفتاح شقة فى كليوباترا.. بتاعة واحد صاحبى.. ممكن نقعد شوية هناك.
- تصدق إنك حيوان وسافل، وأنا كل ما اقول انك سياسى ومحترم وكاتب وفنان تطلع زفت.. عاوز جنس.. جنس..
لم أرد.. وضعت يدى على جبينى خجلاً..
- أنت وقح وسافل..
- (لم أرد..)
- جرئ فى إجرامك..
- (لم أرد..)
أحضر الجرسون القهوة لنا.. جلسنا نشرب بصمت..
- اعتذر يا قليل الأدب.. قال ثورى ورئيس اتحاد وكاتب وبتحب المسرح.. وسافل كمان.
- (لم أرد..)
أخرجت عشرة جنيهات وضعتها على المائدة، وقمت، أمسكت يدها، فى الشارع وجدت تاكسى..
- تاكسى
وقفت السيارة.. ركبنا. أنزل السائق العداد..
- على فين يا باشا..

- كليوباترا الحمامات

....

....

وصلنا إلى العنوان، وصعدنا درج السلم.. العمارة على البحر أكلها البحر برطوبته، وعندما حاولت فتح باب الشقة لم يفتح، كأن الباب مغلق من الداخل بمفتاح..

شعرت بالحرج وهى أكثر حرجًا، كنا نحتاج إلى لحظات، لكن الله منعنا من الخطيئة. نزلنا إلى الشارع.. بكت هى بمرارة خجلاً وشعورًا بذنب لم يحدث.. أمسكت يدها وسرنا على البحر.. قلت لها:

- سأسافر إلى الإمارات.. قالوا فى الإمارات يولد حلم للوافد فى كل لحظة، وتغتال أحلام كثيرة فى نفس الوقت،
- وقالوا إنك هناك دائما انت مهدد بالتفتيش أى الطرد فى كل يوم ..ليس عيب الخليج بل العيب فى النظام الرأسمالى الذى يجعل الناس عبيدًا.. لم يتعلم المسلمون من سيدنا محمد أنه قسم أموال الأنصار بالتساوى مع المهاجرين حتى النساء من له زوجة ثانية يتركها لأخيه الأعزب، لكن بنى أمية أفسدوا الأمة واغتصبوا من على ابن أبى طالب الخلافة وورثوا الحكم لأولادهم ولغوا نظام الشورى.. وعندما تولى عمر بن عبد العزيز العادل الأمثل قتلته بنى أمية.. لم يتحملوا العدالة.. نحن أمة اختفت منها العدالة بعد عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز.. فى الخليج أنت عبد للنظام الرأسمالى وتطرد دون أى سبب، لذلك يصاب معظم الناس

المهاجرين للخليج للعمل بجلطات فى القلب.. الإمارات عشق دافئ وقلب بارد.. مدينة تبحث عن خارطة التقدم بأي شكل وأى وسيلة.. عيب الخليج عبودية التجارة.. تاريخ العبودية والرأسمالية فى العالم شديد.. فقراء أمريكا ٩٠% والـ١٠% يملكون كل شئ.. العدالة قانون السماء. والله يحب العدل.....

- انت اسمك هنا فى مصر بيكبر وشهرتك بتزيد فى المسرح. حتسافر ليه يا فتحى؟
- السادات بيكره العقول.. بيكره الفكر.. بيحب الحشيش والفلوس والتجارة.. السادات محروم ولقى حتة لحمة، واللى بعده حيكمل الفساد شكلها كده.. مصر ميت سنة لقدام مش حتشوف نور الحرية والعدالة..
- انس عبد الناصر شوية؟
- حاضر.

ابتسمت:

- بحب فيك كلمة حاضر دى..

سرنا.. الخطوات على البحر هى غسيل للروح من الذنوب والوجع كورنيش الإسكندرية يملك حكايات لايسمعها الكثير من الأغبياء

فى محطة الرمل اشترت ناهد آيس كريم واشتريت فيشار وسيجار صغير بخمسة جنيهات ومشيت بجوار ناهد

ذهبت إلى عم السيد بتاع الجرايد والحاج الرملى أشهر موزعى الصحف.. وجدت جلال (أمين لجنة الرحلات).. لم يرني، وجدته

يشترى كل المجلات الاجنبية والعربية التى على غلافها بنات بمايوه أو شبه عاريات.. وقفت خلفه هامسًا فى أذنه:

- جلجل.. جلال كل دى نسوان..

ضحك ببرود.. وقال لى ببرود وحسد :

- أنا شايفك بتاكل آيس كريم أنت وناهد.. أحلى بنت فى الجامعة يابختتك ياعم .. قلت اشترى مجلات.

- يا ابنى العادة السرية دى مضرة..

- خلاص أمى حتجيب خدامة من الفلاحين.. حشتغل عملى.وحبطلها ح اخليها عملى

ضحكناااااااااااااااااااااااااااااا.

الفصل الخامس عشر
آه من قلبك الذى ينسى وينسانى

فى الصباح.. شربت كابتشينو فى كافتيريا كلية الآداب وقلبت الفنجان وانتظرت حبيبتى يديك تمسك الفنجان، وعيناك تقرأ لى ما خبأته الأيام لى، وتفتحين صندوق الدنيا وحقيبة الساحر، وتعرفين أين هرب نسر حظى وطار حين غافلنى وأنا مشغول بالنور والتنوير والحرية المضرجة بالدماء، وبلمس اللُب وبروح إخناتون فى تل العمارنة.. ثم شربت قهوة وقلبت الفنجان أمامى.. إنى أبتغى من الله الوسيلة لا لأتعلم من العلم قليلًا وأسمع البحر، وأسمع دقة قلبك فى غيابى، تركت الفنجان مقلوبًا، وقمت للصلاة فى مسجد الكلية.. شباب الجامعات الإسلامية يندهشون عندما أصلى.. لم أمنع لهم مجلة أو مقالا بسبب أنهم يمنعون كل شئ، حتى الهواء حرام لنا.. كم أكره التعصب..

رحت إلى البيت.. دق جرس الباب وجدت أمامى صبرى الجمل جاء من السعودية.. دعانى للعشاء فى مطعم وقهوة فى العجوزة..

- ها أخبرنى عن السعودية كيف المدينة هناك؟..

ابتسم وقال لى :

- تركت مصر من أجل أن أهرب من إهانة البحث عن رغيف العيش.. مصر مسروقة من آلاف السنين طبقة تسرق طبقات، فوجدت فى السعودية الإهانات أكثر للمصريين.. يبدو أن الإهانة قدر مكتوب على المصريين فى الداخل والخارج، وأن المصرى يعمل هناك بحجة أنه أكل العيش مر.. انس كرامتك فى خزانة فى المطار.. أيام وتعدى.. الكل عبيد الريال ، السادات حول الاقتصاد المصرى إلى الانفتاح.. والريال أصبح بثلاثة جنيه مصرى، وأهين الجنيه المصرى

الغلبان وكذلك أهين الإنسان ومشيا بجانب حائط التاريخ يبكيان... غلبان..

ذهب صبرى الجمل إلى السعودية ليعمل فى جامعة هناك فى النشاط الفنى أو الشباب والرياضة.. تعودنا أن نجلس على مقهى الجوهرة فى العجوزة خلف مسرح البالون أو مقهى لحظة.. تذكرنا عندما سألنى وأنا أشرب الشيشة:

- حتسافر الإمارات يافتحى رضوان خليل؟
- أيوه.. حسافر.
- ومصر؟
- مصر الشعب والا الأرض ولا الزمان والا المكان؟
- الشعب.
- شعب (بزرميط) زى الأمريكان.. دائما أسأل نفسى من هم المصريون؟ أصلاً فراعنة.. ومن هم الفراعنة؟ قبائل غجرية هندية وإيرانية سكنت عند النيل، ثم نقول هذا كلام كذب.. كيف دخل العبيد بالآلاف فى عهد محمد على والمماليك وحصلوا على الجنسية، مثل أمريكا أمة المهاجرين.. قضية أصالة ونقاء العنصر المصرى مشكوك فيها مائة فى المائة.. نحن مثل الأمريكان.
- يا رجل ماذا تقول؟
- لو فحصت فى أصول وجذور العائلات المصرية خذ عندك مثال الزعيم أحمد عرابى ليس مصرياً أصلاً وهو شرف فى النضال المصرى فى القرن السابق، فأحمد عرابى ينسب إلى والده محمد

عرابى بن محمد وافى بن محمد غنيم، من ذرية صالح البلاسى البطائحى وهو أول من قدم إلى مصر من العراق وهو من ذرية الإمام على الرضا بن الإمام موسى الكاظم من سلالة الإمام الحسين بن على بن أبى طالب، أما والدته فهى السيدة فاطمة بنت سليمان تجتمع مع والده عرابى فى جده الثالث عشر المسمى إبراهيم مقلد.

- ماذا ستفعل فى الإمارات يا فتحى؟
- سأعمل صحفياً؟طوال عمرنا.. أكره الفعل الماضى وأحن وأحب الفعل المضارع.. أما فعل المستقبل لا أكتبه أبدًا الفعل الماضى من الفضة صنعه البشر والمضارع صنع بيد القدر.. أما فعل المستقبل فهو من القصدير صنعه قدر مجهول.. ويمطر عليه الرصاص رغم أن لونه أخضر، وطعمه سكر الفعل الماضى أرابيسك ومنمنمات، والفعل المضارع دفء حار ونفحة أنفاس وصور سعيدة وخوف من نحس وإشارة ضوء للروح.. طوال عمرى حزين حزن فتى مسافر فى الحروف يدركه الموت وتنقذه السماء وأتوحد مع الماء والهواء طوال عمرى أنتظرك يا عمرى..
- أنت تعيش فى رومانسية مع الكلام والحروف.. أنت مجنون يا فتحى بالكتابة .
- نعم.. ما الذى أتعبك هناك.. فى السعودية؟
- الجنس الثالث.. منتشر هناك يا فتحى.. هم يدعون أن الشذوذ جاء مع غزو الفرس.. ولكن لا أعرف الحقيقة

- اسمع مصر فى عهد كافور الأخشيد كان ينتشر بها الزواج المثلى لأن كافور كان خصياً فأباح كل شئ.. وفى عهد الأيوبيين كان حفيد صلاح الدين جنس ثالث ويحكم مصر.. هذه ظاهرة موجودة.. مرض فى البشرية.ماذا فعلوا معك هناك؟؟

هل حافظت على نفسك ؟..

(يضحك)

- لم يفعلوا شيئا معى.. حصلت على فيلا هناك.. وذات صباح وجدت المدير الخاص بالنشاط عقد اجتماع للموظفين المصريين.. وقف المدير السعودى وطلب من الموظفين المسئولين عن النشاط أن يقفوا كالتلاميذ أثناء كلامه لهم اندهشت.. شعرت بالإهانة وتداعت صور المصريين فى صفوف السخرة أمام الإنجليز التى حكى لى أبي عنها، كنت أريد أن أحقق جزءًا من أحلامى هناك بالحصول على المال، لكننى لم أتوقع الإهانة حاولت أن أبلع الإهانة داخليًا وخارجيًا.. فكرت أن أصرخ فى وجهه كف عن إهانتنا أيها السيد النفطى.. ولكن تراءى لى وجه زوجتى وابنى وأننى إذا عدت إلى مصر سأبدأ من نقطة الصفر.. زوجتى لم ترث من أهلها مالا وأنا أخ لأحد عشر أخًا وأختا ماذا سأورث غير موهبتى لأولادى.. هل العمل فى الخليج يعنى التنازل عن الكرامة مقابل الريال السعودى، السنوات تلاحقنى.. أحتاج إلى شقة فى مصر.. يا فتحى كرامة الكاتب تسكن فى عاطفته وعقلة وتختبئ. وصوت المشرف السعودى الذى بدأ يسب ولا أحد يقدر على إيقافه أو التحكم فيه..

وبدأ الخواء فى كلماته.. فجأة جلست على أحد المكاتب الثلاثة المتفرقة فى الغرفة وصرخت فى وجه المشرف السعودى..

– خير فيه ايه؟

جن المشرف كيف لا أقف صفا مع الموظفين المصريين..

– قم يامصرى ياللى اسمك صبرى الجمل لما أحكى معك..

لم يقف صبرى وتحدى بصمت.. خرج المشرف من الحجرة وكان آخر يوم له فى العمل هناك، والظالمون ما لهم من ولى ولانصير.. لم يبق لصبرى إلا الله.. عليه توكلت وإليه أنيب.

وخرج صبرى الجمل بواسطة رجل داعية إسلامي شهير هناك هو الشيخ محمد متولى شعرواى أحضر له الجواز والتذكرة بعد أن تم طرده من الفيلا إلى الشارع وأبلغوه أن الموظف المسئول أغلق على جوازه الدرج وسافر إلى أمريكا. حملت زوجته الطفل وظل يبحث عن من يؤويه هو وابنه وزوجته.. وعرف بعد أربعة أيام أن هناك شيخًا اسمه الشيخ متولى شعرواى فقابله فى المسجد وشكى له وساعده الشيخ الشعرواى على العودة لمصر..

– حمدا لله على سلامتك ياصبرى..

....

....

رجعت إلى محرم بك بيت خطيبتى تهانى.. تكلمنا كثيًرا وفجأة قالت تهاني:

- كلما حدثتك عن الحب حدثتنى عن مصر.. يا رجل

تركتها ونزلت.. مررت على بيت جلال وجدته فرحا بوجود الخادمه الجديدة

ضحكت وفتشت فى مكتبة أبيه وجدت كتب طه حسين أشعر بالاختناق، وجلست أقرأ طه حسين

- ما بك يا ولد يا فتحى؟
- لا شئ مجرد ضيق بلا سبب..
- ماذا تقرأ يافتحى؟
- طه حسين
- ماذا يقول؟

قال طه حسين وهو يحدثنا عن التفسير فى السيرة النبوية كان الرسول عليه السلام عظيما لكن المفسرين لم يفهموا عظمته وقال لو طال عمرى لفسرت ألف حديث نبوى يرضى الله سبحانه وتعالى وسورة النور التى أحبها إذا امتد بى العمر ولكن العمر لا يمتد، ولكنه يتمدد أمامك على الفراش.

ثم قرأت مقال انيس منصور فى الأهرام: قال توفيق الحكيم لأنيس منصور قبل أن يموت: أريد أن أعترف بأخطائى لك قبل أن يسألنى الملكان:

الغلطة الأولى أنى اشتغلت بالأدب أما الغلطة الثانية أنى توهمت أنها صناعة محترمة أما الغلطة الثالثة أننى أقفلت بابى وشباكى فى وجه الناس كى أنفرد بنفسى أفضل.. الغلطة الرابعة أنى توهمت أنى مع نفسى

أفضل منى مع الناس.. الغلطة الخامسة أنى عرفت كل هذه الحقائق ولكنى لم أفعل شيئا.. الغلطة السادسة أنى سوف أموت وحدى كما كنت أكتب وحدى إذا كانت الحياة هى العذاب والحرمان فالموت هو الراحة من العذاب والحرمان.. الغلطة السابعة أنى أصدقك الآن أنك سوف ترحل بى فى أسرع وقت فالحياة هي الكذب والموت هو الحقيقة الوحيدة.. على مهلك فى ترك هذه الحياة.. على قول المعرى "مشيناها خطى كتبت علينا.."

تركت جلال يخطط ويدبر لمضاجعة الخادمة بعد نوم أبيه وأمه.. واتجهت إلى شارع محرم بك اتصلت بتهانى من هاتف من محل .. التى سألتنى:

- لماذا تتركنى دومًا فى مواعيدنا لتقابل المثقفين.. فتحى لماذا تكتب يا فتحى وأنت قادر ان تستخدم عقلك للتجارة.. كتابة إيه؟

قلت لها:

- الحقيقة الأزلية يا تهانى.. إننا شعب به جميع المفاسد وتراكمت من كل العصور ونحن أيضًا أكثر الشعوب العربية بل والعالمية رومانسية وعاطفة وانفعالات والعقل لدينا يعمل ببطء ثم يعود ليركن ويتوقف عاماً أو أعواماً أو قرناً ويعطل بلا سبب.. وأنا أعمل على تفسير وإصلاح وعطب العقل المصرى والعربى- باى يا فتحى.. نفسى لما تكلمنى تكلمني عنى مش عن مصر والعرب والجاحظ باى باى .

سؤال تهاني دوما لى

- لماذا تكتب وتحاول أن تصلح عطب وعطل العقل المصرى والعربى؟؟

قلت لها مبتسماً:

- أنت لا تدرين ماذا فعلوا مع الإمام مالك الذى كان يعمل على العقل..

عن قتيبة قال كنا إذا دخلنا على مالك خرج إلينا مزيناً مكحلاً مطيباً قد لبس من أحسن ثيابه وتصدر الحلقة ودعا بالمراوح فأعطى لكل منا مروحة وقال لا يؤخذ العلم عن أربعة: سفيه يعلن السفه وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه، ومن يكذب في حديث الناس وإن كنت لا أتهمه في الحديث، أو صالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به.

تعرض الإمام مالك لمحنة وبلاء بسبب حسد ووشاية بينه وبين والي المدينة جعفر بن سليمان، ويروى أنه ضرب بالسياط حتى أثر ذلك على يده؛ فيقول إبراهيم بن حماد أنه كان ينظر إلى مالك إذا أقيم من مجلسه حمل يده بالأخرى، ولعل البعض يتعجب فيقول وما شأن خليفة بفتوى في الطلاق؟ ولكن العجب يزول عندما نعرف أن هذه الفتوى كانت أيام حركة النفس الزكية ثورة المدينة والبصرة وقد رأى فيها أبو جعفر المنصور المسوغ الشرعي لنكص الناس عن بيعتهم للمنصور بدعوى أنهم مكرهون عليها وقد ربط المنصور بين تعلم مالك على يد جعفر الصادق من أئمة أهل البيت وبين هذه الفتوى وثورة المدينة. الأئمة الأربعة عاشوا فى ظلم الجهل وقسوة الحكام وجهل الشعب.. إنى أشعر بأن كل نابه متهم.. ما فعلوه مع الإمام مالك دليل

واضح..(لهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالآنعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ). الأعراف:١٧
إنهم من كثرة الضرب للإمام مالك، فقد سجنوه وخلعوا كتفه يا حبه عينى لأنه يستنير وينير الناس.. جهل الحكام وجهل العامة قتلوه.. المسلمون الجهلاء قتلوه ونرى أكثرهم للحق كارهون.. وبعد ذلك اعتنقوا مذهبه، مثلما فعل اليهود مع موسى عذبوه وكذبوه وبعدها تمسكوا بمبادئه ومثلما فعل المسيحيون مع عيسى.. نحن أمة لا تحب الاستنارة والنور.. من نبغ منا نبغ بمفرده، بقدرة الله ودفع الثمن حسداً، وجوعاً وحرباً وسجناً وقتلاً وسحلاً وفقراً.. ونمشى فى الجنازات نقول رحمه الله كان عظيماً..
ويخصوص الجنازات.. كما قال الأمير عباس حلمى الاول بعد موت جده محمد على (عباس حلمي باشا ١٨٤٩ ١٨٥٤ هو حفيد محمد على وابن أخ إبراهيم فى عهده اضمحل الجيش والبحرية فى مصر وأغلقت كثير من المدارس والمعاهد. عاش عيشة بذخ وانصرف عن التفرغ لشئون الدولة.. ظل فى الحكم قرابة الخمس سنوات، واغتيل فى قصره فى بنها فى يوليو) قال عباس حلمى فى رسالة إلى السفير البريطانى: الحمد لله صنعت جيشا فى مصر يستطيع أن يمشى فى الجنازات بخطوات عسكرية منتظمة.. (كانت أوربا وروسيا وبروسيا أجبروا محمد علي، على حل الجيش المصرى) بعد أن حل جيش محمد على المكون من عبيد كان يشتريهم كل يوم (٣٠٠ عبدٍ) ويعطيهم الجنسية المصرية، وكون جيشا عظيما.. أليست أمريكا جيشها القوى

مثل جيش محمد على من كل الأصناف عبيد المال حصلوا على الجنسية الامريكية.. غالبية من حكموا مصر كانوا لا يفقهون إلا قليلا..

الفصل السادس عشر
النور فى دمى يجرى

كاظم..

هذا يوم غريب لم تحضر سهر إلى الفصل منذ أسابيع.. إن حضور سهر للفصل يعنى حضور الحياة له، وحضور المدرسة والفصل بالطبع.. هل من الممكن أن أحضر روحها للفصل أو حضور قلبها.. كنت أحلم أن اكون روائياً. وهل لو كتبت ستكون فى مستوى كتاب "النبي" لجبران خليل جبران؟؟.. يحكى التلاميذ عن ذكرياتهم ولا يهتمون بنا.. نحن محطات أو لمبات أو شموع أو خناجر في حياتهم.. هم لا يحبون زمننا هم أكثر منا اندفاعا وأحلاماً.. زمننا غير زمنهم.. نحن زمننا يسير ببطء.. نحمل على أكتافنا عمرنا.. محكومين بعبء الماضى والوقت.. هم ينطلقون للمستقبل ونحن متجهون للموت..

مر اليوم بطيئاً.. الغروب يحط بجناحيه على الجبل.. النور يسرى فى دمنا حين نحب.. يقف فى نافذة البيت. يطل على الجبل.. فكر كاظم فى هذا الغروب.. لو يهرب ويأخذ سهر ويترك الجبل.. ويعيش فى أحد ضواحى الشام.. دمشق تتسع للغرباء كل العواصم تحتوى كل المتناقضات.. سنذوب هناك يا عمرى.. فلا يقلقنا المختار ولا التاجر شداد ولا شيخ عقل ولا تقاليد ولا عادات الموحدين. الحب لا يعترف بكل الأشياء.. الحب ملك للأذكياء والبلهاء.. همّ بالخروج من البيت، وقفت أمامه وردة

- وين رايح؟
- رايح الجبل.
- آجى معاك.
- لا..
- انت لسه زعلان منى؟
- لا.
- آجى معك.؟

خرج وأغلق الباب، وسار نحو الجبل.. وفى الطريق قابل سهر..

- سهر

- هلا أستاذ كاظم.

- وين رايحة؟

- عند خالتى شهرزاد.

- سهر.

- نعم أستاذ كاظم.

- انتى ليش ما تيجى للدرس والمدرسة.. وممكن أسألك سؤالا شخصيا.. انتى بتحبى منقذ؟

- هو زوجى وبيكون إن شاء الله .

- متأكدة من مشاعرك؟

- كيف وردة أستاذ؟ والبيبى فى بطنها إن شاء الله يكون بخير..

(لم يرد.. ماذا يقول لها.. ألا ترين دموعى السجينة.. ألا تسمعين دقات قلبى؟ ألا تشعرين بأنفاسى وصهد الشتاء فى وجهى يلفحك بحنين.. عندما أراك.. أرى النور فى وجهك وأحس بالنور فى دمى يجرى.. النور فى دمى يسير)

- أشوفك بخير أستاذ... سلم لى على وردة..

مشت ببطء ومشى قلبى خلفها، والعصفور يطير فوق رأسها كأنه يرقص أو يسبح فى الهواء أو يتطاير.. يراقبها كاظم وهى تصعد.. ووقف صامتا ودقات قلبه تلاحق خطواتها وتقفز خلفها وهى تصعد الجبل.. وظل يراقبها حتى اختفت.. وقبل أن يفيق، أفزعته.. حركة يد على كتفه، فالتفت إذ يرى أمامه راغب.. أخا وردة وابن العمدة

- شو بك أستاذ؟

- لا شئ؟

- ليش واقف هون.

- بحب أطلع الجبل.
- وهو عم يحبك.. تعال نقعد على القهوة شوى تعال..

جذبه من يده وسار كاظم كطفل لا يعرف أين يذهب أو إلى أين يمضى.. أحيانًا تحولنا الحياة إلى دمى فى يد الآخرين لا ندرى يميننا من يسارنا.. لا نعرف الصواب من الخطأ..

تقف سهر أمام دار شهرزاد، وهى تمسك فى يدها بعض الكراسات.. فتحت لها الباب، أجلستها.. شربت المتى، وبينما تجهز القهوة قالت شهرزاد..

- اسمعى يا حبة القلب.. هل تحملين شيئا فى قلبك للأستاذ كاظم الآن؟
- لا
- لا تكذبين علىّ؟
- أنا أشعر برعشة خفيفة كلما رأيته.
- هل يمر على خيالك؟
- فى الحقيقة لا ولكن كلما فتحت الكراسة ووجدته يترك لى بعض الكلمات مثل إلى الأمام دوما يا سهر.. أشعر بالفرح. لكنه لايمر على بالى إلا كلما دخل الصف. الفصل.
- قدره وردة وقدرك منقذ.. الزواج أقدار..

الفصل السابع عشر
أحبها دون النساء سيدة قلبى

فتحى رضوان خليل..

..... اختارت تهانى أن تكون زوجة لى. فيفى لا تحب الثرثرة وصامتة معظم الوقت ولا تحب التدخل فيما لا يعنيها تنصت لى جيدا باهتمام وتهون على خيانة المثقفين وخيانة الوطن..

قرر فتحى السفر إلى الإمارات بعد أن أبلغ عنه محمد غنيم مدير قصر الثقافة أمن الدولة، بأنه شيوعى لأنه يخرج مسرحية لصلاح عبد الصبور مسافر ليل.. فى المساء جلس فى الفرقة حيث كان يخرج لفرقة القصر مسرحية حديقة الحيوان لادوارد اولبى ترجمة على شلش الناقد المحترم.. وهناك تعرف على فاتن الجميلة الساحرة.. التى قالت له:

- أكتب لى كلمة على كتابك..

فكتب "خففى ما شئت وتعففى وتمردى فكل حروفى كبرياء منك ولك.."..

نظرت فى عينيها التى تحمل شهوة لى فى الخفاء.. آه لو ملكتك الآن.. لارتشفتك وردًا ورمانًا.. وفى شفتيك أسقيك جنة الحنان، وألبستك من همزاتى الواصلة والقاطعة ثوباً، ومن حلمات النساء، أنا من كتبت على جسد النساء أنك ياسمينتى، وملكة الملكات، وأنك مسك النساء وسيدة المساء، وقمر الجمال.. أنا أفتتن بين أحضانك كل أسرارى، أرتقى كوكًبا.. إذا امتدت حروفك على صدرى صارت نجومًا.. أنت صرت عطرى وقبلتى لك من زهرى وِوردى ويدى ترسم على جلدك ألواناً.. لم تخلق ويراها البشر..

أمسكته فاتن خلف الكواليس وقبلته قبلة شديدة ساخنة خاطفة وجرت. فاتن سمراء، جسدها رشيق ليست قصيرة، وليست طويلة.. كانت رائحة عطرها جذابة بشكل خفى.. بعض النساء لهن سحر ووقار وأنوثة طاغية.. كلما خطوت نحو الفرح خطوة.. شدنى الحزن خطوتين.. ترى لماذا الجدلية الخفية بين الفرح والحزن.. يا حياتى.. سأمر يومًا بشفتى على يديك لأمسح قبلات نساء خدعننى ودموعاً انسالت من عينى دون عنوان، وأرسم على خديك نهديك قارورة كحل للقمر. وأجعل قبلاتى أيقونة عشق فى تاريخ العشق.. أنت تاريخ النساء اختصر فى أنثاك.. يا أنثاى أنا يا أنااااااا... عندما أقول أحبك يحمر خد القمر.. أعتقد أن الحب لم يعرفه إلا قلة من البشر وأنا منهم.. والله بصير بما يعملون..

تذكرت وأنا صغير، عندما دخلت شقتنا أخبرتنى أمى أن شقة عايدة سكنت، جاء رجل اسمه جرجس صول فى الجيش المصرى، ومتزوج من سيدة طيبة للغاية اسمها سوزى وانجبت منه ولداً وبنتاً ثم ماتت زوجته وذهب إلى حرب اليمن وكان يود الزواج من أختها بعد الحرب، ولم يعد من اليمن (أخذت من الجيش المصرى الكثير والكثير).. جاءته رصاصة ومات.. وبعدها سكنها موسى رسام للرسوم العارية من العصر الإيطالى.. كان لديه راديو ترانزيستور كنا نحب أن نشاهد رجلًا يحمل راديو ويذيع الأغاني وأنت تسير به.. دخلت الشقة وظن البعض أن كل من سوف يسكنها مسيحيون.. لو سكنت أسرة ثالثة فى الشقة لقالوا إن روح السيدة العذراء تسكنها خاصة وأن

كنيسة بجوارنا قالت الناس إن روح السيدة العذراء جاءت وطافت فيها فأحيطت الملايين حول الكنيسة عدة أيام. ولكن خاب ظنهم جاءت أسرة مسلمة..

جاءت أسرة أم العربى من بورسعيد مهاجرة، المكونة من العربى ومسعد وجلال وأحلاهم.. العربى أكبر منى بعامين ويليه جلال الذى رفض أن يترك بورسعيد.. وبعد فترة قرر جلال الحضور إلى الإسكندرية.. جلال كان يريد الزواج من نادية قريبتى ابنة الخال، ولكن نادية تزوجت عبد الحميد الذى كان يعمل مسئولا عن التوقيع فى شركة الغزل.. عبد الحميد أبوه رجل صعيدى يعمل فى شركة الزيوت المستخلصة.. كان اسمه صابرة على.. جاء من سوهاج للإسكندرية وتزوج من الإسكندرية.. أنجب ولدين وبنتاً.. وكان عبد الحميد هو الثانى فى ترتيب الأولاد.. كبر الأولاد.. وسكن فى حى كفر عشرى فى الإسكندرية.. زوج ابنه الكبير عبد الرؤوف وابنه الثانى عبد الحميد، وبنى لعبد الرؤوف غرفة على السطح.. أما عبد الحميد سكن فى خارج البيت بعيًدا عن أبيه وأخيه.. اختلف عبد الحميد مع زوجته بسبب أخته ناهد التى كانت تخلق مشاكل كثيرة وكانت متزوجة ولها أربعة أولاد.. وطلق عبد الحميد زوجته.. وذهب قلبه إلى نادية ابنة الخال، وعندما طلبت زوجته نقودا قالت لها ناهد أخته:

- روحى ارمى العيال على كوبرى التاريخ..

وكان صابرة يعطى زوجة ابنه المطلقة كل أول شهر ربع جنيه.. ومات صابرة وعاش عبد الحميد مع أمه، وفى كل يوم يحضر لها

سندوتش فول من على باب الشركة وكل ١٥ يوم عند القبض يسدد لصاحب عربة الفول ثمن السندويتشات.. وظل الأولاد مع أمهم ورزقها الله برجل طيب تاجر ميسور الحال فربى العيال فى أحسن تربية.. ولم ير أباهم ولا صورته طول العمر.. كان عبد الرؤوف يصفر لزوجته التى تسكن الدور الثانى حتى تنزل السبت ويناول زوجته الطعام فيه حتى لا ترى أمه الطعام الذى أحضره وهو صاعد على السلم وهى تقطن الدور الأرضى.. كان عبد الرؤوف قلبه قاسيًا مثل أخته ناهد.. وكانت زوجته تتاجر فى السلع المنزلية بالتقسيط فتكسب.. تعلم المصريون هذه المهنة من يهود مصر.. كانت الأم تشم رائحة اللحم والفراخ بحسرة حتى ماتت الأم، وكانت طيبة للغاية.. أطلق الناس عليها اسم حنونة من كثرة حنانها.. ماتت الحنونة بحسرتها من بخل ابنها عليها.. أما زوجة عبد الرؤوف خدعها ابن عمها نادر الذى أوهمها أنه سيتاجر فى الطعام وشحنة سمك وصلت وأخذ منها ٣ آلاف جنيها على وعد بعد أسبوع ومضى أسبوعان.. ثلاثة ..أربعة.. لم يحضر النقود جاءتها ذبحة صدرية.. لم تعد صاحبة الفراخ واللحم والتجارة، ودخلت فى غيبوبة مخ.. جاء إخوتها أثناء مرضها، وسرقوا أثاث البيت قطعة قطعة حتى السرير، تركوها على الأرض.. أما زوجها فأصبح غير قادر فقد أتاه الزهيمر ويمشى فى الشارع لا يعرف أحدًا.. تزوج عبد الحميد من نادية على أساس أنه رئيس قسم وجاء عبد الحميد بعبد الرؤوف الذى أصيب بالزهيمر إلى بيته.. وكان عبد الرؤف يخرج إلى الشارع ونادية تبحث عنه أو يقوم فى الليل يتبول على

الأولاد وهم نائمين.. قال عبد الحميد لناهد أخته.. خذيه وخذى معاشه وأكليه واصرفى عليه.. كانت ناهد جبارة تضرب نفسها بسكين وتدخل القسم وتكتب محضرا وقضية ضده.. عبد الحميد كان رئيساً لقسم التوقيع كان يخاف من أخته ناهد.. أخذت ناهد أخاها عبد الرؤوف فى حجرته وأغلقت الباب عليه وكل يوم تلقى له برغيفين خبز فقط ولم يطل به الأمر مات.

أخذت ناهد أخت عبد الحميد تزور ناديه تسبها وتطلب منها الطعام.. كيلو سكر، جوربين للواد القطة ابنها وتدخل عند الجيران وتقول لهم:

- دى صارفه فلوس أخويا.. (ودوما تقول) دا خير أخويا..

مات عبد الحميد فجأة.. راحت ناهد أخذت كل ملابس أخيها عبد الحميد حتى الطاقية، وهددت نادية اعملى له شادر كبير للعزاء، واعملى له أكل للفقراء على روحه، وقدمت شكوى ضدها أن لديها شقتين.. وكانت نادية لها شقة واحدة وتأتي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل فى الشتاء تطلب مشاهدة العيال، وكانت تحاول أن توسط أقاربها (تبتعد).. قامت جدة زوجته الأولى بتهديدها أن الرجل مات وكل واحد يشوف مصلحته.. وفجأة سقطت ناهد فى مرض خبيث وماتت.. أثناء دفنها وقف الشيخ يدعو لها بالرحمة وأن يجعل الحجر رطبا تحت رأسها ووقف أهل الحى: ما تسمعش كلامه يارب.. هههههه ذكريات تداهمنى.. بلا سبب..

لو كان لى عمر جديد وقدرة الساحرين لضممتك إلى أحضانى وأعدت بك العمر مرتين لأحبك مرتين حب اللون الأبيض للنهار..

باختصار أنا فى العشق لا أعرف الكذب والهذر ولا التلوين الحب عندى يقين وأنت نور.. أليس النور يقين.. شريط الذكريات مازال يداهمنى لا قوة فى الأرض توقفه إذا مشى الشريط .

فجأة مات جلال ابن أم العربى فى الإسكندرية.. كانت الشقة مسكونة بشئ ما خفى، وذهب العربى للمشاركة فى حرب ٦ اكتوبر ١٩٧٣، وتم حصاره فى الجيش الثانى مايسمى بالثغرة، وجاع وشرب البول وشاهدوا أيام ذل.. عاد من حصار الجيش غير.. أصبح لا يطيق مصر.. ونومه غير منتظم، ويحب التسكع.. جاء بكلب فى الشقة، وظل الكلب يخيف العمارة.. كان العربى يضرب الكلب بقسوة، وكان الكلب يخيف الأطفال بنباحه وينتهز أى فرصة لفتح الباب لكى يهجم على أى واحد من السكان.. كانت أمه تحدثه عن الأيام الرعب التى عاشتها بورسعيد.. فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦، وأنه بعد انسحاب الإنجليز هجم البلطجية البورسعيديون واستباحوا المدينة فى غياب السلطة، وأرسل عبد الناصر ذات فجر قوات الجيش والشرطة وحاصرت عزبتهم وقبضت عليهم وكل ما عندهم من أسلحة ومكاسب.. كنت أسمع حكايات بورسعيد وحكايات العربى أشعر بأننا شعب مسكين.. أقنعت العربى أن يتخلص من الكلب، خاصة بعد أن أخاف إحدى الفتيات الصغيرات وهجم عليها وأفزعها بشدة..

لابد من السفر إلى الإمارات أو الكويت قد أجد الديمقراطية هناك.. نكاد نجن فى مصر كلما قرأنا خبرا عن ديمقراطية الإمارات وخاصة الكويت وما تكتبه الصحف فى مصر. لم يكن هناك غير الوطن

والله فى القلب لم يكن هناك غير الحب فى قلبى وتطهرت من الشر مذ كنت صبيًا ونسيت أن أحتوي بعضًا منه لأواجه العالم.. لم يكن هناك غير الحكمة أسعى إليها حتى أرى الله بقلبى وأرى الجمال المحدود فى النساء والجمال المطلق فى الله. لم يكن هناك غير طريق واحد وقالوا لى اختر إما طريق الخير أو الشر وأنا لا أرى أمامى إلا طريقًا واحدًا لم يكن هناك غيرك كنتِ رسالة من الله ورحمة وكنت مسك النساء ولكن عنادك وكبرياءك هو البلاء لم يكن هناك غير الحب والحنين أسقيك إياه حين يجف حنان البشر.. لم يكن هناك غير الله لى وأننى وحيد. السادات قال لنا الديمقراطية، وضحك علينا خدعنا.. الخدعة كبيرة وتحول المثقفون إلى جواسيس على بعضهم لأمن الدولة وكتبوا عن بعضهم بعض.. إن ٩٩%من المثقفين خونة فما بال الشعب الذى يخون نفسه كل لحظة وكل يوم، وخان نفسه سبعة آلاف عام.. أشعر أنى أبحث عن وطن أو وطن يبحث عنى لحظة الغياب¨ أنا لست فى دهشة ولا استغراب مما يدور.. قال لى محفوظ عبد الرحمن صديقى ذات يوم أنت فى عصر الخيانة بالمجان.. ركبت الباص شغل السائق الكاسيت شريط الشيخ كشك واستمعت الشيخ كشك وهو يقول بلهجة ريفية:

ـ لو اتكلمنا عن عيوبنا فى الريف أو المدينة نتكلم كلام يتكتب فى مجلدات احنا اللى اخترعنا الكذب فى العالم.. الواحد فى وشك يقولك كلامك مظبوط تدير وتمشى يلعن أبوك ويسفه فى أفكارك ليه؟؟ ليه بنعمل فى بعض كده؟ احنا مسلمين واحنا مصريين لازم نحب

بعض ونتطهر نبطل نكذب مش معاكم معاكم.. وعليكم عليكم..

ضحكت كثيرًا على ما يقول الشيخ كشك.. كم هو رائع هذا الشيخ أصاب كبد الحقيقة.

فكرت أن أخرج مسرحية حديقة الحيوان لادوارد اولبى حتى أشغل وقتى قبل ظهور نتيجة الليسانس.. فكرت فى الطفل المعجزة أحمد آدم الذى لابد وأنه كبر وكان قد اعتزل التمثيل.. بحثت عنه إنه الطفل المعجزة فى التمثيل منذ ١٠ سنوات. الآن كبر انتظرته فى محطة الرمل عند الدليل السياحى قالو لى إنه يحضر كل يوم ليعاكس البنات هناك مع مصطفى رزق صديقه.. ووجدته وأقنعته بالحضور إلى قصر الحرية والعودة للتمثيل قال لى لغة عربية فصحى إيه ومسرح عالمى.. كان أحمد آدم يرفض أن يمثل باللغة العربية، فالفصحى صعبة، وفى كل يوم آخذه إلى قهوة البرابرة فى العطارين وأحضر سندوتشات فول وفلافل، ونأكلهم ونشرب شيشة وشاياً أحمر ونبدأ فى تقطيع أداء النص والتدريب على مسرحية حديقة الحيوان لادوارد أولبى.. لغة عربية فصحى.. كانت ألفية بن مالك مازلت معلقة فى ذهنى من كلية دار العلوم.. سألنى أحمد آدم:

– أنت دماغك ناشفة ياريس لمين تعمل مسرح عالمى تعالى نعمل مسرحية كوميدى؟

قلت له:

– لا مسرح عالمى وفصحى.. جدى صعيدى دماغه ناشفه.. هرب من

الثأر من المنيا فى صعيد مصر إلى قرية الضهرية بحيرة فى شمال مصر.. يا أحمد.. مصر أول شعب عرف الثأر فى التاريخ ودا اللى مش عارفينه المسئولين.. حورس أول شخص ثأر لأبيه من عمه ست ورغم أن ست أثناء المقاومة خلع عين من عيون حورس إلا أن حورس كمل القتال وثأر لأبيه وقتل عمه ست.. عارف يا أحمد العين اللى بنحطها على الأبواب تحمينا من الحسد، هذه رمز لعين حورس التى خلعها ست فى أثناء مقاومة الموت من حورس

كانت المسرحية صعبة، لكننى رأيت كمخرج أن أظهر ما فيها من يسار ضد التخلف.. والغرب الذى يحطم مفهوم العدالة الاجتماعية والرأسمالية الحقيرة.. أشعر أن العدالة حلم المصريين منذ آلاف السنين وحلم البشرية منذ فجر التاريخ وحلم السماء لنا كبشر.. أنهيت المسرحية.. كنت أجهز أوراقى إلى الإمارات.. كان محمد رفاعى صديقى الشاعر المرهف الحس فى قسم الحضارة فى كل ليلة نمضى الوقت على المقهى يكتب لى بخطه الجميل مقالة أرسلها إلى جريدة الوثبة فى أبى ظبى إلى سيد شحم.. رفاعى يكره الصحافة ويقول إن الشعر هو مستقبله، وقابل رؤوف توفيق مدير تحرير صباح الخير فى الإسكندرية عند عبد الوهاب لطفى رئيس القسم، فعينه مراسلا لصباح الخير فى الإسكندرية، ففرح وكنت فى خلال الفترة الأولى أجمع له أخبار المثقفين فى الإسكندرية ورفاعى هو الصديق الصدوق الطيب الجميل الشاعر الإنسان، وقلت له إن الصحافة مهمة لتحقق نفسك كشاعر وإلا ستتحول كشاعر فى المحلة الكبرى، حيث مولده وكان

لطفى عبد الوهاب يرى فى محمد رفاعى المستقبل لقسم الحضارة. كان محمد رفاعى رفيقى فى كل ليلة نحلم بغزو العالم بالمسرح والشعر قابلت حسن سلام فى الطريق اطمأننت عليه فهو رجل عظيم عامل بشركة النحاس يسارى الهوى والفكر وكنت أراه يذاكر الثانوية العامة منزلى لتحسين دخله ومستواه هكذا نحن الفقراء بالعلم وحده نتحدى الفقر.. أذكر أني ولدت فقيرا لذلك نزلت لأكتب عن نبض الفقراء مهما كانت جنسياتهم أو لغتهم ودياناتهم.. وكأن الفقر دين له لغة مشتركة نراها بعيوننا ونتحسس بطوننا طوال الوقت وندرك الفقر ولا يتركنا إلا بمعجزة من السماء.. قال الإمام على رضى الله عنه وعليه السلام لو كان الفقر رجلا لقتلته..

أحاول أن أراوغ الاكتئاب حتى لا يمس روحى وقلبى وقلمى.. الفقراء أحباب الله والأغنياء أحباب الله أيضا ولكن حسابهم أكبر.. قلت حسن يا سلام أنا أصبحت مسئولا عن المسرح فى قصر الحرية تعال وأخرج مسرحية أنا اكون عشر فرق مسرحية فى القصر فقال أبو الحسن سلام:

– سوف أقدم مسرحية ثورة الموتى.

قلت: هيا..

قال: ومحمد غنيم؟

قلت: فى دورة إعداد الرواد فى القاهرة منذ شهور..

بدأت البروفات، وبعد سبع بروفات، دخل غنيم قاعة توفيق الحكيم فجأة وصاح عندما شاهد حسن سلام:

- ايه اللى جابك هنا يا ولد يا شيوعى؟

وطرده من القصر هو والممثلين قال له حسن:

- فتحى رضوان هو اللى جابنى.

قال غنيم:

- فتحى رضوان يقدم للتحقيق فورًا... أنا مدير المكان

جريت خلف حسن سلام، الذى جلس فى مقهى البوابين فى العطارين.. كنت أشعر أن مصر تنحدر بعد السادات..

وقتها نزل فى السينما فيلم انتبهوا أيها السادة، وكتب أخى رمضان كتابًا بعنوان انتبهوا ايها السادة.. لكننا لم ننتبه .إن الشعب كله انزلقت قدمه خطوة خطوة ودخلت الثقافة العشوائية وأفلام المقاولات والنصب والاحتيال وتحولت مصر إلى انفتاح حتى غرقت للنخاع.. أصبحت لغة الأفلام والأغانى وكل ما حولنا لغة سوقية.. كنت أفكر فى الهروب من مصر التى غرقت أمامى فى التفاهة.. ويسعون فى الأرض فسادًا والله لا يحب المفسدين.

فاتن تسكن أمام مقهى البوابين.. آه يا فاتن نورك يغطى حى العطارين.. محطة الرمل.. كل الإسكندرية.. كل رجال الأرض إلا أنه نور انبثق من روحى ذات مساء منحة من السماء لك لتكونى الأنثى الاستثناء.. لك تعبر الحروف ويعبر بجوانحى الخوف.. لا وقت عندك لى والزمن يلاحقنى بنسائم شوق لك فأرحل لك فى معراج ولا أشبع من ترحالى بين الحرف والقلق وشقاء وجد خفى أعترف أنى إلى حبك وعشقك منجرف ومن هواك سأنحرف فأنت استثناء النساء وأنا رجل

مختلف.. الحب أحيانًا نبى واحيانًا غبى، حبيبتى سأقول لك سرًا.. أنتِ مسك النساء.. وسيدة الاستثناء.. سيناديك جنونك لى بلا قيود لأن سكوتك وبعادك هو مقاومة احتلالى لك من بعيد فقاومى لكن فى ذات مساء سوف ترفعين علم الاستسلام وأضمك فى صدرى وأغمض عينى ولا أنام..

سألتنى فاتن لماذا أنا؟؟ ولماذا فاتن بالذات؟؟ أذهب كى أنام على صدرها وأنا أشرح درسًا وهميًا بصوت عال حتى لا يرونى وأنا أنام على صدرها.. فاتن أقسم عليك بالله وبالسؤال والانتظار والحوار والأخيار والأشرار.. أقسم عليك بالوجع والخوف والقلق.. أقسم بالحروف وبالخسوف والكسوف أن تفتحى نافذة من نور قلبك للروح.. أهلكتنى الظنون والجروح

– كل شوية تقول فاتن فاتن مالك ومال اسمى ؟

– لك فى اسمك جلجلة وقوة قاهرة لكنك معى بين منطقة التردد والجبن حائرة، وردودك على جارحة، وكأننى صياد عصافير سأسجنك فى قفص.. أى خواء أفكار يسرى فى رأسك الجميل حين يميل لى..

أنا لا أخطط للحصول عليك ولا أجعل حبك مشروعا.. الحب بهذه الطريقة مذبحة.. إننى من الممكن أن أكتفى بك معى وبجلوسك فوق مكتبى أو مقعدى أو مخدعى.. أنا شجون عاشق حليم هادئ.. محاط بجيوش من نساء يسرقن من لحظات من رجال مجهولين.. هن لصوص الحب أما أنا يا أنا، رجل تنفذ روحه إلى سيدة الاستثناء سيدة فوق التصور رجل لا يذبح ورقة ورد ولا صوت عصفور كنارى.. أنا

عاشق الربيع ورعشة الخريف ومطر الشتاء ونسيم الصيف كما أعتقد وكما أعتقد انك مقتولة بالظن وجرحك نازف فى صمت.. لكنك كل صباح تتحولين إلى أنثى جديدة.. لذا اخترتك أنت يا فاتن.. أنت حضور حافل بالمعانى وميلاد ذاتى وجدل أفكارى وأحلامى وأنت قوة ضد تفككى والانقسام وأنت لى الأم والأب والأخ وقناديل الروح فى عتمة يخلقها القصور والقيود من سلطة اللغة والأغبياء وأنا الغائب وأنت الحضور وأنت التعويض وقوة البناء وأنت ضمير كل الأشياء، وأنت ضوء وجع يدغدغ الليالى والنهارات والبراءة دون انضباط، وأنت تلقائية التوالد فأنت توالد مستمر للبهجة والحزن وكل البدايات.. ربما فهمت انك تعشقيننى وانك سوف تضحين من اجلى وتشتري احلامى وربما كنت املك روحك منذ الف عام وكنت فى ضلوعى اهة ونغمة ووتر كنت اظنك رمش عين سقط من عين فينوس الهة الجمال هدية لى من القدر ربما ظننتك عصفورة شمسا حلما قنديلا منديلا ياقوته كنت اظنك وطنا ينتشلنى من بلاد اللامعنى تصبحين لى معنى وبشارة وعبرة لمن لا يعتبر

فاتن اسمك عطر ينسكب فى أيامى يشمه الناس وأنا أظل أتعطش رحيقك، تشعرين بنبض قلبى وتفتحين شهوة روحى وتبتعدين بالجسد والروح عنى وأنت منى يا قاسية كم لى فى العشق سيرة وأنت مسك النساء لى وأنت الراقية.. عرفت أن الحب مصرى الجنسية والهوى مذ قامت إيزيس بجمع أشلاء أوزوريس فاجمعى أشلاء قلبى من النساء بيديك الحانيتين.

– يا رجل أنت.. .يا أستاذ بيدوخنى كلامك.

– يا فاتن.. وأنت معى أشتاق لك مرة، وأنت بعيدة عنى أشتاق لك مرتين، وأنت صامتة أسمع صوتك عبر حروف أوراقى وأنت تتحدثين فى الهاتف، أسمع دقات قلبى تغنى فى صوتك.. من أين تأتين بكل هذه القدرة..؟؟ أم أن العشق له أسرار وأنا لم أزل لا أعرفها بعد.. ترى من له القدرة على تغيير حياتى إلا نظرة من عينيك.. ترى من يقدر أن يمسح أحزانى إلا كفاكِ حين يمسحان جبينى ترى من له القدرة أن يجمعنا غير الله

ذهبت إلى قصر الثقافة حيث أعمل، أبدا لا أنسى لحظة حانية من امرأة جميلة أو كلمة رقيقة من أنثى أنيقة ولا أنسى أبدًا صمتا حزينا فى عين امرأة يشاكسنى وتخجل من الكلام معى ولا أنسى حنان امرأة بوردة أو كلمة أو لمسة أو ضحكة بريئة أو هدية بسيطة، صباح معجون بالمطر وموج بحر الإسكندرية الغاضب.. صباح الحياة يا أنثاى الحب لا يعرف الكبرياء الحب يعرف البساطة والفراشة والتراب ونسمات الهواء الحب بهاء وأحيانًا غباء وأحيانًا انتعاش أو سأم من الدلال والصمت.. بهاء الحب عندى أن أسمع صوتك عبر الهاتف أو ألمس كفك أو أهمس لك حين يتم اللقاء صباح ياسمين مأسور من البنفسج.. إسكندرية غارقة فى المطر.. مطر يغسل ذنوب البشر ويغسل قلوبنا الجريحة.. ويطهر البحر من التلوث... مطر مطر مطر كنت فيما كان أعشق القبلات تحت المطر، والتسكع على البحر.. الشاطئ بلا عشاق هل اختفى الحب أم اختلف البشر؟

قدمنى مدير القصر غنيم محمد للتحقيق الإدارى فى القصر، وأبلغ عنى أمن الدولة فى شارع الفراعنة بأنى أقوم بتكون خلية شيوعية وأنى أستقبل محمد ابراهيم مبروك كاتب القصة وهو شيوعى.. وطلبنى العميد محمد خضر فى أمن الدولة.. ارتبكت الأسرة لحضور مخبر من أمن الدولة وورقة استدعاء.. ذهبت فى الموعد الساعة السابعة مساء وانتظرت ساعة وسألنى:

– أنت بتعرف شيوعيين يا فتحى؟

– إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا..

– أنت حتتحول إسلامي. أنت بتعرف شيوعيين.. الأول كنت بتحب فلسطين والمظاهرات عند منظمة التحرير فى اسبورتنج والشيخ إمام ونجم.. بتروح المركز السوفيتى عند حسين عبد الربه وتسمع عدلى فخرى وسمير عبد الباقى وبتعرف محمد ابراهيم مبروك، وفى الجامعة بتعرف حسن عقل.. ليه كل اللى تعرفهم شيوعيين..

– أنا بعرف اشتراكيين.. مش شيوعيين يا باشا .

– نعم يا اخويا؟

– الاشتراكية هى العدالة .

– والشيوعية يا افندى .

– دا حلم.. بعد الاشتراكية، ومش حيحصل يا باشا.. الجهلاء يا باشا مابيفرقوش بين الشيوعية والاشتراكية.. والاشتراكية دى مذهب اقتصادى مش محمد إقبال شاعر الإسلام وباكستان بيقول عن الرسول سيدنا محمد علية الصلاة والسلام: الاشتراكيون أنت إمامهم.. وغنت

أم كلثوم القصيدة دى.. عشان الرسول الكريم خلى الأنصار تقسم كل فلوسها وأملاكها مع المهاجرين.. وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً..

- أنت يا بنى بتدروش عليا.. تعملى إسلام اشتراكى..

خرجت من أمن الدولة لا أعرف أين أذهب.. خرجت بحثا عن نور فى وطنى التائه فى الظلام لم أجد الشمس ولا النور ولا حتى الظلام، كأننا وطن.. كأننا بشر.. كأننا نحيا.... ذهبت إلى بيت فاتن للدرس.. ليس كى أشرح لها دروس الثانوية العامة لغة عربية بل ذهبت لأحبها.. أمسكت فاتن يدى ستكونين من مريداتي، وستكونين قصيدة فى جبينى، وحكمة للنساء، وللمهرات، وأيقونة المتمردات، ستكونين فى خزائن قلبى، وتكونين زمنى الخاص، ستدخلين عارية كما ولدتك أمك.. لأنثر عليك زهورى المقدسة.. قبلتها وأنا وهى فى الصالون، سأدغدك كل يوم فى أحضانى وأنا أغنى بوجعى فى صمت.. أنا يا فاتن عندما أعشق أكتب على جسد النساء وقلوبهن وأرواحهن قبل الورق.. ضممتها فى صدرى.. ونسيت العالم.. خرجت من عندها وأحمل فى يدى كراستها.. إلى الشوارع.. الشوارع شجر ليمون وورد بنفسج وناس تائهة أيها الراحلون كل يوم على جثة الوطن.. رفقا بأحذية جنودكم إن قلبى فى كل شبر فيه ولى فيه ذكريات أغلى من الماس الذى تبحثون عنه الآن صباح الوجع والوحشة كم توحشنى يا وطنى وأنا غريب فيك.. صباح الخير يا وطنى يا وحشة الروح.. جلست على المقهى وفتحت فاتن كراستها وجدت بها خطاب حب

"عندما أقرأ كلماتك أشم عطرك فأنظر إليك يهتز نهديك وأرى يديك تداريهما بأن تضع عليهما عقدًا من الفل.."

قالت فاتن في اول لقاء لنا :

- عارف أنا بحبك ليه؟
- ليه ؟
- لأنك قذفتنى فى وجهى بمنديلك ذات بروفة.. فاشتعلت فى جسدى شهوة المشاكسة معك.. وأصبح عندى رغبة التسكع معك والحوار معك.. وأنت رجل مخلوق من حروف، ومن نور، ومن مشاعر، وقلبك دومًا مسافر على طرقات مدن المعرفة والشجن..

نزلت من أمن الدولة إلى ميدان محطة الرمل، اتصلت بالهاتف من السنترال ببيت فاتن

- الو مين؟
- أنا فتحى رضوان خليل مدرس فاتن.. ممكن تدينى فاتن ياطنط؟

جاءت فاتن مسرعة..

- الو
- فاتن..
- نعم.يا استاذ فتحى

تنهدت رددت بصوت مجروح

- ذات يوم سأدغدغ أفكارك القديمة بأنفاسى واذيب قلبك فى ميدان محطة الرمل بإحساسى لأنى ساعتها سأجمعنى بروح الجموع..
- اتكلم بالعامية..

ضحكت.. قالت:

ـ وبعدين..

- يا فاتن إنى أتبرأ من كوكبكم وأفكاركم.. أتبرأ من ظلى الذى عشق فى يوم أرضكم.. أتبرأ وأعرف أن لا رجاء فيكم ولا خوف عندى من التبعية لله ولا إخلاص لديكم ولا أحب عنادكم.. أتبرأ من اللون الأحمر والأزرق والأسود، وأحب قهوة غامضة من يد أنثى تعشق الكلمات، أتبرأ من صخور وحضور أفكاركم والتفسيرات وأعشق فى قلبى التجليات، أتبرأ من العالم إذا لمست شعر أنثى عالية المقام وأن أسيطر على مفترق جسدها وأهيمن على روحها، وأتبرأ من كل ما سبق من قصص عشقى للنساء..(ضحكت).. كلما حدثتك عن الحب حدثتنى عن مصر.. يارجل

- خلاص بكره إن شاء الله أجيب لك الكتاب واجى لك باى

مشيت على شاطئ محطة الرمل.. عند تمثال سعد زغلول.. هذا المكان يشدنى.. ذكريات طفولتى وشقاء العمل من أجل أن أساعد أبى.. محطة الرمل مكان أم حصاد الروح المجروحة بالعمل..

بعد أسبوع فى مسجد النبى دانيال كنت أصلى قابلت بجوارى العميد محمد خضر من أمن الدولة.. دهش وصافحنى وخرج.. مصر تعانى من كساد فكرى وتتجه ناحية الهاوية.. كتاب جلال أمين "ماذا حدث للمصريين" يربكنى لقد لاحظ تدهور مصر منذ عام ١٩٥٠فى بعض القيم الاجتماعية.. كنت لا أعرف الكثير عن التراث المصرى..

أما التاريخ العربى فكنت لا أقترب منه كثيرا فى ذاك الوقت.. آه يا وطنى أنحنى على يديك قدميك أقبلهم وأقبل أرضك شبرا شبرا.. انهض من موتك وابعث فينا الحياة مرة واحدة.. يا وطنى أحبك الله وأرسل لك العديد من الأنبياء وتجاهلتهم وطردتهم وقتلتهم... يا وطنى اغسل يديك من الدماء وعقلية التدمير والدمار.. آه يا وطنى العظيم الحقير النذل أنت من أحبك الله وأحب أرضك دون كل أرض البشرية فكن مرة فى التاريخ شريفًا ونقيًا ونموذجًا ونبيا مع أولادك.. آه يا وطنى الظالم طول الوقت وطول التاريخ أنصف أولادك مرة وادخل التاريخ والعصر بكبرياء.. أتوسل إليك..

الانحطاط الأخلاقى والفكرى الذى فى الثقافة والفن والتعليم والشارع انعكس على السياسة فأصبحنا فى انحطاط سياسى.. أنا برئ من كل هذا أمام الله وأمام أجيال أخرى ستأتى فى المستقبل اللهم فاشهد..

لم أعرف لماذا كان يصر أبى الرجل الطيب الحاج الأمى أن يشترى لى كل يوم جريدة حتى أقرأ كل الصفحات ماعدا صفحات الحوادث، وتعبأت بالسياسة دون أن أدرى، وحتى أننى كنت أول من حفظ ميثاق عبد الناصر فى الصف الأول الثانوى وكنت اخطب واستشهد به ، وخرجت فى أول مظاهرة وأنا فى الصف الثالث ابتدائى خلف شباب مدرسة النهضة النوبية الإعدادية..

كنت أذهب إلى بيت فاتن فى العطارين كى أشرح لها بعض دروس النحو، أم أبحث عن دروس فى الحب والقبلات، أنا رجل

تطعننى الوحدة كل ليلة بسيف بارد.. أسعى ولكن أقاوم سعياً للنور رغم أن الظلام يحاصرنى ليل نهار.. ضربت جرس الباب.. فتحت الباب فاتن.. تعرف موعدى:

- مساء الخير

فتحت الباب.. فتحت باب الروح وعطرها يلفحنى، مساؤك لى أيتها المهرة البرية المتمردة. تعالي إلى حضنى أضمك أنثرك دفئا للكلمات وبخورا للمصلين فى محراب العشق أنت دخلتِ باب الملكات فى قصر عشقى فتعالي وتطهرى.. دخلنا الصالون، ضمتنى حتى دخلت إلى الحشا.. ضمينى أكثر فأشعر أنى أكبر وأصير عملاقا ونورا..

صاحت أمها: مين اللى جه يا فاتن؟

صاحت وهى فى أحضانى: أستاذ فتحى مدرس العربى.

هل تعرفين معنى الأنثى فى سطور رجل يستمد الطاقة من روح أنثاه جنونًا.. يدفعنى للخرافة مع أنثى تعشق الحياة ماذا جرى ليلتئذ حين قلت لك تعالي ولم تقبلِ دعوتى وقهوتى.. ماذا جرى ليلتئذ على الرغم من أنى لا أحلم كثيًرا فقد داهمتنى الأحلام واختلط الحلم بالوقائع وأنت كنت فى كل لقطة فى الأحلام.. ماذا جرى ليلتئذ حينما تعرى قلبى لك وتفرسته بعينيك، كنت مهتاجًا كالثور مشدودًا كالوتر، أطلب يديك وأنت كنت فى السراب ترافقينى كالعدم، ماذا جرى ليلتئذ خلعت جبة الولى العاشق حين سمعت صوتك وهربت من خراب النفوس التى تلاحقنى واستهلكنى عشق الوطن فى جميع الأحوال.. وطن يركب الحمار والأحقاد والرغبة فى الانتقام وطن ثري ويدعى أنه قحط.. ماذا

جرى ليلتئذ؟ أنا لن أقف فى طابور عشاقك حتى يأتينى الدور وأجبر على الانحناء لأن العشق بلاء.

ماذا جرى ليلتئذ؟ تغمغم حروفى حين أرى اسمك أو أسمع صوتك، ماذا جرى ليلتئذ؟ المحيطون بى محبطون، وأنت وردة تفاؤلى فكونى ولو مرة مرة واحدة نسمة رحمة لى فى حياتى التى اغتيل الفرح فيها طول العمر.. على المقهى جلست..

***

فتحى رضوان خليل

كنت أحب فاتن.. أستعد للزواج من تهانى.. أغرق فى عشق فاتن..

آه يا فاتن ذات يوم سأخطفك وأضع حول عنقك حرف الياء وأضع فى أصابع يديك حرف الألف وألف خصرك بحرف السين.. وأضم شعرك بحرف الفاء وأعصب عينيك بحرف الألف، وأضع خلخالا فى كاحل قدميك بحرف النون.. وأكتب شهادة ميلادك من جديد وأسميك ياسمين. ولكن كل أحلامى مؤجلة ليس بيدى أن أحققها، لم يسعفنى الحظ العظيم بعضها هاجر أو سافر أو انقرض أو اختفى أو كمد حزنا ومات.. آه أحلامى يا أحلامى.. صرت رجلا مطفأ الحلم وفى إذعان للقدر وللمكتوب ولكننى عنيد مازلت أحلم كل يوم لأن الله كل يوم هو فى شأن.. ولكننى يا سيدتى حياتى سجل هزائم من الوطن والأصدقاء حياتى كانت اختبارات من الرحمن

إنى أحتاج إلى جيش إنقاذ من ملائكة السماء لتنقذنى من حوارى مع الطرشان.. وأنا إنسان خلقه ربه من الفخار وخلق الجنة والنار فبأى آلاء ربكما تكذبان، ولكنهم على الرغم من جهلهم أحبهم فهم شعبى الغبى، ملأت حكاياته التاريخ وكله جواسيس ووشاة ومشعوذين ولكن فيه ثلة من النبهاء والحكماء مغتربين، ولكنها أحبها دون النساء سيدة قلبى.. فهى ست الحسن ورونق يعطر جسدها بأنوثة مطلقة وأنا رجل يجيد الانتظار. قلمى لا يبكى بل يسطر نورا.. فهل تفقهون أم غشيت الأبصار وعميت القلوب أم أنى بالحروف مفتون ومجنون وأنتم بالجهل معجونون..

آه يا فاتن.. صباحك لى دون كل رجال الأرض وقلبك لى أمرح فيه وأطلق بالونات الفرح فى فضائه وعقلك للوطن فى المظاهرات، وروحك للرحمن الذى خلق الإنسان وعلمه البيان صباح لنا ياأنا. وحماك الله من شر الناس ومن شر نفسك إذا استيقظت أو وسوست

اقتحم الحجرة جلال امين لجنة الرحلات.. أغلق الباب خلفه قائلا:

- الحقني ياريس؟
- خير..
- مش خير ابدا.. البنت الخدامة؟
- مالها..

اخذ يبكى كالأطفال

- فيه ايه ياولد؟
- الأول كنت بحسس عليها وأبوسها وأجيبهم واستريح.
- وبعدين؟
- شوية شوية.. بقيت أخلع هدومى.. وتمسكنى وأستريح.
- ها قول وخلص أنا مش فاضى لك؟
- وبعدين اتعلمت وعملت بجد.. ولقيته حلو بقيت أعمل كل يوم.. بتقولى امبارح إنها حامل

وأخذ يبكى

- يخرب بيتك؟ دى عيلة أقل من ١٦.
- بس حلوة.
- اعمل ايه.. أنا ما اعرفش تعمل ايه؟ ماحبلتش واحدة قبل

كده.. روح شوف حد من اللى مروا بالتجربة دى.

- أبوس ايدك يا ريس.

اقتحمت الغرفة ناهد حجازى وأخذت تقذفنى بالكتب فى وجهى:

- يا كذاب يا نصاب يا بتاع النسوان بتنصب عليا وبتقولى بحبك وتروح تخطب واحدة تانية وبعدين تعمل علاقة مع بت فى ثانوية عامة اسمها فاتن.

نظرت إلى جلال لأنه الوحيد الذى جاء من الكلية إلى البروفات فى قصر الحرية وشاهدنى أنا وفاتن في حالة انسجام أثناء البروفة وغمز لى..

- انا اللى قلت لها ياريس..

قمت من المكتب واقفا.. صائحا:

- الكلب دا مغتصب بنت عندها ١٦ سنة وحامل وجاى يطلب مساعدتى دلوقت أنت بتصدقى واحد يغتصب القاصرات..

ذهلت ناهد.. خلعت الحذاء وهجمت على جلال:

- يا حيوان يا حيوان

كانت فرصة ان أحوشها وأمنعها وأحتضنها وأمسك نهدها، وهى شعرت فى قمة انفعالها وغضبها أنى تحسست كل جسدها صاحت:

- ابعد إيدك يا حيوان انت كمان

خرجت ناهد.. انفجرنا أنا وجلال فى الضحك وهو يضحك والدموع فى عينيه..

بحثت عن شهيرة صاحبة السيارة الفارهة بنت الطبقة الراقية

والتى تحل مشاكل البنات الحاملات باسم مساعدة الإنسانية، وأخبرتها من باب الإنسانية تساعد جلال.. صاحت:

- هو جلال حامل؟

انفجرنا فى الضحك مرة اخرى..

مر جلال من هذه الأزمة لكنه لم يتوقف عن الاعتداء عن القاصرات الخادمات.. وظل جلال على هذا الحال حتى بعد أن كبرنا صار متخصصا فى البنات القاصرات ينزل فى الشوارع بحثًا عنهن والوقوف أمام المدارس الإعدادية، وكنت كلما عاتبته قال ضاحكا:

- لو جربت واحدة مرة لن تسلنى .
- أعوذ بالله.. يا جلال.. يا شيطان..

ونضحك.. قال جلال:

- أقسم بالله الشيخ.... حاكم.... فى الخليج متخصص فى البنات القاصرات.. والشيخ.... حاكم... والوزير فلان ...

ضحكنا.. قلت أنتم نقابة بقى وزملاء عارفين بعض

الفصل الثامن عشر
العاشقون فى الخفاء

سهر..

هل هى أنثى أم سحر؟ الحب أحيانًا نبى وأحيانًا غبى.. كاظم مرتبك بسبب غياب سهر عن الفصل وقالت سهر لأمها وأبيها إن الثانوية العامة تحتاج إلى المذاكرة فى البيت أكثر، خاصة وأنها قسم أدبى وليست قسم علمى.. الغريب أنه فى كل يوم تجد سهر رسالة عشق على باب بيتها..

هل عشقت مرة قمرًا لحظة يكون فى الأرض وألف لحظةً فى السماء ومليون لحظةً يكون فى قلوب العاشقين فى الخفاء.. ليمنحهم البهاء.. تلك هى سهر أجمل بنات الجبل والقرية..

جاءت ليلى إلى بيت سهر.. يوم ويوم تأتى ليلى لتذاكر مع سهر، وفى كل مرة كانت تنتهز أى فرصة لتقبلها..

– الله شفايفك بتجنن ياسهر.

– أنت أحلى.

– طيب هاتى بوسه كمان.

قبلتها.. ثم غابت ليلى فى القبلة.. انتفضت سهر..

– شو هذا يا ليلى؟

– تعال خدى واحدة تانية..

– لا.

– لا.. ليش حوريك كيف.. تقبلين زوجك وكيف تتمتعين..

– لا ما بدى..

فجأة دخل العصفور من نافذة الحجرة وصفع ليلى بجناحيه على

وجهها.. أصابت سهر قشعريرة.. ارتبكت.. قالت ليلى:

- شو ها عصفور..

قامت سهر وقالت عندى مشاوير اليوم.. كفاية مذاكرة اليوم.. قامت ليلى مرتبكة:

- اوكيه بشوفك بكره..

خرجت ليلى.. وبعدها ارتدت سهر ملابسها وذهبت إلى شهزاد، وحكت لها ما جرى وما كان من ليلى من حركات التقبيل والتحسيس.. ابتسمت شهرزاد:

- هذه بنت مو طبيعية.. هذه شاذة بتحب النساء..
- كيف يعنى ياخالتى؟
- يعنى ما تحب الرجال تحب النسوان.
- يا ويلى يا ويلى..
- لا تصاحبينها ولا تعاشرينها.. دى خطر.. أكيد أبوها جه هون من الأردن عشان فضحته هونيك..
- يا ويلى يا ويلى..
- انسى ماجرى اليوم واسمعى يا حبيبة القمر..

الفصل التاسع عشر
أنتظر عصفوراً

سهر

تفتح شباك بيتها على الليل والشجر والعصافير التى نامت فوق أغصانها.. عصفورها لم يأت الليلة إلى نافذتها وهى تنتظره.. ترى أين أنت يا عصفورى الصغير؟.. لقد تعودت عليك.. أنت يا عصفورى قلب رجل أو قلوب رجال تجمعت كما تقول شهرزاد.. لقد تعودت أن تأتينى فى كل مساء على نافذة شباكى وأفتحه لك وتدخل وتنام فى أحضانى فى الفراش.. أنت أيتها الطيور النائمة.. أين عصفورى؟ هل خطفته عصفورة؟ هل صاده طفل برصاصة رش طائشة؟ هل هو حى أو مات.. آه.. ما أغربنى من فتاة أنتظر عصفوراً..!.. هل جننت؟

ليلتها لم تنم سهر وظلت طوال الليل تنتظر العصفور.. لم يأت وأصابها القلق وتركت الشباك مفتوحًا، ودفعت ثمن الانتظار، فقد أصابها هواء الليل البارد الذى غار من عشق سهر للعصفور.. أليس الليل سيد القصائد والأشعار وتاج العشاق وساتر العاشقين ويعرف كل أسرار البشر والورد والنجوم والموج..

نامت سهر فى الفراش.. المرض هو الإشارات والتحولات التى تصيبنا فنتذكر الله والسماء ونتذكر الموت ونتمسك بالحياة ، سواء كانت الحياة سخيفة أو جميلة.. يتمكن من أجسادنا المرض.. فنغيب عن الأصدقاء والأقارب ونغيب عن المقهى والعمل وتفاصيل الحياة والمحبين.. والغياب للعاشقين عذاب..غاب العصفور عن سهر.. ومرضت سهر..

غابت سهر عن المدرسة.. كاظم شعر أن المدرسة جحيم و بيت مهجور مظلم خال من الحياة والنور.. أما فصلها فى المدرسة فتحول إلى غرفة تعذيب فى بيوت جهنم، ومكانها الخالي فى الفصل كأنه قمر بارد معتم..

وكاظم يتلوى.. بى حزن مجهول العنوان..ذات يوم سألثمك من شفتيك يتفجر فى أحشائك ديوان شعر..

فى بيته شعر بأنه لايطيق وردة زوجته و زميلتها.. لايطيق أحدا.. إن الشوق الكامن فى داخل كل منا طاقة تحترق تؤرقنا وتجعلنا نذوب فى مشاعر مجهولة الهوية..

الشوق يحطمنا ويجعلنا نبكى ونحن للغناء ، البكاء ، الكتابة ، التأمل والشرود ، الشوق مجنون.

مرت النساء على شهرزاد.. سألتهن شهرزاد عن سلمى أم سهر وعن سهر أخبرنها أن سهر أصابها برد شديد....وهلى ملازمة الفراش.

وضعت شهرزاد الشال على كتفها حملت البخور وزيت فى زجاجة.. وطارت على بيت سهر.. دقت الباب.. فتحت الأم.. بالترحيب قبلتها شهرزاد من خديها ودخلت إلى غرفة سهر

- وين سهر.. كيف ماحدا خبرنى واتصل بى؟..

دخلت إلى سهر احتضنتها..

- يا خالتى لا تحضنينى.. أنا عندى برد سأعديك وتمرضين.

- لن أمرض منك ياحبة القلب..

أخرجت زجاجة الزيت الصغيرة، وأشارت لها قائلة:

- سأدهن جسدك الآن كله بهذا الزيت وستنامين، وفى الصباح ستشفين بإذن الله.. هذا زيت مبروك به سحر بركة.. وصفة ورثتها أمى عن جدتى وورثتها عن أمى.. سأقول لك سر خلطتة حين تشفين.. اخلعى ملابسك يا وردتى..

سهر تتصبب عرقاً، والغريب أن لا رائحة لعرقها بل رائحة عطر لم تقابله شهرزاد ولم تقرأ عنه فى الكتب ولا سمعت عنه من أنس ولا يعرفه جن.. قالت شهرزاد وهى تدعك جسدها:

- سبحان من خلق الإنسان وعلمه البيان وعطر الورد والهواء وعطر جسد بعض النساء..

أيدى شهرزاد تدهن الزيت على جسد سهر، الجسد المرمرى فى ليونة الماء والهواء وفى ليونة الملبن فى النهدين ونعومة عجين الياسمين، والعظام صلبة شجر من الزان قوى.. كانت شهرزاد تتمتم بكلمات ربما هى كلمات من القرآن وبعضها من الإنجيل والتوراة، وبعضها من كتاب الحكمة، وربطت جسدها بشال أبيض كبير وغطتها..

دخلت الأم سلمى تحمل المتى لهما..

- المتى ويعدين القهوة..

ضحكت شهرزاد:

- بدى أشرب شربات فرح سهر.
- عن قريب إن شاء الله.
- لما آخد الثانوية.

- بتروحين الإمارات. يابختها الإمارات.. وتسيبى خالتك شهرزاد هون وسط الديابة.
- مين هادول الديابة؟
- الرجال.. فى غيرهم؟

خرجت الأم وهى تضحك.. سهر زحفت حتى وضعت رأسها على حجر شهرزاد الجالسة على طرف السرير..

- احك لى خالتى

ضحكت شهرزاد.. وأخذت تحكي وسهر تنصت. مر وقت طويل.

***

حتى قامت شهرزاد.. وأطفأت النار وركوة القهوة:

- كفى اليوم ..
- يا خالتى..
- سأذهب إلى الدار وسأمر عليك، والأفضل أن تقومى وتذهبى إلى المدرسة..
- أمى تقول إننى محسودة.
- كل واحد لو يهتم بحاله يختفى الحسد..

قالت سلمى أم سهر:

- شو بك وين رايحة يا شهرزاد؟؟
- رايحة الدار.

خرجت شهرزاد سيدة الحكايات والأسرار، سوريا تكحل عيون

النساء بالأسرار وحوار لايفهمه إلا السحرة وجن العشاق

نامت سهر فى الفراش.. تحلم بالحب والليل والنيل..

قال ابن سينا عن ابن حزم: الحب أعزك الله أوله هزل وآخره جد.. دقت معانيه لجلالته عن أن توصف فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة وليس بمنكر فى الديانة ولا بمحظور فى الشريعة إذ القلوب بيد الله عز وجل

وقالوا أريحوا النفوس بالحب فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد..

الفصل العشرون
صبحك الله بعطر كلامى وجنونى

توحشنى القاهرة، كوطن أستقر فيه، وأن أفر من الإسكندرية.. إن الخوف يلاحقنى من القاهرة العاصمة.. أليست القاهرة قاتلة الأدباء والأنبياء والشعراء والمواهب.. ألم تترك القاهرة سيبويه المصرى الشاعر فى عهد كافور الأخشيد فى إمبابة يكاد يموت جوعًا لولا مساعدات المتنبى له حين كان لاجئًا فى مصر آنذاك. تذكرت كيف كانت مظاهرات ١٩٦٨ فى القاهرة بسبب محاكمة ضباط الطيران المسئولين عن النكسة، وكيف بدأت بهتاف "غير غير يا جمال"، وانتهت عند كوبرى الجامعة بهتاف: "يسقط يسقط حكم العسكر".. لقد شعرنا أن القضاء حينذاك العسكرى فى تلك القضية تافه وحقير وغير حقيقى..

قالت ناهد:

- ازاى انت ناصرى وبتهتف ضد العسكر وعبد الناصر.. أفهم؟
- الغلط غلط والصح صح يا ناهد.. وعبد الناصر مازعلش بل عمل اجتماع يشوف طلباتنا مع الوزراء وخاصة الديمقراطية إحنا عاوزين ديمقراطية
- وعاوزين نسوان مش كده؟ بتحب الديمقراطية أكثر والا النسوان يا فتحى..؟؟
- انا مثل الشيخ ابن سينا أحب النسوان.. أحب الاثنين.
- شيخ ويحب النسوان ازاى؟

– نعم يا ستى شوفى ابن سينا بيقول ايه عنه يوسف زيدان، عن الشيخ الرئيس ابن سينا:

فى أيامنا الحالية، تحمل كلمة «شيخ» معان ودلالات كثيرة، من أهمها: الداعيةُ الدينى، الفقيهُ الشرعى، الرجلُ إذا استطالت لحيته.. وفى أصل اللغة، فإن الكلمة تشير إلى مرحلةٍ عمريةٍ من حياة الرجل إذا مَرَّ بالمراحل المحددة «جنين، وليد، طفل، ولد، يافع، فتى، شاب، رجل، كهل، شيخ..» مثلما تمرُّ المرأة بمراحل عمريةٍ محدَّدةٍ لها أسماء أخرى، مثل: "بنت، جارية، صبية، كاعب، ناهد، امرأة، عجوزٌ".. وبالمناسبة، لا يجوز فى فصيح اللغة العربية أن يوصف الرجل بأنه «عجوز» لأنها صفةٌ للنساء، كما لا يجوز وصف «الشيخ» إلا للرجل الأشيب، أما صفة «الكهل» فالمراد بها الرجل إذا كان متوسط العمر، أى بين الثلاثين والأربعين.

طيب.. لماذا يوصف «ابن سينا» بالشيخ، الرئيس، وهو الذى لم يتقدم فى العمر، وإنما مات وقد تخطى بالكاد سنَّ الخمسين؟.

....

....

الشيخ الرئيس، هو: أبو على الحسين بن عبد الله، المعروف بابن سينا، عاش فى الفترة الممتدة بين عامى ٣٧٥، ٤٢٨ هجرية. ومع أن هناك عديداً من الاجتهادات البحثية المعاصرة، التى تفنَّنت وتحايلت لإيجاد تفسير لهذا الاسم العجيب، الفريد «ابن سينا»، الذى يكتبه البعض «ابن سيناء».. إلا أن هذه الاجتهادات لم تزل، حسبما

أجدها، غير مقنعة. وظنٌّ خاطئٌ، بأن هذا الاسم مرتبطٌ بسيناء المصرية، التى نعرفها اليوم، إن أفكار ابن سينا ونظرياته ومؤلفاته، كادت جميعاً تنطمر بعد وفاته، لولا تمَّ إحياؤها فى مصر بعد ثلاثة قرون من وفاة الشيخ الرئيس، وذلك على يد ابن النفيس «علاء الدين»، رئيس أطباء مصر

ويحسب سيرة حياة الشيخ الرئيس، فقد كان مولد «ابن سينا» لأبٍ من بلدة بلخ «أفغانستان» ومن أمٍّ كانت تعيش ببلدة بخارى «أوزبكستان».. وهنا قد يقول قائلٌ معترضٌ: ما دام ابن سينا من أصول أفغانية، وأمه أوزبكية «وهى أعراقٌ غير عربية»، فلماذا نعدُّه عالماً عربياً، وواحداً من أعمدة الحكمة العربية؟

....

....

عاش الشيخ الرئيس حياته الحافلة بوسط آسيا، فى المنطقة المسماة اليوم «أفغانستان» و«أوزبكستان» فقد كان مولده ببلدة أبيه «بَلْخ» ونشأته ببلدة أمه «بخارى»، وهناك أتمَّ حفظه للقرآن وهو فى العاشرة من عمره، ثم تبحَّر فى العلوم بدعمٍ من والده، الذى حكى عنه الشيخ الرئيس فيما بعد، أنه استجاب للداعى المصرى، «الفاطمى، الشيعى الإسماعيلى» وتآخى معه على المذهب الذى كان يسمى آنذاك هناك «مذهب المصريين» نظراً لأن مصر فى زمن ابن سينا، كانت المقر العالمى للدعوة والتبشير «الكرازة» بالعقيدة الشيعية الإسماعيلية فى عموم البلدان الإسلامية، الدانية والقاصية، وهى الدعوة التى

استجاب لها كثيرٌ من الأفراد

حكى ابن سينا كثيراً من تفاصيل حياته لتلميذه أبى عبيد الجوزجانى، فكتبها الأخيرُ، وتناقلها عنه المؤرِّخون، كما أن تلميذ الشيخ الرئيس، المعروف باسم «ابن زيلة» حكى كثيراً من تفاصيل حياة أستاذه ابن سينا، فصارت لدينا «سيرة حياة» معتمدة.. وبحسب هذه «السيرة» المشهورة، فقد بدأ سطوع نجم الشيخ الرئيس كطبيب ماهر، وهو فى سن الثامنة عشرة، فقد عالج سلطان بخارى «نوح بن منصور» من مرضٍ عضالٍ ألمَّ به، حتى شُفى. وعالج أميراً آخر، فشفى من داء القولنج «القولون»، فكان ذلك مقدمةً وباعثاً على اختياره وزيراً، وهو المنصب الذى ابتلى به ابن سينا مرتين.. كلمة «وزير» مشتقة من «الوزر» واللافت للنظر، أن الشيخ الرئيس الذى طالما عالج الناس من «القولنج» فبرءوا منه، مات بالداء ذاته!

لأنه تناول أدوية قوية، قيل إن بعض الخدم دسُّوا له فى الأدوية مقادير كبيرة من الأفيون، لأنهم كانوا قد سرقوا منه أشياء وخشوا أن يكتشفها إذا شُفى من دائه.. ولأنه، وهذا سبب آخر مباشر لوفاته، كان لا يكفُّ أثناء فترة نقاهته عن إتيان النساء! وقد أشار تلميذه «ابن زيلة» إلى أن الشيخ الرئيس يعدُّ استثناءً بين الحكماء، لأنه كان يحب النساء..

وهذا كلامٌ غريبٌ من ابن زيلة، حسبما أرى، وصحيح أن بعض الحكماء اشتهر عنهم كراهية النساء مثل «أفلاطون» لكن معظم أهل الحكمة اشتهروا بخلاف ذلك، فقد كان الحكيم اليونانى المبهر

«فيثاغورس» أول من قام بتعليم البنات، وانحاز لهنَّ، فثار عليه أهل مدينته اليونانية «ساموس» وأحرقوا مدرسته..

ولم نعرف عن حكماء العرب المسلمين نزوعاً للابتعاد عن المرأة، أو الكراهية لها، حتى يكون «ابن سينا» استثناءً بينهم بسبب ميله الجارف للمرأة.. وفى الحديث الشريف الشهير، تأتى النساء كأول الأشياء الثلاثة التى أحبها النبى. وفى سيرة كبار العلماء والحكماء، ما يدل على شغف كثيرين منهم بالمرأة، حتى الصوفية الزاهدون أمثال الشيخ الأكبر «ابن عربى» وحتى وإن كانوا من «الحنابلة» الذين اشتهر بين الناس أنهم متشدِّدون. فمنهم مَنْ كانت له أربع زوجاتٍ مجتمعاتٍ كالإمام الصوفى الحنبلى الجليل «عبد القادر الجيلانى»، ومنهم مَنْ اشتهرت عنه وقائعُ الصبابة، مثل الإمام العظيم «ابن الجوزى»، الذى ذكر عنه المؤرِّخون أنه: كان لا ينفك عن جاريةٍ حسناء..

«جارية فى اللغة، تعنى الفتاة صغيرة السن التى تودُّ لو تجرى بين أقرانها وتلعب» كما عُرف عن «ابن الجوزى» براعته فى الغزل، ومن وقائعه المشهورة أنه كان يحب إمرأة باهرة الحسن، اسمها «نسيم الصبا» وسعى حتى تزوَّج منها، لكنه بعد حينٍ طلَّقها لأمرٍ وقع بينهما، لكنهما ظلا من بعد ذلك متحابَّين. فكانت «نسيم الصبا» تأتى لدروس الإمام «ابن الجوزى» وتجلس فى مقدمة مقصورة النساء بحيث يراها من فوق المنبر، ولطالما بثَّ لها فى ثنايا دروسه بإشاراتٍ عشقية، شعريةٍ ونثرية، تفهمها المحبوبة ولا يغيب معناها عن الجمهور الغفير

الذى كان يحضر دروس الإمام. وبينما هو على ذلك، جاءت للدرس فى أحد الأيام امرأتان بدينتان، فجلستا فى مقدمة المقصورة وحجبتا «نسيم الصبا» عن الإمام فأنشد من فوره شعراً: أيا جبلىّ نُعمان بالله خلِّيا/ نسيم الصبا يخلص إلىّ نسيمُها.

وعلى ما سبق، فليس الشيخ الرئيس ابن سينا بدعاً بين الحكماء، أو حالة استثنائية، حسبما زعم ابن زيلة، لأنه أحب النساء.. بل الاستثناء هو عكس ما كان عليه ابن سينا، إذ كيف يمكن للرجل أن يكون حكيماً «أى متوغلاً فى الإنسانية» وهو لا يحب «المرأة» التى بها تكتمل معانى الإنسانية، وبها ارتبطت الحكمة والتأله منذ فجر الحضارة الإنسانية وحتى ظهرت الديانة اليهودية فدنَّست المرأة بعين ما تقدَّست به «على نحو ما جاء فى رواية: ظل الأفعى».

وبعيداً عن هذين السببين، اللذين ذكرهما المؤرخون لوفاة ابن سينا المبكرة نسبياً وهو فى سن الثالثة والخمسين «الثانية والخمسين بالسنوات الميلادية التى تزيد على الهجرية فى عدد الأيام» يمكن أن نقول إن الشيخ الرئيس بدأ مبكراً، فانتهى مبكراً.. ففى سن الثامنة عشرة، كان ابن سينا قد استكمل تحصيل ما وقع بين يديه من كتبٍ وما أتيح له من معارف. وهو يشير إلى ذلك بعبارات قوية نقلها لنا «الجوزجانى» منها قوله:

(كنت أرجع بالليل إلى دارى وأضع السراج «القنديل» بين يدىَّ، وأشتغل بالقراءة والكتابة، فمهما غلبنى النوم أو شعرت بضعف، عدلت إلى شُرب قدح من الشراب «الخمر» ريثما تعود إلى قوَّتى، ثم أرجع إلى

الترقى من العلم إلى المعرفة، ومن البصر إلى البصيرة، ومن الإدراك إلى الوعى)

قلت لناهد التى كانت جالسة أمامى فى غرفة رئيس الإتحاد.. ناهد التى تسامحنى دوما :

- تعرفى إن إطلاق اللحية منذ أيام الفراعنة، شوفى صور كهنة المعبد الكبار لهم ذقون.. حتى من تعمق فى الديانة أطلق ذقنه وعند اليهود والمسيحين والبوذيين.. وكانت الصلاة أيام إخناتون تؤدى خمس مرات فى اليوم..

اقتحم علاء مقرر اللجنة الثقافية وهمس فى أذنى، فانفجرت ضحكًا كاد يغمى على.. سألتنى ناهد:

- فيه ايه؟
- جلال فى المستشفى فى خطر.
- تصدق وتؤمن بالله أنت مجنون واحد بيموت وأنت بتضحك.
- انتى مش عارفه الحكاية؟

قامت. خرج علاء.. جريت خلفها.. أمسكتها من يدها.

- أصله تعود على حركاته الوسخة مع الخادمات القاصرات.. بنت منهم ضربته بالسكينة فى عضوه الذكورى.. فاتقطع حته وركبوه له بجراحة..

أخذت تضربنى بحقيبة يدها.. وانا أجرى من أمامها ضاحكاً..

- يا قليل الأدب يا سافل..
- انتِ اللي عاوزة تعرفى.. انا حاروح اطمن عليه.

ذهبت أنا وأعضاء الإتحاد وفرقة التمثيل فى الجامعة إلى المستشفى الجامعى لزيارة جلال حملنا له هدايا غريبة.. دخلنا الحجرة عليه ونحن نكتم الضحك.. وقفنا طابورا، وتقدم واحد واحد..

- سلامتك يا جلال.. دول اتنين كيلو موز.
- سلامتك يا جلال دا كيلو خيار..
- سلامتك يا جلجل دا كيلو جزر.
- سلامتك يا جلجول دا كيلو آتة..

فتح عينيه وهو ممد على السرير وقدماه معلقتان فى عامودين.. قائلة:

- موز وخيار وجزر وآتة.. يا ولاد..

كنا نكتم الضحك.. فانفجرنا.. صاح:

- دى فكرة فتحى رضوان خليل عشان ينتقم مني.. بره بره اطلعوا بره

وأخذ يقذفنا بالهدايا، خرجنا مهرولين ضاحكين فتحت الباب بهدوء..

- المهم حتحتاجهم ما تخفش..
- بره.. بره..

قام صديقنا علاء بنشر الخبر فى الكلية، وزاد الطين بلة حين قال إن جلال ركب جهاز تناسلى صناعى وإن جهازه الأصلى معلق فى زجاجة فى حجرته..

لا تلاوعينى وتراوغينى فأنا من كثرة ماعنيت من نار العشق يجرحنى ضوء المصباح

فتحى رضوان... قالت لى فاتن :

– ماذا تريد يا رجل؟

– وحشاااانى وحشنى صوتك كأنه وطن وأعشق وطنا يسكننا ولا نسكنه، وأعشق أنثى بينى وبينها ألف ميل برى، وألف ألف ميل بحرى، وألف ألف ألف سحابة، وأعشق البهجة والضحك حتى البكاء وأن أطلق لروحى العنان أن تلعب أن تمرح أن تبكى أن تنام وأعشق الحكى مع النساء الجميلات، وأن أهدي كل واحدة فى الوداع نجمة من المساء.. وأحب الأنثى التى تقتحمنى تدخل نفق حياتى تقتسم الزمن معى، وأصابعها ترقص على صدرى وأبكى من خشية الله لأنى كشفت سر اللون الأبيض والأسود وسر الأماكن والأسماء ويحتمل أنى فتنت للملائكة عن تناسخ الأشياء وعن سر نقص نقاء الروح عندما تفقد اليقين برب العالمين، وبأننى تمنيت أن أكون ملاكا لأن الإنسان هلاك ولا يبقى منه إلا العشق وحكايات للأمواج.

فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ

جلست فى شرفة بيت فاتن أقرأ أنتظرها للدرس.. قرأت مقالًا للدكتور وسيم السيسى لعادل إمام: هون عليك الأمر أيها الفنان العظيم، إنها ضريبة الرواد الذين يستشرفون المستقبل المشرق، فيصطدمون بالحاضر المظلم، دليلى على ذلك ما قاله أحد الشعراء:

أما ترى البحر تعلو فوقه جيفٌ «جمع جيفة»

وتستقر فى قاعه الدرر «اللآلئ»

وفى السماء نجوم لا عداد لها

ولا يخسف إلا الشمس والقمر!

والعيب ليس عيب الشمس فى خسوفها، ولكنه عيب الأرض، حين تأتى حائلاً بيننا وبين الشمس!

نعيب «شمسنا» والعيب فينا

وما «لشمسنا» عيب سوانا!

من يعرف أسماء القضاة الذين حكموا على سقراط، وتوماس مور، وبرونو، وكوبرنيكوس، جاليليو، وعادل إمام؟! يكفيك فخراً أنك صارعت «طيور الظلام» من أجل الضياء، وخاطرت بنفسك من أجل شيماء فى أسيوط حتى تبعد عنها شبح الموت، وأنك قمت بدور الإرهابى، هذا الفيلم الذى تم فيه تمثيل اغتيال الدكتور فرج فودة.. هذا المفكر الذى كتب لنا ١٩٧٩ كتابه «قبل السقوط» ولكن المصريين لا يقرأون كما قال موشيه ديان! لا تحزن أيها الصديق، فهم لا يعلمون أن الشعوب تتقدم بالإبداع، وأن الإبداع لا ينمو إلا بالفنون.. كالموسيقى، الغناء، الرسم، النحت، التمثيل، لذا قالها أفلاطون: «علموا أولادكم كيف يتذوقون الفنون ثم بعد ذلك أغلقوا السجون»! أنت فى زمن.. يناقش البرلمان فيه مضاجعة «الوداع» فلم أعد أعجب من أى شئ! حتى طرد «زويل» منه.

شاهدت فى إنجلترا مسرحية: «يسوع المسيح سوبر ستار jesus christ super star» لو مثلت هذه المسرحية فى مصر، لهدم المسرح على من فيه، كان الجمهور يرى ويسمع فى صمت وأدب وحضارة!

حرصت على التواجد فى «الهايدبارك» كل أحد، كانت التعليقات عن السيد المسيح والعذراء مريم، لا حدود لها.. وأتصور أنها لو كانت فى مصر.. لأصبحت الدماء أنهاراً!

ها هى أحزان الطبرى، والأئمة الأربعة، وابن رشد، وإخوان الصفا وخلان الوفا، تحيط بنا تذكرنا بجرائمنا معهم، وهم الذين نفخر بهم الآن.. ألم أقل لك إنه اصطدام المستقبل المشرق بالحاضر المتخلف المظلم؟! كذلك حضارة أجدادنا العظماء.. التى لولاها لما زارنا أحد، ولا نظر فى وجوهنا العكرة أحد.. فلا نملك زراعة ولا صناعة، ولا علماً، ولا حتى مالاً! علام نختال بين الأمم إلا بهذه الحضارة.. أم الدنيا وفجر الضمير.
أيها الفنان الشجاع.. لقد تصديت لأخطر قضايا عصرك- الإرهاب- ذلك لأنك كما قال أمير الشعراء:

إن الشجاعة فى القلوب كثيرة   ورأيت شجعان العقول قليلا.

وأخيراً ماذا سيفعلون بنا نحن المفكرين الأحرار.. السجن؟ خلوة! الحرمان من الطعام والشراب؟ صيام! الموت؟ راحة! منهم ومن زمانهم الأغبر، وهى الأمة التى قال حافظ إبراهيم فيها:

ويهُضم فيها الإمام الحكيم   ويكرم فيها الجهول الغبى..

قالت فاتن :

- أستاذ انت دايما بتقرأ وسايبنى
- اعملى الواجب.
- أستاذ. انا بحبك.
- وأنا أيضاً..

- أنت زعلان منى .
- لا.
- اقتربت بشفتيها من فمى..

صهد الشتاء يأتينى من شفتيها فأغرق فى قبلة لم أعرف سخونة مثلها من قبل ولا من بعد.. أبوها تاجر كبير هى سمراء وأختها شقراء، كأنهما من أمين وأبوين مختلفين، مع أننى أميل للبيضاء، فإننى أحيانًا أجرى إلى أحضان السمراء دون تردد..

حلم فاتن أن أكون زوجها ولكنى لا أملك قوت يومى ويومها.. الفقراء سيدخلون الجنة.. مكافأة الجوع والحرمان..أم ستأكلهم كلاب جهنم لأنهم لم يثوروا.. فاتن حلم كل الشباب، وحلمى حين أكون وحيدها

الفصل الحادى العشرون
(مصر لا نستحقها كشعب ومصر الشعب لا تستحق مبدعيها الشرفاء..)

فتحى رضوان خليل..

دخل علاء إلى غرفتى وهمس فى أذنى..

- معقولة.
- دخلها.

دخلت طالبة فى العشرين من العمر جميلة لم أرها من قبل فى الجامعة، وهى تبكى مرتبكة:

- إجلسى يا آنسة؟
- منى.. اسمى منى.. فى سنة أولى قسم لغة عربية..
- إيه الحكاية؟
- أنا منقولة من البحرين.. بابا كان بيشتغل هناك دبلوماسى وتوفى ماما جت ورجعنا واتنقلت لجامعة اسكندرية.. بقالى شهر.. الدكتور عبدالله الوكيل أستاذ النحو قالى انى ضعيفة وطلب منى انه يساعدنى واروح له شقته فى العجمى وعطانى عنوانه والورقة اهى وبخطه.. وعرفت من الطالبات إن دى شقة خاصة والطالبة اللى مش بتسمع كلامه بيسقطها.. قلت التجأ إلى اتحاد الطلبة يدافع عنى.

بكت.. منذ شهر هجم أستاذ الأنثربولوجى الوقور الذى يبلغ من العمر ٥٠ عامًا على فتاة فى غرفة مكتبه وكانت فضيحة.. ملفات أساتذة الجامعة مفتوحة لكن دوما لا يفصل الأستاذ ويمارس الأستاذ ضغوطًا من أجل قبلة أو ممارسة الجنس الخفيف.. والدكتور عبدالله الوكيل أستاذ مساعد فى قسم اللغة العربية تشكو منه الطالبات، لكن

دائما يحفظ التحقيق ويكتفى بلفت نظر.. ماذا أفعل مع منى؟ نظرت لها.. أخذت ورقة العنوان منها.. قلت لها:

- سأتصرف..

صافحتنى.. وخرجت.. خرجت.. بعد ذلك متجهًا إلى مكتب الدكتور عبد الله الوكيل هو قصير القامة.. عاد من بعثة تعليمية فى السعودية منذ سنتين، هو ليس دميماً وليس وسيماً.. دخلت إلى مكتبه، وجدت طالبيتين..

قال ضاحكا عندما رآنى:

- أهلا ياريس.. أنا متأكد انك حتبقى رئيس مصر أو على الاقل رئيس وزراء مصر..

ضحكت البنات. ابتسمت.. أشار للبنات بالخروج وأمرنى بالجلوس.. جلست أمامه قال:

- خير هات ما عندك؟
- حضرتك يا دكتور ماتعرفش إن منى صلاح الدين الطالبة المحولة من البحرين قريبتى
- والله. ماعرفهاش.. فى سنة ايه قلت لى..

قدمت له الورقة مسكها وضحك كالثعبان:

- اه افتكرت.. دى ضعيفة جداً.
- ايه رأى سعادتك نعمل لكل الضعاف محاضرة إضافى من معيد أو معيدة فى قاعة الاتحاد أو حضرتك لو تحب تديهم يبقى رائع ومثالى..

- فكرة هايلة ياريس مش بطاله أبداً.. ماشى ..

مزق الورقة أمامى كأنه يمزق تذكرة خاصة لدخول الوكر.. خرجت من مكتبه إلى مكتب الاتحاد.. قابلت ناهد حجازى فى ممر مكتب اتحاد الطلاب، قالت:

- إذا لم أسأل عليك.. لا تسأل عنى يا ابن رضوان خليل. من الممكن أن أنساك ولا أعبرك..
- لن تستطيعى أبداً أن تنسينى أو تتجاهلينني.
- سأخاصمك بجد.. ولا أسأل عنك

إذا انقطعت عن السؤال عنى ستهجرك عصافير الجنة.. ولن تقف على باب دارك ولن يغسل شباك نافذتك زقزقة العصافير.. ستكونين وحيدة مثل قطعة الثلج على قمة جبال الغربة.. إذا لملمت اهتمامى بك ستكونين أنثى مهجورة كقصر من الرخام فى صحراء العمر.. إذا نسيتك من ذاكرتى ستكونين فى ذرات النسيان.. مثل ميرى انطوانيت أو ربما تكونى شهقة شهقتها وكانت زفيراً لا شهيقاً أو تكونى وردة ذابلة على أرصفة الحياة.. حاصرينى بودك.. وألقى على عتبات محبتى كل لحظة كلمة أحبك سيدى.. أعرف أنى سأصفح عنك بلا عناء..

- من أنت يا رجل الذى اسمك فتحى رضوان خليل؟

قلت:

- أنا لست رجل الإهانات والضرب والسب والقذف للنساء أنا الذى يضم أنثى فى صدره لتتحول إلى قمر أو شمس أو برق أو قطرات ندى.. وأنا صوت الفقراء فى بقاع الأرض فى أى مظاهرات وبكل اللغات..

وأنا دولة رجال إذا عز الرجال واختفوا تحت غطاء المصلحة وخرسوا من أجل قطعة خبز أو سيارة أو فنجان قهوة مع مسئول.. ومن يستمع القرآن ويقرأ الإنجيل والتوراة، وكل كتب الحكماء والشعراء والفلاسفة، أنا من يشترى وردة حمراء كلما مر على محل زهور ويهديها إلى إحدى النساء أو الأطفال فى الطريق، وأنا ظل من ظلال أحرف سورة الرحمن..

قالت:

- أنت مجنون؟

قلت:

- أنا سر الجنون إذا تجلى فى الفنون.. وأنا من يدعو الله وجبينه على سجادة الصلاة والعشق خنوع وخضوع.. ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب وغباء الشعب والمسئول الجهول.. وأنا من استغنيت عن الدنيا وما فيها بسبب أنى شبعت من بحر المتع والشهوات.. أصبحت خبرتى الجمالية بالنساء والطبيعة عبئًا على الروح والعقل فأظل مستنفرًا طوال الوقت..

- أنت تحاول أن تلعب معى بالألفاظ والكلمات.. يا ابن رضوان خليل

مددت يدى ألمس يدها سحبت يدها.. قلت لها:

- أنا لا أسحب يدك نحو دفء قلبى بل أجادل رأسك الخشن من كثرة الصدامات مع رجال قلوبهم باردة لا يعرفون سر النساء.

- أنت لن تكون رئيس جمهورية كما تحلم.. لن تكون شيئًا.. ما دامت النساء فى حياتك.. وهلوسات الفن، وعشق مصر وفلسطين

بجنون.. أى مصر وأى فلسطين.. وأغلب المواطنين يخونون الوطن كل لحظة..

اسمعى يا ناهد.. أعرف أنه إذا واتتنى لفتة لكاحل إمرأة قرأت فيه كم رجلًا عشقت، وأعرف أن الفلسطينيين والمصريين بينهم أغلبهم خونة فهم كثر، ولكنهم شعبى يجرون فى دمى أعرف أن المصريين قبائل هندية وفارسية خليط وأن الفلسطينيين جاءوا أصلا من تكريت لكنهم صاروا عرباً، ربما نكون قد ربينا خطأ.. عبد الناصر هو السبب.. العروبة العروبة.. أتعرفين أن عبد الناصر ليس له تمثال فى مصر مع أن له فى كل بلد عربى شارع باسمه، وأن خونة أحمد عرابى لهم أسماء فى شوارع فى مصر مثل شارع المرعشلى باشا، وهو أحد خونة عرابى، وله شارع فى جاردن سيتى، وشارع راتب باشا، وهو واحد من خونة عرابى.. له شارع كبير باسمه فى شبرا.. وهناك شارع شريف باشا فى وسط البلد فى القاهرة وهذا خان عرابى..

الغريب يا ناهد أن حى التوفيقية فى وسط البلد فى القاهرة اسمه على اسم الخديو توفيق.. حاولوا يسموه حى أحمد عرابى، لكن للأسف، الناس تعودت على اسم الخائن. أنا لا أنتظر من مصر تكريمًا لى أو لغيرى من الشرفاء.. مصر لا نستحقها كشعب، ومصر الشعب لا تستحق مبدعيها الشرفاء وقادتها الأحرار.. عرابى هزم بسبب الخيانة، وأول من خانه السلطان العثمانى الذى أصدر أمرًا بأن عرابى من العصاة، ونشر فى جريدة الطائف بأن عرابى من العصاة الخارجين عن طاعة الله ورسوله وخليفته فى أرضه، أى خالف كتاب الله وسنته..

وأول من خانه من قواده القائمقام محمد نسيم بك الذى أمره عرابى بإحضار قطار يحمل خبزًا بقسماط للإنجليز كان موجودًا بمخزن القبارى فراح الخائن وفتن للخديوى توفيق، وتوالت الخيانة محافظ بورسعيد حيث انحاز للإنجليز ضد عرابى ووكيل المحافظ على بك ياور التجأ ومجموعة من ضباط أركان حرب محافظة الشرقية وأمر الخديوى بحرمان عرابى وعائلته وذريته من كل رتبة ومرتب ومعاش وامتياز وقام محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب (مجلس الشعب) مع قائد جيش الإنجليز.. وزار المحافظات وسهل للجيش الإنجليزى ومدوهم بالطعام والمؤنة.. وخان عرابى شبكة من الضباط: زكى بك وزهراب بك، وموريس بك ويوسف ضيا، وحسين بك رمزى، وقدموا للعربان فى الشرقية رشاوى من المال مع الإنجليز وقام العربان بنقل رسائل الإنجليز إلى الخديوى بدلا من التلغرافات زيادة فى الحرص، وجاء قائد قوات هندية بفرقته لمساعدة الجيش الإنجليزى.. وبعد تسليم عرابى نفسه اعتقل زعماء الثورة العرابية، ومحمود سامى البارودى وعلى فهمى وطلبه عصمت وعبد العال حلمى ويعقوب سامى، وسجن عرابى وطلبه عصمت بمعسكر عابدين وسجن الباقون بسجن الضبطية، واعتقل جميع الوزراء السابقين مثل عبد الله باشا فكرى وحسن باشا الشريعى ومدير الشرقية أحمد ناشد وعلماء وكبار تجار وأعضاء مجلس نواب مثل أمين باشا الشمسى وأحمد بك أباظة وخطباء المساجد وبعض الموظفين والعمد ممن ناصروا الثورة وهرب عبد الله النديم.. وأمر الخديوى بسرعة القبض على الشيخ عليش شيخ الإسلام

وعثمان بك فوزى وكيل دائرة الأزبكية وحسن موسى العقاد.

وأخلى منزل أحمد عرابى وألقيت أغراضه فى الشارع للسفهاء، وتحول البيت إلى مستشفى للجرحى كمكان مناسب.. وضعوا عرابى فى حجرة مظلمة وفى الليل تفتح الزنزانة ويدخل عليه إبراهيم أغا توتنجى الخديوى ومعه أشخاص آخرون ويسبون عرابى بأقبح الألفاظ، وجعلوا خدم السجن تفتشه وليس رجال شرطة فى كل يوم.. رفض المحامى المصرى عبد الكريم ناجى قبول الدفاع عن عرابى ووافق المحامى الإنجليزى برودلى ومعه اثنان من مساعديه، وهما نابير وايف ونفى عرابى إلى جزيرة سيلان وتعلم الإنجليزية ومحمود سامى البارودى..

وبعد عام من النفى اختلف رفاق الثورة فى المنفى.. وكتب البارودى ويعقوب سامى وقالوا إن السبب أن عرابى تزوج من خادمتين عند زوج ابنته، وقالوا زوجة واحدة، وكتب لهم من مصر النديم:

(ارجعوا إلى الإخاء الحق والتزموا فى المودة الصدق ولا تسودوا وجوهنا أمام أبناء مصر ولا تخجلونا أمام نبهاء العصر فإنى أنشر عنكم من الأخبار ما لا يؤثر إلا عن الأخيار من ألفة أكيدة ورابطة شديدة وإخاء لا ينحل ووفاء لا يختل)

- ولد.. أنت بتدينى محاضرة عن عرابى ريح نفسك مش حتبقى زعيم..أنت متلخبط بين الكتابة والمسرح والصحافة والتمثيل والسياسة.. اختار عاوز تلعب سياسة سيب كل اللى حواليك واتفرغ لها. مصر مبتحبش العباقرة ولا متعددي المواهب.. مصر تكره المواهب الكبيرة مش دا كلامك قبل كده.

- عارف بس أنا إنسان، يمكن أكون حيران، يمكن أكون متلخبط يمكن أكون ببحث عن العدل ونفسى أحققه بأى طريقة وبكل الطرق.
- اعدل مع قلبك..عاوز ايه انت؟
- عاوز أسافر وتظل الكويت عروس الديمقراطية العربية وتظل دبى أجمل مدينة عربية، وأظل أنا وأنت أنت يا بلادى نحلم سويا منذ سبعة آلاف سنة بالديمقراطية وأن نزيل القمامة من الشوارع ونطهر ماء النيل ولا نحققهما أبدا

جاءنى شبل بدران من الكافتيريا وجذبنى بعيدًا وهمس فى أذنى:

- محمد شكرى أمن دولة خد بالك منه..
- مش ممكن.
- حسن عقل بيقول.
- يا رجل.

الكل يشكك فى الكل.. الحركة الطلابية فى خطر.. كل الطرق تؤدى إلى التفتيت.. عدت إلى ناهد. خرجنا وعلى البحر سرنا.. إسكندرية العبيطة أحيانًا فلا تعرف لون البحر ولون الموج.. ولا تعرف هل الجو معتدل أم الجو سئ..

- شبل بدران قالك إيه غير شكلك؟
- حذرنى من واحد من صحابنا..
- سيبك من السادات.. عبد الناصر مات وخلاص.. الزمن مش حيرجع تانى.. السادات غير عبد الناصر.. أنت فى زمن السادات يا

ابنى.

- خانوا عرابى يخوننا الأصدقاء، السادات خان مبادئ ثورة يوليو.. لازم للحركة الطلابية أن تسقط السادات..

ليس لدى أى فكرة هل ننجح مثل طلبة فرنسا كما أسقطوا ديجول.. السادات فرعون لن يقبل أن يترك السلطة.. كل فراعنة مصر يحكموننا للأبد حتى الموت.. لم يتنازل أحد إلا بقوة السلاح وتهديد روحه أو قتله..

- تعالى ندخل سينما؟
- خير ليه؟
- عاوز بوسة؟
- لا.
- يا بنت عاوز بوسة.
- وأنا قلت لا.
- يا بنت.
- لا.
- خلاص بلاش..

سرنا متشابكين على الكورنيش طريق طويل.. الإسكندرية اليوم متكاسلة مضطربة المزاج مثل ناهد.. ناهد يا حبة القلب. صوت الموج، ويدانا متشابكتين. العشق أحيانًا شجاع ومرة جبان.

فى الطريق على الكورنيش.. قابلت منى تحمل بعض الكتب فى أحضانها، وشعرها يطير كأن الهوى يمسح أحزانها..

الفصل الثانى والعشرون
الأيام حبلى بالجنون.. والغربة

كاظم

... لم ألق حظى فى العشق مرة، راحة.. نسمة من الجنة.. العشق فى صمت يجلدنى وأحياناً يقيد قلبى ويصلب روحي أمام رمشك.. يا ويحى.. يا قهرى فكى ضفائرك وأرخى شعرك على كتفيك لعل روحى من الصلب تنفك ولعل قلبى من القيد ينعتق ويحك يا سهر يا بنت الجبل والتفاح والزيتون والياسمين يا حبيبة القمر صوتك مطر وأحياناً خطر.. وصمتك قمر جميل وبعيد ومضئ يكبر ويصغر ويظهر ويختفى دون تصريح سفر..

إن الأمور تسير إلى المجهول.. الأيام حبلى بالجنون والغربة.. سحقاً لك أيها المجهول.. إنى أشكوك لرب العالمين.. أن تعلن لنا بعض الضوء وبعض الأمل.. أيتها الأيام القادمة ألقى علينا ببعض النسيم..

آه يا سهر ستسافرين ولا عنوان لك مثل الفرح أنتِ هو بلا عنوان ولا زمان ولا مكان.. عرفت الآن أنك الفرح المؤجل لى منذ الميلاد ولكن بلا ميعاد.. بلا ميعاد يا أنا.. كم أفتقدك فى حياتى.. لكنك جوه الحشا.. يهمنى أن أراك.. لأنى أثق فيك لأنك منى.. أنت من ضلوعى ورائعة همستك فى أذنى سيكون لى شموع عيد الميلاد

دق الباب فتح كاظم وجد راغب ابن المختار.. وأخا زوجته وردة

- أهلا راغب اتفضل.
- اهلاً بك..
- هلا بيك خى كاظم.

قامت وردة من حجرة النوم.. وفتحت باب حجرتها..

- هلا راغب..
- بدى إياك أختى فى موضوع خاص .

نظر له كاظم..

- بخاطركم أنا بروح أصحح.. درجات الطالبات. وبتركك أنت وأختك تفكوا مع بعضكم شوى

تركهما وذهب إلى غرفة أخرى وأغلق الباب. هو لا يحب راغب.. ولا يتفاءل بحضوره أو لقائه. جذبت وردة يد أخيها نحوها.. وجلس بجوارها حتى يهمس لها وحتى لا يسمع كاظم أى حرف.

إنها تعلم مصائب راغب لا تتوقف ففى كل أسرة واحد منها يزعجها دومًا ويتسبب فى مشاكل كثيرة.. قالت وردة وهو ينظر للأرض.

- شو بك ؟ احكى ولد شو سويت من مصايب..

بكى راغب أمام أخته كطفل.. لأول مرة تجد هذا الأزعر المتمرد ذا الصوت العالي يبكى كالأطفال.. قالت وهى تنظر له:

- شو سويت ياولد؟
- قتلت واحد.

ضربت صدرها بيدها.. وارتجف جسدها جرت للتأكد أن كاظم بعيدا لا يسمع ثم عادت إليه:

- يا مصيبتى.. متى وأين وكيف؟
- سأحكى لك، تعرفين زهره بنت سمعان الحلاق.
- بعرفها بنت جميلة وتزوجت من ٤ سنين ويا ما قلت لك بدى

تتزوجها وانت ما رضيت.. أهى تزوجت وخلفت ٣ عيال.. شو بها زهرة؟

- **زهرة جات من سنة و٤ شهور تشكى لأبيكى المختار عن زوجها قاسم أنه بيشتغل يوم يعطل عشره.. وما فى دخل عندهم وإنه طلب منها تروح تخدم بالبيوت لأن الخدمة مصاريفها كثير خاصة فى بيوت الناس اللى جايين من فنزويلا..**
- **ياعم الشوم.. دى زهرة دى قمر.. ازاى يخليها تخدم فى بيوت الناس..**
- **وبعدين خلص ولد.**
- **يوم ماجت تشكى لأبيك ما كان هناك فى الضيافة.. وكنت موجود.. رحت معاها لحد دارهم أشوف قاسم ما لقيت قاسم.. أخد ابنه الكبير وهرب.. ما ندرى وين.. وانا كل يوم ابص عليها.. أساعدها شوى.. المرأه علقت فى رأسى.. بقيت أطبب عليها وحصل بينا اللى حصل كل كام يوم أزورها؟**
- **وزوجها؟**
- **ما كان موجود وما نعرف وين راح لحد من ليلة امبارح..**
- **شو صار يا ولد أحكى أنا بدأت ارتجف.. شو صار..**
- **المرأة حملت..**
- **منك؟**
- **ايوه. أمال منه.. مع أنها بتاخذ حبوب منع الحمل .**
- **يا مصيبتى؟**

- وهو رجع ليلة امبارح.. وقالها شو اللى فى بطنك وضل يضربها وأنا وصلت عندها ومابعلم أنه موجود لقيته.. اتكاتلنا.. ضربته فى رأسه مات..

- يالهوى يالهوى..

وضع يده على فمها حتى لا يرتفع صوتها ويسمع كاظم.. ثم تركها عندما هدأت قليلاً.

- وبعدين؟

- دفنت الجثة أنا وهى فى غرفة من الغرف تحت الأرض..

- يالهوى.. يالهوى.. يالهوى.. وأبوك؟

- أبى ما يعرف شئ؟

- وأمك؟

- ما تعرف شيئا.

(لم أقل لك يا أختى إننا بعد حفر أرض الحجرة، وردمها بأشجار التفاح والزيتون.. إننى استحممت فى بيتها وضممتها إلى حضنى وضاجعتها فوق السرير الذى وضعناه فوق الجثة المدفونة فى باطن الأرض، كنا نقبل بعضنا بجنون ونلتحم بهوس على جثة هذا الندل وصراخ الأطفال فى الحجرة المجاورة.. كنا وحوشا لا تسمع ولا ترى ولا تحس بمن حولها)

- قولى لى شو أعمل فى هيك مصيبة؟..أنت أختى وأنا أخوك.

- ما بعرف شو احكى؟

- أنا فكرت لها فكرة زهرة تبلغ الشرطة أن اختفى زوجها هرب وما

بيصرف عليها.. من سنة و٤ شهور وبعد شهرين تلاته تطلب الطلاق ويتزوجها..

- حتجيب عليك راجل ويقتلك وتتزوجه.. وتدفنك جنب زوجها الأول..

(ماذا أقول لك يا أختى لم أذق لحم امرأة يا أختى أشهى من لحم زهرة هذا قاسم الملعون العاطل.. كان ما بيقرب منها إلا كل شهرين مرة..)

- ليش ساكت يا ولد؟
- ما بعرف.. اطفش من البلد..
- جنيت أنت ايه والله جنيت.. بدك امك تموت حزن عليك أمك روحها فيك يا نذل؟
- شو اعمل شو احكى ؟
- لا تعمل شيئا الآن سيبنى أفكر ولا تروح عندها فاهم.. ما تروح بيت زهرة..
- حاضر..

خرج راغب دون أن يودع كاظم. راحت وردة إلى الحمام نظرت فى المرآة وظلت تبكى..

- أخوى اخوى..

غسلت وجهها وضعت عطر ومكياج لتدارى اصفرار وجهها المفاجئ

كاظم ظل يفكر أنه يملى على تلاميذه كل يوم تعليمات ووصايا أخلاقية مؤثرة وحكم، وقال لهم الأغنياء والفقراء لا تصنعهم الطبيعة.. بل الاستغلال والفساد.. إن الله لا يحب المفسدين ولصوص الفقراء.

في بيت سهر، قالت أم سهر لزوجها:

- شو هالقصة.
- أى قصة؟
- قاسم زوج زهرة اللى اختفى مرة تانية.. بس أخته بتقول جاب ابنه عندها وراح عند زهرة فى الدار يجيب بقيت ولاده مارجع ويطلقها. مارجع. واخته متهمة زهرة بأنها قتلته.
- شو هالخرافات ست بتقتل راجل؟
- شو صار بالبلد مابعرف ؟
- بيقولو الظاهر فيه راجل تانى فى حياة زهرة
- دخلت عليهما سهر مقاطعة:
- حرام يا أمى هالحكى حرام!
- مو أنا اللى بقول الناس اللى بتحكى.
- انتى ما تقولى يا أمى هالكلام ما تحكى هالحكى. أنا رايحة
- وين رايحة.. ؟
- لخالتى شهرزاد.

ضحك الأب:

- هالمره سحرت لك شئ
- هالمره أكثر واحدة تحبنى لله فى هالبلد
- وأنا أمك وأبوك مانحبك؟
- هى أكتر واحدة تحبنى بعد أبوى وأمى طبعا بااى..

تحركت سهر إلى شهرزاد فى الطريق.. شاهدت راغب، ولأول مرة

لا ينتبه إليها ولا يشاكسها حتى ولو بغمزة عين، وكأنه مضروب على رأسه.. ولكنها قابلت ليلى وطلبت منها أن تزور شهرزاد.. لكنها اعتذرت لها، واعتذرت بلطف وقال لها لابد أن تسأل شهرزاد أولا وتطلب الإذن منها، كانت شهرزاد تجهز المتى، وقدمت المتى لسهر..

قالت سهر:

- شو أخبارك خالتى؟
- حزينة على زهرة مرت قاسم.
- لشو؟
- البنت مسكينة قاسم ما كان من توبها أبوها ظلمها.. حب يتخلص منها عشان البنت جميلة.. فزوجها اياه.. والحين متهمة من أخته بقتله.. قاسم عاطل.. بغل عاطل.. يوم يشتغل وعشرة لا.. وكان عاوزها تشتغل خدامة عند الناس وتجيب له فلوس وهو قاعد نطع..
- سيبك منهم خالتي، هيا احكي لي..

الفصل الثالث والعشرون
الحبل السرى للروح

كاظم لاحظ أن وردة لم تعد كما كانت.. لا تهتم بتفاصيل حياته.. شاردة الفكر والعقل.. ترى ما الذى جعلها هكذا؟.. للنساء أحوال وأحوال أغرب من الخيال.. صمتهن لغز وشرودهن لغز وضحكهن عصافير تحلق فى الفضاء..

حاول المختار أن يتنفس مع أحد، لم يجد غير وردة ابنته.. انتهز فرصة وجود كاظم فى المدرسة وذهب إلى بيتها، بين الأب وابنته دوما سر.. كلاهما يقول للآخر حين يلتف السر كالحبل السرى على الروح.. قال لها وهو يدخن سيجارته:

- شو رأيك بعد كام يوم حتطلع السيرة فى البلد وين راح جوز زهرة وبعدين الإشاعات تكبر والشرطة والدنيا حتتكركب فوق راسنا والولد اللى حيلتى خايب.. أسيبه يموت عشان مرة عشان زهرة.. وبعدين وضعى ورقبتى كيف حتكون قدام الناس..
- شوف يابوى أنت لازم تطلع زهرة وعيالها من البلد.. تروح الشام.. وماحد يعرف عنوانها إلا أنت..
- كملى يا بنت.
- تجيب لها شقة إيجار هناك وتسدد الإيجار كل شهر، وتنقلها هى وعيالها وأغراضها فى الليل على هناك.. وتشترى سكاتها..
- فكرة يا بنت أبوك صحيح أنت أخت رجال صحيح.

فتح الباب فجأة ودخل كاظم مندهشا :

- المختار عندنا اليوم يا مرحبا اهلين..
- جيت اشوف بنتى مرتك دى وردة عمرى دى. سامحنى أنا ماشى

عندى مشوار مهم

– لوين اتغدى معانا؟

– المرة الجاية، لازم أروح الشام.

ركب المختار السيارة المتجهة للشام، سيارة مخصوص، هو الراكب الوحيد، لم يأخذ سيارته ولا سائقه.. لا يريد أن يعرف أحد إلى أين يذهب؟

يكبر أولادنا.. تكبر مشاكلهم معهم.. بل وخطاياهم تلقى على أكتافنا عبئاً بلا ذنب ارتكبناه سوى أنهم كانوا أبناءنا..

بين الشام والقرية ساعة وربع الساعة ذهاباً وإياباً.. الشام الشام.. بلد الحكايات والدولة الأموية وبنى أمية وحكايات الدم والمؤامرات، بلد الدسائس والجمال والعشق والثورة، بلد اللوز والتفاح والزيتون، بلد العجائب والغرائب.. الشام أم الحكايات والتنهيدات والوجع.. نجح المختار فى استئجار شقة لزهرة وأولادها فى ضواحى الشام ودفع الإيجار مقدماً لمدة عام..

الشام حبلى بالشجن والألم ودقات قلوب الغرباء هى العاصمة.. والعواصم دائما فاجرة جاحدة كافرة، رغم مئات المساجد والكنائس والمعابد.. الشام قلب من رخام وقلب من حنان مأوى الغرباء من الأقاليم.. من أنحاء البلاد.. الشام بلد الفرسان والعبيد والصمت والضوضاء.. بلد أغانى الأرامل والموال.. بلد الانقلابات والخيانات.. بلد الفتنة فى جمال النساء وفتنة السياسة.. وعروبة وحضارة.. وفقراء بلا عنوان وأغنياء بلا حدود..

في الليل عاد المختار، ومعه عربة نقل من الشام وبها أربعة رجال حمالين اختارهم من الأقوياء.. وسمى نفسه (خالد) اسم مستعار واتفق معهم على نقل العفش والعودة فى نفس الليلة.

وقفت عربة نقل الأثاث أمام البيت فى الليل.. نزل المختار أمام بيت زهرة.. دق الباب:

- إفتحى يا بنت

فتحت.. دخل المختار بمفرده وحمل مسدسه فى وجهها.. ارتعدت زهرة..

- شو فيه يامختار ؟

- شوفى يامره.. ضحكتى على ابنى راغب وعملتى جريمة وقتلتى جوزك.. دلوقت تتركى الدار وعفشك حنلمه وتخدى ولادك على الشام وكل شهر حدفع لك مبلغ تعيشى منه لحد ما تدبرى حالك وتشوفى لك شغلانه. وإذا قلتى لا بفرغ الرصاص فى رأسك وادفنك أنت وعيالك.. وفيه سيارة وحمالين حيشيلوا عفشك.. وأنا بحصلك فى سيارة تانية ويودوكى بيتك الجديد فى الشام.. تنسى أبوكى وأمك وأنك من بلادنا.. تنسى أهللك وناسك وتسمى نفسك اسم تانى فاهمه، ولو مش عجبك حقتلك الحين وادفنك جنب جوزك فى الغرفة اللى جوه ولا من شاف ولا من درى.. شو قلت؟.. وحدفع لك مبلغ كل شهر..

قالت وهى ترتعد:

- القول قولك يا مختار.. أنت الكبير وفاهم كل حاجة..

حمل الشيالون أثاث البيت المتواضع وركبت هى وطفلاها بجوار السائق دون كلام، ولقد نبه عليه المختار ألا يتناقش معها.. أو ينبس بأى كلمة فى الطريق، وأعطاه بقشيشًا مغريًا، ركب المختار سيارة أخرى بمفرده وتبعها حتى الشام والسكن الجديد..

قلق يقلق قلقًا.. قلقت أم راغب ليلتها.. قلقت وردة.. راغب لا يعرف شيئًا مما صار فى تلك الليلة كان يلزم حجرته ويفتح القرآن.. لم يفتح القرآن منذ وقت طويل.. هكذا نحن فى المحن نبحث عن الله.. وننساه إذا ما تجاوزنا الأزمات..

فى الصباح نام المختار مجهدا.. تناول إفطاره قرب الظهيرة، وقام إلى القهوة.. وجمع بعض الأفراد من رجاله من على القهوة قائلا:

- ما تيجى نشوف الواد قاسم جوز زهرة بنت سمعان الحلاق ظهر ورجع والا لسه طفشان.. ونفوت على سمعان كمان نجيبه معانا..
- ايوه صحيح.
- يلا يامختار؟
- يا قلبك الطيب يا مختارنا العزيز.

تحرك يتحرك تحركوا.. إلى الدار طرق الباب المختار.. يا زهرة يا قاسم..

- نادى على بنتك ياسمعان.

تقدم سمعان وهو يرتجف:

- يا زهرة يا قاسم.. افتحوا يا ولاد.. المختار معنا..
- ادخل كده وزق الباب..

زق يزق.. دفع يدفع الباب..

صاح المختار:

- اكسروا الباب

كسروا الباب.. وجدوا الدار خاوية على عروشها لا حصيرة لا تنك مياه ولا زيت ولا قشة.. نظر الناس إلى بعضهم فى دهشة، وفجأة انفجر العمدة ضاحكاً:

- شفت ابنك عملها أخد مراته وعياله وهرب من البلد هههههههههههه ابنك خلبوص..

ضحك الرجال مجاملة للمختار وبينما دموع سمعان تنساب

- اقفلوا الدار أنا حشتريها ادفع نص تمنها لسمعان ونص التمن اخليه لقاسم لما يرجع والدار مش حبيعها ولا اتصرف فيها أبدًا إلا لما يرجع قاسم.. لو عاوزها ياخدها واخد فلوسى منكم.. وإن قال بعت اديله تمنها تانى غلطت يا جماعة سمعان غالى عليا.. ايه رأيك يا سمعان..

لم يرد سمعان.. لن يرى زهرة مرة ثانية.. نامت ليلتها وردة فى اطمئنان..

سهر أمسكت عصفورها ووقفت على النافذة.. تحلم بالإمارات.. منقذ، أشقر اللون.. هى تحب السمر، وتحب عبد الحليم حافظ.. وأسمر يا أسمرانى.. وأغنية الأسمر لفيروز.. وهى تقف فى النافذة لمحت من بعيد خيال الأستاذ كاظم يسير وكأنه يمر صدفة أمام بيتها..

"جَنّ الرجل.. سيدمرنى جنونه بى.. تزوج وسينجب.. أيها الرجل

ابتعد عنى دع أحلامى تطير أنا لا أطيق أن أسجن فى هذا الريف والجبل.. إن روحى تطير إلى أفق جديد أرض الأحلام الإمارات والمال والسيارات"..

دخلت أمها إلى حجرتها:

- ما تتركى هالعصفور.. اللى شاغل بالك وعامل حكايات..

وضعت سهر العصفور جانباً..

- تركته يا أمى.. شو فيه؟
- شو حتاخدى معاك فى الإمارات.
- ما بعرف أمى شو هو أنا تزوجت قبل كده..

ضجت سهر.. ضرب العصفور بجناحيه فرحًا...

- عريسك بيقول ما تاخد شئ.. كل شئ موجود هناك فى الإمارات.
- بيستهبل هيك.
- عيب تقولى على جوزك هيك.
- شو أقول.. لابد آخد أغراضى فساتين.. ملايات سرير.. هيك مثلا.
- هو بيقول فى الإمارات فيه احسن شئ.. ممكن تاخدى فساتين..

أحس أن أرواحنا ترحل من أجسادنا فى المساء إلى الورود فى البساتين.. ترى هل ستكون الإمارات سجناً أم وطناً جديداً؟؟ أعتقد أن الإمارات ستكون أجمل بكثير من مصر فى كل شىء.. يكفيها الهدوء

والنظافة والنظام.. يقولون إن الخليج حر شديد ورطوبة عالية.. لكن كل شئ هناك، أفخر الطعام والأكل والملابس.. يقولون إن النساء لهن مكانة كبرى تفوق الرجال.. يقولون أيضًا إن اللبنانية والسورية لها وضع أفضل من النساء العربيات الأخريات، وإن المرأة الخليجية من أصل إيراني هى التى تنافسهن فى الجمال.. هكذا همست النسوة وشهرزاد لى.. وإن الخليجى يلهث وراء اللبنانية والسورية.. النساء البيض لهن حظوة أكبر من السمروات هناك.. كنت أحلم بالذهاب إلى الكويت بدلا من الإمارات..

قالت سهر لأمها:

- بدى خالتى شهرزاد تيجى وتحكى معى شوى عن أمور الدنيا وتشرب متى..

ضحكت أمها وقالت:

- حاضر بشوف أخوك أو أبوك أو حد يمر يطلبها..

دق الباب.. جاءت شهرزاد بالصدفة.. ضحكت الأم وسهر طويلا كيف جاءت.. قالت شهرزاد ضاحكة:

- الأرواح جنود مجندة..
- كيف يا خالتى..
- لما تحبين تشوفى حدا بتلاقيه جاى لك..

قامت الأم تجهز حلويات لشهرزاد، وهمست سهر لها: "احكى لى يا خالتى عن المحبين".. قالت:

- ليس الآن.. أمك ستأتى فى الحال وتسألنى ألف سؤال..

وبالفعل أحضرت الأم اللوز، وقالت:

- هيه شهرزاد يلا سوى لنا حلويات باللوز..

ضحكت سهر..

رجل فى حقائب السفر
أنتظر.. وأنتظر.. وأنتظر، ألم تتذكرى سيدتى
أنك نسيتنى فى حقائب الانتظار

فتحى رضوان خليل..

تترك كل أنثى عرفتها لفتة أو تنهيدة أو رائحة عطرها أو إيماءة وتظل فى دمى تجرى دون أن أدرى، وكلهن خرجن من ثقب ذاكرتى وبهن جراح.. ترى أين تغيب ذكرياتنا الجميلة تحت سنابك خيول أيامنا الكئيبة

فى البيت يجلس.. الإسكندرية ملجأ البحارة والمغامرين وقطاع الطرق والأولياء الصالحين والهاربين من الثأر فى الصعيد.. الإسكندرية لم يعرف قدرها إلا الأجانب، الرومان، البيزنطيون، الإغريق.. سكنتها الجاليات الأجنبية وأكثرهم عددا الجالية الألمانية وأكثرهم حبا وعشقا لها الجالية اليونانية فأبدع اليونانيون والإيطاليون فى معمار الإسكندرية. وكرهها العرب لأن البحر دوماً يخلق مشاكل للعرب خاصة أهل الجزيرة العربية لأنهم أهل صحراء (كما قال عمرو بن العاص إلى سيدنا عمر بن الخطاب).. العرب لم يعرفوا أن الله أرسل للبشرية على مر ملايين السنين حوالى ٢٤ ألف نبياً ليس من بينهم إلا أربعة أنبياء عرب، وهم: صالح وهود وشعيب ومحمد عليه الصلاة والسلام، وبعث الله ٢١٣ رسولاً وليس بينهم عربياً واحداً إلا سيدنا محمد عليه السلام أما سيدنا إبراهيم فهو من بلاد فارس ولد بالأهواز، والمصريون لا يعرفون من هم.. لايقرأون إلا فيما ندر، وأهل

العلم والمعرفة فيهم يعيشون فى بلاء وجحيم وضجر..

فتحى رضوان خليل.. فى طفولته يقرأ فى كتب تاريخ المدرسة نحن أحسن شعب فى العالم نحن أفضل صناع وأفضل جيش وأفضل بنائين وأفضل أطباء.. نحن أفضل.. مصر أفضل.. وعندما يدخل سينما الهمبرا فى محطة الرمل يوم الجمعة من كل أسبوع ويرى أفلام أمريكا والأفلام الأجنبية، يرى شوارع نظيفة ومستشفيات مجهزة أفضل مائة مرة، وأفضل السيارات، والطعام نظيف، ولا تلوث هناك ولا زحام.. كيف يصدق أن مصر أم الدنيا وهو يرى فى الأفلام فرنسا وإنجلترا وأمريكا والسويد وأسبانيا هكذا... هل هى نظافة نظام أو شعب هناك.. كيف تكون مصر أم هذه البلاد، وهل الأم قذرة وملوثة ومريضة وفقيرة ومرتبكة؟؟

قال خالى على أبوزيد، وهو يقدم يده التى عليها وشم أسد:

- عبد الناصر جاب البهايم والجاموس يديروا الشركة بتاعة الزيوت بتاعتنا.. ظباط الجيش إيه علاقتهم بالزيت والصابون؟؟

كنت أسأل نفسى دوماً ما علاقة أهل الجيش بإدارة شركات الزيت والصابون والكيماويات والبناء والكيمياء.. وهل سبب خراب القطاع العام هم هؤلاء الضباط ووضع الرجل غير المناسب فى المكان غير المناسب.. كان خالى على يجعلنى أكتب شكاوى للرئيس عبد الناصر باسم مواطن مخلص، ويشكو الفساد ويشكو رئيس مجلس الادارة ويشير لأسماء الفاسدين.. والتوقيع الدائم له عامل مخلص..

وذات يوم فى أول لقاء بى بالصحفى سيد شحم سألته:

- ليه عبد الناصر بيعمل كده إيه علاقة الضباط بالشركات وإدارة المحافظات؟

ضحك وقال لى:

- شوف يا فتحى الحكاية بسيطة جدا.. الثورة لم يكن لديها كوادر فنية.. كانت محصورة فى الضباط الأحرار، وكانوا خائفين من كل الناس، فاختاروا أهل الثقة وليس أهل الخبرة والمعرفة؛ فباظت الدنيا.. باظت الدنيا من يومها أم قبل ذلك أم بعد ذلك.. البوظان يعنى الخراب.. الخراب فى كل مؤسسات مصر وانتقل للإنسان فأصبح الإنسان خرباً..

فتحى.. عندما كان نشأً، كان يشعر أن الوطن لم يعد مكان فيه للشرفاء وطن الفهلوة والنصب والانفتاح والمخدرات، والسادات أسكت الوطنيين والشرفاء بأن ترك الحبل على الغارب لقطاع الطرق والرأسمالية الطفيلية.. الوطن فى حالة غياب وانحراف حاد.. المثقفون أصبحوا يلهثون على فتات الجنيهات والتعيين فى جريدة الأهرام أو الأخبار أو أى جريدة حكومية.. فى مصر المثقفون مثل طبق الحلوى أحيانًا، ومثل ذباب الحلوى معظم الوقت..

وعندما أصبح شاباً كون فرقة مسرح بقصر الحرية لكن محمد غنيم مدير القصر يكتب تقارير لأمن الدولة، وأصبح طموحى محاصراً.. أصبحت موظفًا فى قصر الحرية.. إنسان بسيط ابن محرم بك.. ابن العروبة حتى ولو كانت وهمية.. ابن مصر حتى وهى قذرة الشوارع والأفكار.. استدعانى أمن الدولة بسبب أن الدولة قررت إلغاء

الاشتراكية والكتاب الاشتراكيين، وأننى أرى أن الكتاب اليساريين والاشتراكيين يحملون قضية العدالة الاجتماعية.. كانت قضيتى العدالة وكنت أرى كما يرى الشاعر محمد إقبال شاعر باكستان العظيم، أن محمد رسول الله (ص) كان أول اشتراكى فى التاريخ حين جعل الأنصار تقسم بيوتها وزادها وحتى من له زوجتين يكتفى بزوجة لمن ليس له زوجة من المهاجرين.. هذه العدالة التى لم تحدث قبل محمد عليه الصلاة والسلام، ولا بعده.. ترى لماذا فتح معاوية بن أبى سفيان علينا باب القصور الفاخرة والملابس الفاخرة لخلفاء المسلمين وحكامهم وباب توريث الحكم.. هل كان معاوية بن أبى سفيان عادلا؟

جلست فى انتظار دورى لمقابلة ضابط أمن الدولة، ومعى كتاب الشيخ محمد عبده.. جهاز أمن الدولة فى شارع الفراعنة.. دخل خادم مسجد بجلباب رث وعيونه بها مكر خبيث وسأل المخبر:

- أحمد باشا موجود؟
- أيوه موجود أى خدمة؟

هرش فى رأسه مبتسما:

- قوله رمزى بتاع مسجد الفتح.
- بتاع مسجد الفتح.. يعنى إيه؟
- قصدى مؤذن مسجد الفتح هو عارفنى أنا بجيله لما يبقى فيه حاجة ضرورى.

اتصل المخبر بالهاتف هامسا ونظر له:

- اتفضل.

صعد خادم المسجد.. جاء ليوشى بإمام المسجد الذى يعمل به أو يبلغ عن أحد المصلين سأل سؤالا عن السلطة، أو يبلغ عن جماعة جلست بعد صلاة العشاء تقرأ القرآن..

فتحت كتابًا لمقالات الشيخ محمد عبده، عن طبيعة مصر والمصريين يقول شيخنا الجليل محمد عبده رضى الله عنه وأرضاه فينا ثواباً لتحمله إيانا

(أرض مصر ضيقة عن حاجة أهلها فمساحة الصالح منها للسكنى لا تزيد عن حاجة الساكنين زيادة بينة، وهى محاطة من أطرافها بالصحارى الجدبة والمياه المالحة وليس فيها من الغابات ما يعوذ به الوحشى من الحيوان فضلاً عن الإنسان، ولذلك نرى كثيراً من أنواع الوحوش التى كنا نراها كثيرا فى البلاد من نحو أربعين سنة كالضباع والذئاب والخنازير قد كادت تنقرض بإصلاح الأراضى الزراعية وانتشار الإنسان فى أطرافها وتعهدها بالزرع والعمارة.. وأهل مصر لا يعرفون معنى المهاجرة من دار إلى دار ولا يمكن أن يتصوروا ذلك ما دام فى أرضهم نبات ينبت، فإذا اضمحلت أرضهم فضلوا الموت فيها على المهاجرة منها، وتاريخ الماضى وشاهد الحال ينطقان بذلك. ولذلك كان أهل مصر سكان أرضهم منذ آلاف من السنين، كل قادم إليهم امتزج بهم، وغلبت عليه عوائدهم وأطوارهم، وانتسب نسبتهم فصار مصرياً، وأحرز جميع خواص المصريين ونسى أصله وغاب عن أعقابه منشأه. ثم إن طباعهم مرنت على الاحتمال وألفت مقاومة القهر بالصبر، فلو أن سيف المتغلب كان أعدى من سيف المماليك وجوره أشد من جور

إسماعيل باشا لما أمكنه أن ينقص من عددهم مقداراً يذكر، ولا أن يزيلهم عن مواقفهم مسافة تعتبر، ولهذا كان المتغلبون يفنون فيهم وهم باقون.

أهل مصر قوم سريعو التقليد، أذكياء الأذهان، أقوياء الاستعداد للمدنية بأصل الفطرة، فما أيسر أن تفعل الحوادث فيهم فتنبههم إلى الأخذ بما يحفظ عليهم حياتهم فى ديارهم من أى الوجوه، فلا يبيدون من حاجة، فأهل مصر على ذلك هم رعية حاكمهم ولا يمكن لحاكمهم أن يستبدل بهم رعية أخرى فى بلادهم، فحاكمهم إذا كان رأساً فهم بدنه وإذا كان عاملاً فهم آلته، فلابد من استصلاحهم حتى يستقر سلطانه عليهم زمناً مديداً ترمى إليه أنظار الدول السامية المقام فى المدينة.

أهل مصر فى موقع عرف كل الناس منزلته من الأرض، وهو ممر أهل المشرق إلى المغرب، وأهل المغرب إلى المشرق، وهو فى حلق أوروبا تتلاقى فيه سيارة الأمم فقلما توجد بلاد يكثر فيها اختلاط الأمم مثل هذه البلاد.

الأمم العظيمة الأوروبية يحسد بعضها بعضاً على التمكن فى أرض مصر، أو الفوز بإحراز المنافع السياسية أو المالية فيها فالوساوس والدسائس لا تنقطع نفثاتها من أولئك الأحزاب يبثونها بين المصريين ليوغروا صدورهم على من علت كلمته فيهم. وأعظم فاعل فى نفوسهم (وأغلبهم مسلمون) أن يقال إن صاحب هذه المنفعة ليس من دينكم وإنكم مأمورون ببغضه وانتهاز الفرص لكشف سلطانه متى أمكنت.

أهل مصر شديدو الانفعال بما يلقى إليهم، كثيرو التذكار لما ينطق على أهوائهم، فكل كلمة من هذا القبيل مكان من نفوسهم، ولكن ربما لا يظهر أثر ذلك لاحتجابه بحجاب العجز أحياناً، غير أن طباع المصريين كالكرة المرنة تتأثر بالضغط فينخفض بعض سطحها قليلاً من الزمن، ثم لا يلبث أن يعود إلى حاله، فالله يعلم متى يظهر أثر تلك الانفعالات التى يمكن أن تتأثر بها نفوسهم بما يلقى إليهم.

يقال إن أهل مصر ضعفاء، ولكن قد أظهر التاريخ أنه متى وجد القائد كانوا أشد على الخصم من أشجع الأمم، وأثبتهم قدماً فى المواطن، ولا يعلم متى يوجد القائد، ومن أى جنس يكون إذا تركت أهواؤهم بغير تهذيب تجرى حيث تجد سبيلاً للاندفاع، ثم هم لا يقدرون النظام قدره مهما كان بالغاً من الصلاح، ولا يبالون به، بل يعتقدون أن كل نظام حبر على ورق، فلا يستطيع حاكمهم أن يثبت سلطته عليهم على أمر مكين، بل هم دائماً فى التواء عليه بالمخالفة متى أمكنت الفرصة، إلا إذا أخذوا بتربية صحيحة، فهناك تنضبط أحوالهم، وينشئ النظام احترامه فى قلوبهم ويهتدى صاحب السلطة إلى طريق تصريفهم.

احتقار أمر النظام والتأثر بالوساوس إذا لم يكن مبعثهما الحق ينشآن عند المصريين من أمرين، الأول بعد جمهورهم عن المعرفة بوجوه المصالح. والثانى حرمانهم من التربية التى تطبع فى نفوس أغلبهم الاستقامة، والتؤدة، والتبصر فى العواقب، ومرجع الأمرين إلى سوء العقيدة، وظنّ ما ليس بواجب واجباً وظنّ الواجب غير واجب، فما

دامت هذه حالهم فهم رعية غير صالحة، فلا يصلحون بدناً لرأس، ولا آلة لعامل، لاختلال المدارك وفساد الإرادات.

أهل مصر لم يأتهم التاريخ القديم بذى سلطة يفهم هذا السر، وتنفذ بصيرته إلى هذه الحقيقة، فلهذا لم تثبت فيهم دولة لقبيل زمناً يعتد به، وكل إصلاح نظامى نشأ فيهم كان كالبناء على الهواء، فالسلطة التى تسعى فى أن تجعلهم رعية صالحة، تكون قد فتحت فى نفوسهم فتحاً جديداً، وظفرت ببغيتها منهم ظفراً مبيناً، وأمنت كل عائلة تخشى من دسائس الأعداء ووساوسهم.

أهل مصر قوم أذكياء كما قلنا يغلب عليهم لين الطباع واشتداد القابلية للتأثر، لكنهم حفظوا القاعدة الطبيعية، وهى أن البذرة لا تنبت فى أرض إلا إذا كان مزاج البذرة مما يتغذى من عناصر الأرض، ويتنفس بهوائها، وإلا ماتت البذرة بدون عيب على طبقة الأرض وجودتها، ولا على البذرة وصحتها، وإنما ألقيت على الباذر.

أنفس المصريين أشربت الانقياد إلى الدين حتى صار طبعاً فيها، فكل من طلب إصلاحها من غير طريق الدين فقد بذر بذراً غير صالح للتربية التى أودعه فيها فلا ينبت ويضيع تعبه، ويخفق سعيه، وأكبر شاهد على ذلك ما شوهد من آثر التربية التى يسمونها أدبية من عهد محمد على إلى اليوم، فإن المأخوذين بها لم يزدادوا إلا فساداً – وإن قيل إن لهم شيئاً من المعلومات – فما لم تكن معارفهم العامة وآدابهم مبنية على أصول دينهم فلا أثر لها فى نفوسهم.

لا أتكلم عن إصلاح لدين غير الإسلام فى مصر، فإن غير

المسلمين فيها العدد القليل والجمهور الأغلب من المسلمين.

الدين الإسلامى الحقيقى ليس عدو الألفة، ولا حرب على المحبة، ولا يحرم المسلمين من الأنتفاع بعمل من يشاركهم فى المصلحة، وإن اختلف عنهم فى الدين، وفى آدابه كفاية لتعريف الآخذ به بوجوه المصالح، وإرشاده إلى مظان الفوائد، والبصر بالعواقب، وتقويمه بفضائل الأخلاق، وبالجملة فهو أفضل كافل لجعل الرعية صالحة لأن تكون بدناً لرأس، أو آلة لعامل .

وقد أرشدتنا التجربة إلى أن كل عارف بحقيقة الدين الإسلامى كان أوسع نظراً فى الأمور، وأطهر قلباً من التعصب الجاهلى، وأقرب إلى الألفة مع أبناء الملل المختلفة، وأسبق الناس إلى ترقية المعاملة بين البشر، وإنما يبعد المسلم عن غيره جهله بحقيقة دينه، وهذه آيات القرآن شاهدة على ما نقوله، اللهم لمن يفهمها كما جاءت ويعرف معناها كما وردت.

إن القرآن وهو منبع الدين يقارب بين المسلمين وأهل الكتاب حتى يظنّ المتأمل فيه أنهم منهم لا يختلفون عنهم إلا فى بعض أحكام قليلة، ولكن عرض على الدين زوائد أدخلها عليه أعداؤه اللابسون ثياب أحبائه، فأفسدوا قلوب أهاليه ولا قلوب أقرب إلى الإصلاح من قلوب أهل مصر.

أهل مصر مضى عليهم الزمن الطويل والقرون العديدة، ولم يروا مربياً يأخذهم بدينهم فحرموا خيره، ولم يبق عندهم إلا ما فيه المضرة لهم ولغيرهم تحت اسم الدين، وليس بدين. على أنه ليس فيهم من

ينكر أن القرآن كلام الله، وأنه ينبوع الدين، ولكن ليس لهم من معاهد التربية إلا جهتان، المدارس الأميرية ومدرسة الأزهر الدينية. وليس فى الجهتين ما يهديهم لما يجعلهم رعية صالحة، وهم الآن على غاية الاستعداد لقبول ما يصلحهم.

من يتوجه من ذوى السلطان إلى ذلك لا يجد أقل مقاومة من العامة، ولا أغلب الخاصة، وفى مصر فرصة لا توجد فى غيرها لمن أراد ذلك، فإن بلاداً غير مصر يوقف فيها مثل هذا الأمر على همة أهل الدين وسلامة أفكارهم ونشاطهم لفتح المدارس الدينية على الطرق المناسبة لحالة البلاد.

أما مصر فلها مدارس أميرية يمكن أن يسلك فيها أى مسلك يختار للتربية، وليس عليها رقيب سوى أهل السلطة السياسية لا غير، فلهم أن يأخذوا من الدين أصوله ويغرسوها فى المدارس ويحملوا نفوس طلاب العلم عليها، ولا يتعرضون لما زاد عنها لا بالنفى ولا بالإثبات، ويندبون لتدريس ذلك ذوى قدرة على صرف الأذهان عما وقر فيها، وتطيرها مما علق بها من الزوائد الضارة، ولا يجدون معاراً لهم من أهل الدين لأنهم لا يهتمون بما لا يقع تحت نظرهم مباشرة، وما دامت الأصول محفوظة، فأنظارهم عن غيرها منصرفة، وأكبر دليل على ما نقول سكوت أهل الدين عن نوع التربية المعروف فى المدارس على ما فيه من مباينة الدين والانتهاء إلى خلعه بالمرة).

دخل المخبر صائحا:

– فتحى رضوان خليل..

– نعم .

أغلقت الكتاب وقمت.

– تعال

سرت من حجرة إلى حجرة وصعدت سلم الفيلا الطويل.. أمام مكتب الضابط مصطفى بك سمك.

مسئول أمن الدولة مصطفى بك سمك:

– أهلاً يا فتحى.. اقعد.

جلست.. أخذ يقلب فى ملف لى لا أعرف من كتبه.. وماذا به.. وأنا أمسك فى يدى كتاب الشيخ محمد عبده. لماذا فعلوا بالشعب المصرى هكذا كل من يفكر لابد وأن يكون له ملف فى أمن الدولة ومصر علمت العرب كل الصفات السيئة بدءاً من السجون أيام سيدنا يوسف وأمن الدولة والضرب والقمع للمعارضة فى العصر الحديث..

كلام كثير قيل عن رأيى فى الوطن والسادات والانفتاح.. الرئيس السادات لعنة من السماء هبطت على الفقراء والطبقة الوسطى فسحقتهما.. السادات نعمة من السماء للصوص والمجرمين والفهلوية والتجار الفجار أعداء الله يسرقون أموال العامة.. فى نهاية الكلام قلت له:

– أنا حسافر أروح الإمارات أو الكويت وأسيب مصر..

– ياريت يا فتحى تسافر وترجع مليونير وتنسى فقراء مصر والطبقة الوسطى والعدالة الاجتماعية، وبلاش مهنة التدريس فى مدرسة البنات تشدك هنا!

- سأحاول أن أفعل..

خرجت إلى حديقة الشلالات.. الشجر، لفحة هواء ببرد الخريف، كيف أنسى الفقراء وهم يجرون فى دمى وكنت أراهم صفوفاً أمام دكان أبي يقفون ويوزع عليهم الطعام.. لو كان عندى أنثى الآن لارتميت فى أحضانها، كى أغسل حزنى وأيامى السوداء معها.. لماذا خلقت مصرياً أو عربياً أو لماذا خلقت إنساناً.. لماذا مصر هكذا مدينة بلا قلب، كما قال عنها عبد المعطى حجازى".. صفعتنى أجواء الخريف.. حديقة الشلالات محاطة ببيوت قديمة فاخرة بناها الإنجليز، أما البيوت الحديثة التى بناها المصريون بعد الثورة، قبيحة فقدنا القدرة على الجمال.. مصر الجديدة فى عهد إسماعيل بناها فرنسى.. مصر الفاطمية بناها الفاطميون.. مصر الخديو إسماعيل بناها الإنجليز والفرنسيون.. مصر بعد الثورة بناها المصريون مقاولون مصريون لصوص المبانى، بعد سنوات قليلة إما تنهار المبانى أو تشرخ أو الصرف الصحى ينشع فتظهر العمارات قبيحة فى الشوارع.. حكم الإسكندرية محافظون لواءات ومستشارون غالبيتهم العظمى كانوا لصوصاً..

تعلمت من مدرسة البنات أن أهتم بالملابس فى الصباح بدءاً من الحذاء اللامع والجورب المشدود الأستيك، والكرافتة وحلاقة الذقن وطريقة الأداء فى الفصل، كما اهتممت بنوع الحقيبة التى أحملها فى يدى فدائما البنات تنظر إلى يديك وطريقة حركات فمك كمدرس.. وكنت إذا أعجبت بفتاة سرا بينى وبين نفسى أو أعجبت بى فتاة.. كنت

أتحمس زيادة.. كم تمنيت أن أكون مدرسا للموسيقى مثل سعد عبد الوهاب، وأن تغنى معى البنات "الدنيا ريشة فى هوا".. آه ياوطنا مستباحا يحب الشجار والكلام ويكره العمل..سرت من جوار حديقة الشلالات.. تذكرت.. حتى مدرسة البنات لديهم فكرة عنى أنى أعمل لأحسن دخلى

عندما كنت أحب سامية زميلتى فى فرقة التمثيل بمركز الشباب بالشلالات كنت أبكى فى الحديقة التى أمام كلية الطب.. سامية مثل البطة.. جميلة مسمسمة.. قصيرة.. قال محمد مختار رئيس فرقة التمثيل يومها لى:

- فتحى سيب البنت فى حالها..

مختار يعمل فى شركة الألبان سيكلام يسكن فى حى راغب كوميديان يحب التمثيل أكبر إخوته، أبوه ميكانيكى طيب القلب.. هو يحب بنات كثيرات ولكنه نظر إلى سامية على أنها صغيرة عليه وأنا أصغر منه بعشر سنوات..

فى الشلالات بائع بطاطا صعيدى يقف، الدخان يخرج من الفرن.. ضعيف أنا أمام البطاطا وقبلات النساء الساخنة.. مررت من كوبرى شارع منشا.. جلست على مقهى عم علي، على ناصية شارع الإسكندرانى وفتحت كتاب الشيخ محمد عبده يتحدث عن أزمة التعليم فى مصر عام ١٩٠٠ ميلادية كتب الشيخ محمد عبده:

(المدارس الأميرية ليس فيها شئ من المعارف الحقيقية، ولا التربية الصحيحة، هذه المدارس أنشأها محمد على باشا بإشارة بعض

الفرنسيين لتعليم بعض أولاد الأرنؤوط والأتراك والمورلية، ليكون منهم رجال عندهم إلمام ببعض الفنون المحتاج إليها فى نظام الحكومة التى أسسها، وأهم تلك الفنون الهندسية والطب والترجمة، أما غيرها من العلوم فما كان إلا وسيلة إليها، ثم لم يشترط فى العلم بها أن يكون تاما. أما التربية على أخلاق سليمة فلم تخطر له ولا لمن تولى إدارة هذه المدارس على بال، ثم لما لم يكن فى أبناء تلك الأجناس وفاء لمطلبه فى الوظائف، أدخل فى تلك المدارس بعض المصريين جبراً، وما كان يدخل مجبوراً إلا الذين لا قوة لهم من الفقراء. وكان دخول المدارس أشبه بدخول العسكرية فى ثقله على المصريين ، فيبكون ويولولون.

ثم جاء خلف محمد على، كلٌ من عباس وسعيد؛ فأهملوا النظر فى المدارس بالمرة، حتى جاء إسماعيل فوسع نطاقها، وزاد فيها من المعارف ماله دخل فى الإدارة والقضاء، وله تعلق بتثقيف العقول فى ظاهر الأمر. غير أن جميع ما أتاه من ذلك كان صورياً، ليقال إن له فى حكومته مثل ما لأوروبا فى حكوماتها، ولم يكن القصد منه تربية العقول، ولا تهذيب النفوس، ولا تحصيل رجال يصلحون لتولى أعمال الحكومة.

وفى زمن إسماعيل باشا كثرت رغبة الناس فى المدارس، ولكن من الأعيان الذين يطلبون لأولادهم مساندة فى الحكومة، يحتاج فى الوصول إليها إلى بعض الفنون، ومن الفقراء الذين لا يجدون ما يقتات به أبناؤهم فيرسلونهم إلى المدارس ليستريحوا من نفقتهم، ولم

يكن القصد من جميع تلك الأحوال، إلا أن يتعلم التلميذ ما يؤهله للقيام بعمل ما من أعمال الحكومة، أو بعبارة أخرى ليكون فى يده شهادة تبيح له أن يشغل كرسيًا من كراسى أقلام الدواوين، أما تكوينه بالتعليم والتربية رجلاً صالحاً فى نفسه، يحسن القيام بالعمل الذى يفوّض إليه فى الحكومة أو فى غيره، فذلك لم يخالط عقول المسلمين، ولا من ولاهم أمر فى الحكومة أو فى غيره، ولا من ولاهم أمر التعليم، فسرى ذلك من السابقين إلى اللاحقين حتى اليوم.

ولو كشفنا عن أذهان التلامذة لم نجد فيها غاية لتعليمهم سوى أن يعيشوا كما عاش غيرهم على أى صفات كانوا، ولو استفرغنا أذهان المعلمين لم نجد فيها من المقاصد سوى أنهم يلقون ما يجدونه فى الكتب المقررة للتلامذة، ويطالبونهم بحفظه وفهم عبارته إن كان ليعيدوا يوم الامتحان تلاوة ما ألقى إليهم حتى تتم مدتهم فى المدرسة، فيخرجون ولا يسألونهم مرة واحدة عن مجال أفكارهم هل هو فى صالح أو فاسد؟ ولا مطامح أنظارهم هل إلى نافع أو ضار؟ وذلك رسم يؤديه المعلمون ليأخذوا مرتباتهم الشهرية لا غير. ولهذا لا يكون تلامذتها فى آخر الأمر إلا صناعاً أو ناطقين ببعض الألسنة، ولا ثقة فى الأغلب بشئ من عقولهم ولا أخلاقهم، إلا من كانت له فطرة سليمة، وله موهبة طبيعية، فأولئك تؤدبهم الأيام، وتهذبهم التجارب. وعلى مثل ذلك كانت مكاتب الأوقاف ولا تزال، حيث استمر السير على الطريقة المعروفة الآن كانت النتيجة دائماً كما بيناه، فلا يؤول ذلك بالمصريين إلى أن يكونوا رعية صالحة لأن تكون بدنا لرأس أو آلة لصانع.

وأما المدارس الأجنبية على تنوعها، فاختلاف المذاهب بين المعلمين والمتعلمين فى الأغلب يضعف أثر تلك المدارس من التربية العمومية؛ فقليل من المصريين من يرغب فى تعليم أولاده فيها، ومن أرسل بولده إليها داوم نصيحته بعدم الالتفات إلى ما يقوله المعلمون فيها حفظاً لاعتقاده. ثم ذلك يحدث من الاضطراب فى طبيعة الفكر، والتزلزل فى الأخلاق، ما يكون ضرره أكثر من نفعه. وقد غلط من زعم أن لتلك المدارس الأجنبية أثراً سياسياً أو أدبياً فى مصر، بل قد أحدثت بعض النفرة فى قلوب المسلمين من رؤساء تلك المدارس وأممهم، ولذلك التاريخ فى البلاد معروف، فهى ضارة الألفة، مبعدة للمحبة، رغماً مما يزعمه أربابها مما يخالف ذلك، فلا يصح الاكتفاء بها فى التربية عن المدارس الأهلية على اختلافها.

الجامع الأزهر مدرسة دينية عامة يأتى إليها الناس إما رغبة فى تعليم علوم الدين رجاء ثواب الآخرة، وإما طمعاً فى بعض الامتيازات لطلاب العلم فيه، ولا يزال بعضها إلى اليوم. ولكن مما يؤسف عليه أنه لا نظام لها فى دروسها، ولا يُسأل فيها التلميذ أيام الطلب عن شئ من أعماله، ولا يبالى أستاذه حضر عنده فى الدرس أم غاب، فهم أم لم يفهم، صلحت أخلاقه أم فسدت. ويمر عليه الزمان الطويل لا يسمع فيه نصيحة من أستاذه تعود عليه بالصلاح فى دنياه أو دينه، وإنما يسمع منه ما يملأ القلب بغضًا لكل من لم يكن على شاكلته فى الاعتقاد حتى من بنى ملته، ويطبق على الذهن غفلته، ويستفزه الطيش لتصديق كل ما يسمع، إذا كان موافقاً لمبدأ التعصب الجاهلى،

فأغلب الأوقات تمر على أهل الجد منهم فى فهم مباحثات لبعض المتأخرين لا فائدة فيها، ولا يتعلمون من الدين إلا بعض المسائل الفقهية، وطرفاً من العقائد على نهج يبعد عن حقيقته أكثر مما يقرب منها. وجل معلوماتهم تلك الزوائد التى عرضت على الدين، ويخشى ضررها ولا يرجى نفعها.

ثم أن المعروفين بالعلماء، وهم الذين يتممون دروسهم فى هذه المدرسة، ويؤذن لهم بالتدريس فيها، هم قدوة الناس وأئمتهم، مع أنهم أقرب إلى التأثر بالأوهام و الانقياد إلى الوساوس من العامة، وأسرع إلى مشايعتها منهم، وذلك بما ينشأون عليه من التعليم الردئ، والتربية المختلفة التى لا ترجع إلى أصل صحيح، فبقاؤهم فيما هم عليه اليوم مما يؤخر الرعية عن تقدير السلطة الصالحة قدرها. إصلاح مدرسة الأزهر لابد أن يكون بالتدريج فى تغيير نظام الدروس وجعلها فى الابتداء تحت قواعد ساذجة قريبة من الحالة الحاضرة فيها، بحيث يقرر فيها أن كل من أدرج اسمه فى جدول الطلبة يلزم بالحضور فى الدروس وإلا حرم الامتياز، وكل أستاذ يسأل عن طلبته، ثم يجعل ما ينالونه من المنافع الطفيفة منوطاً بالفهم لا بالكتب، وتغيير (بروغرام) الدروس، ويزاد عليه أصناف من الكتب بحيث يدخل فيه تدريس الآداب الدينية المفقودة الآن بالكلية، ويكلف الأستاذ بتعهد أخلاق تلميذه لتكون منطبقة على تلك الآداب بقدر الإمكان، ويجعل شيخ الجامع رقيباً على الأساتذة والتلامذة فى ذلك، ثم يعدل نظام الامتحان النهائى وشروطه، وكل ذلك يكون على طرق بسيطة لا توجه الأذهان إلى شئ

خلاف المصلحة، وتفصيلها يكون فى لائحة مخصوصة. ولا بأس أن يجعل نظام هذه المدرسة مرتبطاً بالمعارف العمومية أو بإدارة الأوقاف على قواعد تفصل فى اللائحة المختصة به.

وقد يظن بعض من لم يتفكر فى حالة البلاد ومرتبتها الأدبية والدينية أن إصلاح الأزهر لا يمكن، لأنه يترتب على مجرد الشروع فيه تشويش أذهان العلماء والعامة على أثرهم، فهذا ظن فاسد لا يؤيده دليل ولم تقض به تجربة، إلا ما كان من بعض الرؤساء من مدة نحو عشرين سنة عندما أراد إدخال بعض العلوم الصناعية فيه، فقاومه بعض من كان موجوداً من العلماء، فيئس من الإصلاح وترك الأمر إلى اليوم، فقد كان ذلك قبل أن تتقلب الحوادث على مصر، ولم يكن بالتدريج اللائق. أما الآن فقد تغيرت الأحوال وأصبح الإصلاح فيه أهون منه فى جميع المصالح، وكل رئيس للنظار يمكنه أن يأتى هذا الإصلاح بمجرد التوجه إليه، وما يعجز عنه من ذلك. فصاحب هذا الفكر هو الكفيل بتنفيذه إذا فوّض ذلك إليه على أن العناء فى ذلك لا يطول إذا صلحت المدارس الأميرية؛ فإن الناس لا يختارون الأزهر إلا لسوء ظنهم بالمدارس، أو لاعتقادهم أن الأزهر أحفظ للدين منها. فإذا حصل الإصلاح فيها وجدوها أدنى إلى المنفعة منه، فعند ذلك تنفرد بكونها معاهد التعليم، ويصبح الناس كلهم فى طريق واحدة).

ذهبت إلى محرم بك غربال إلى بيت الأسرة.. أمى جهزت شوربة العدس الرائعة والبصل، ونمت.. حلمت أنى كبرت ومر بى الزمان وأجلس أمام ناهد حجازى صامتا، عيناي فى عينيها تتحدث.. ما تبقى

منى يكفى بناء مدينة عشق تليق بكبريائك أيتها الأنثى التى تغيب عنى على مهر تمرد غامض.. ما تبقى من أحلامى يكفى لبناء أمة عظيمة لكن متى غرقت فى الجهل باستمتاع غريب.. ما تبقى منى هو بقايا إنسان فى زمن هجرت الإنسانية البشر وتحولوا إلى قلوب من حجر ولصوص يدعون أنهم أمة حضارة..

"ستندمين كثيرا أنك تأخرتى علىَّ فى الحضور.. ستندمين على كل ساعة.. كل لحظة فاللحظة معى عمر جديد.. إنى اخترتك لتكونى معى فتمنعتِ وتأخرتِ وتدللتِ، وهذا عذاب لقلبك المجروح ولعشقى المؤجل على رفوف الأيام فأنا حقا عرفت كثيرا من النساء لكن ليس عشق الفناء، ولكن هوى النفس وبحثا عنك سيدة الحضور؛ فحضورك عيد، فبحضورك تصبح كل الفصول والأيام لى هى الربيع. خلاصة العبارة.. من غيرى أنا سيدتى سيرى زهور خدك ويقطفها لك كل صباح ومساء ألا تعلمين أن زهور خدود النساء تذبل فى الخد وفى القلب والروح إذا طال عنها القطف ما أقسى الغياب.. ترى من يرى خدود خدك والرؤية ليست بالعين بل بالقلب ومن كشف عنهم الحجاب، كلما فكرت فيك تنبت فى الأرض زهرة وفى السماء نجمة وفى البحر موجة وفى قلبى دقة تك تك.. تركتنى ناهد فى الحلم ومشت.. لا كلام..

استيقظت من النوم شربت من قلة الماء بعض الماء البارد وأكملت النوم.. لم تعد ناهد فى الحلم.. اكتشفت أن غيابك عنى وجع للروح وحضورك عيد..

كتبت رسالة إلى أحمد إبراهيم الفقيه فى ليبيا مجلة الأسبوع

الثقافى، وأرسلت له قصة قصيرة بالبريد.. خرجت إلى الطريق.. قابلت عطية صديق من شارع محسن قال لى إنه سافر إيطاليا ويعيش هناك سعيداً، وقال لى:

- إذا سافرت بره مصر خاف من المصريين.. لأنهم حيأذوك..

مشيت إلى قصر الحرية.. أمسية لفاروق شوشة.. لم يحضر أحد اعتذر الشاعر ومشى.. قابلت عبد المنعم الأنصارى كان مرتبكًا، وسألنى:

- فين الناس يا عم..

قلت له:

- اسأل السادات.. احنا فى الانفتاح.. الناس بتبيع كل حاجة.. عشان الفلوس مصر ضاعت.. الأدب مالوش قيمة يا عم..

مشيت إلى محطة الرمل قابلت حسونة المغربى، عادل شاهين، ناجى أحمد ناجى، وعادل الحوفى على قهوة البوابين بجانب قهوة وادى النيل وقهوة سيد درويش.. مر من أمامنا يوسف عبد الحميد وعلى عاشور دعوناهم للمقهى.. اعتذرا...

العشق أحيانًا هوى وأحيانا جوى

سهر تسير إلى بيت شهرزاد.. وضعت شهرزاد أمام سهر شراب المتى..

- **ما بك يا خالتى؟**
- **لا شئ.**
- **لا أنت مشغولة.**
- **اختفاء زهرة وقاسم مو مريحنى.. زهرة ما بتهرب مع قاسم.. دا لو حتى دبحها ما بتهرب معه أنا بعرف هالحكى..**
- **والله الغايب حجته معه يا خالتى**
- **بعرف..**
- **شو احكى لى**
- **ايه.. بلغنى يا أميرتى سهر**

الفصل الرابع والعشرون
السباحة العارية

ويسحرنى كحل عينيك.. فأكتشف أنك كحل النساء يا صغيرتى..

فتحى رضوان خليل، أخذ أجازة ثلاثة أيام عارضة، سيمضيهم فى البيت، بعد زيارته إلى أمن الدولة..

"تحتاج إلى الراحة.. رأيت الوطن يلبس جلباباً، ويجلس على المقهى يشرب شيشة ولا يسمع ولا يرى ولا يتكلم.. الوطن جائع يبحث عن أنبوبة الغاز ورغيف الخبز والفول.. وطنى لا يعرف الشعر إلا فى الغناء لا يعرف قراءة الكتاب إلا بمحض الصدفة، ويشعر بأن من يحمل كتابًا هو قمة الغباء.. وطن يحب الحياة ويتنازل عن كل شئ مقابل البقاء.. وطن يعيش على حافة الكرامة والإنسانية والكبرياء..

فى اليوم الأول من الأجازة.. قرأ فى كتاب أن المصريين فى الأصل هم غجر كما قال الغرب.. إنهم قبائل غجر أتت من آسيا ومن بلاد الفرس وغجر هنود من الهند، وأن أصل العرب غجر من جزيرة كريت.. جاءوا إلى الجزيرة العربية عن طريق البحر.. غجر غجر.. أصل المصريين والعرب غجر.. بشر بشر بشر أصلنا كنا بشرًا وصرنا قرودًا الآن عندما آمنا بموسى وخالفنا حكم الله (كونوا قردة خاسئين).. ومن لم يتحولوا إلى قردة شكلا وهيئة تحولوا إلى قردة سلوكًا إلا ثلة من المؤمنين من ذوى الحظ العظيم.. تزوج موسى من مصريتين الأولى ابنة فرعون، والثانية عندما عاد من الأردن (مديان).. تزوج سيدنا إبراهيم من مصرية السيدة هاجر، وتزوج سيدنا سليمان من مصرية، وتزوج سيدنا محمد من السيدة ماريا.. لماذا يحب الله المصريات وجعل ماريا والسيدة مريم والسيدة آسيا زوجة فرعون من

أفضل نساء الأرض..

قال الخال على أبو زيد وهو يزوررنى وأنا ممدد على الكنبة :

- أنا شايف السادات أحسن ألف مرة من جمال عبد الناصر..

قلت وأنا أجلس فى السرير:

- جايز يا خال..

قال:

- نفسى تكبر وتبقى رئيس جمهورية..

- ربما يا خال..

ضحك وقال :

- خليها رئيس وزارة.. أو وزير..

فى اليوم الثانى من الأجازة، قرأت كتابًا وعرفت أن الملك الصالح أيوب، زاره ملك ألمانيا ضيفاً ومعه امرأتان جميلتان من الغوانى وأهداهما إياه، وبكى له وطلب مقابل هذا أن يحكم القدس ويدفع جزية للملك الصالح فوافق له الملك الصالح وأعطاه القدس. نفس الملك الصالح هو السادات ومبارك.، وأثناء الضيافة كان المؤذنون يؤذنون الفجر حول القلعة فأمر الملك الصالح أيوب أن لا يؤذن الفجر لأن الضيف ملك ألمانيا ينام متأخراً وهو سكران فلا داعي لإقلاقه بالأذان.. وسأل الملك الألمانى لماذا اختفى الأذان؟.. قالوا أمر الملك الصالح أيوب حتى لا نزعج سموكم؛ فقال: أحب الأذان؛ فأمر الملك الصالح بإعادته مرة اخرى..

ألم يقم حكام العرب بالتوقيع على استغلال النفط العربى عن طريق

مندوب أمريكى أو فرنسى أو أوربى يأتى ومعه العقود وفى الطائرة عشرة نساء من ملكات الجمال فى عالم البغاء، وعن طريق النساء توقع العقود بالمليارات.. العربى عامة والمصرى خاصة والإفريقى خاصة.. خاصة.. يبيع نفسه من أجل اللحم الأبيض المتوسط القوام..

قالت أمى:

– يا فتحى أنت مش رايح الشغل.. دا تانى يوم يا بنى؟

– الأيام صعبة يا أمى أنا اخدت أجازة عارضة ثلاثة أيام..

– طيب..

اليوم الثالث.. أمسك كتاباً وأخذ يقرأ، القراءة عذاب والمعرفة جحيم لأن من عرف اكتشف الظلام.. عرف فتحى رضوان أن الشافعية والحنابلة كانوا فى شجار أثناء قدوم هولاكو إلى مصر وبغداد فتشاجروا على قضية الزواج وفى النهاية وافق الحنابلة على زواج الحنبلى المسلم من المرأة الحنفية المسلمة أو المرأة من أهل الذمة يهودية أو مسيحية، ولكن الشجار اشتعل بين القوتين.. ذهب الحنابلة واتفقوا مع هولاكو على أنهم سيفتحون له أبواب بغداد ليحتلها ويقتل الحنفيين، وذهب الحنفيون إلى هولاكو سراً واتفقوا معه على أن يفتحوا له أحد أبواب بغداد ليدخل سراً ليقتل الحنابلة.. وفتح الاثنان البابين وخانوا الأمة، ودخل هولاكو وقتل التتار أربعين مليون فى عشرين يوماً (وهل هذا الرقم مبالغ فيه)، وسقطت الخلافة، وقتل الحنابلة والحنفيون وغيرهم وغيرهم وغيرهم..

جاء طفل من الشارع يدق الباب فتحت أمى:

– فيه واحدة اسمها ناهد عايزة الأستاذ فتحى واقفة تحت البيت.

- يا فتحى فيه واحدة اسمها ناهد واقفة تحت فى الشارع عوزاك.

قفزت بسرعة وارتديت ملابسى فى دقيقتين كما تعودت وكنت فى الشارع أمامها.

- انتى جيتى هنا إزاى وعرفتى العنوان منين؟
- إنت نسيت كنت ببعت لك وأنت فى الاتحاد كل مناسبة كارت معايدة وعنوانك كان معلق على لوحة الاتحاد.

ضحكت ومشينا..

- ايه اللى فكرك بيا؟؟
- لا أعرف.. ربما لأنى غدًا مسافرة للسعودية..
- للحج أم العمرة؟
- للزواج
- سعودى..
- لا.. مصرى.. انت حتستهبل.. ما انت عارف وقايلة لك.
- آه يا ناهد ما أعذبك حين ألقاك، ما أعذبك حين أسمعك، ما أعذبك حين أحاورك، ما أعذبك حين أنسى عمرى وحزنى معك، ما أعذبك حين تغسلين قلبى بعطر يدك، ما أعذبك حين أتنهد فأجدنى أتنهدك، ما أعذبك حين أبكى تنزل دموعى على صدرك رغم المسافات، ما أعذبك حين ألمس الماء ألمس شعرك الحريرى وأعشقك.. ما أعذبك.
- ولد بطل كلامك دا أنت عاوزنى أتطلق.. عاوزنى أتجوز وأرجع لك تانى بسرعة..

- اذا سمح لى أن اقبلك فى الشارع فى المقهى فى الحديقة فى ندوة سأفعل إذا سمح لى أن أضع رأسى على كتفك ركبتك صدرك وأحلم.. سأفعل.. إذا سمح لى أن أتوسد جسدك قلبك عقلك سأفخر إذا سمح لى أن أصير طفلاً أمسك كفك أرافقك فى كل الاتجاهات إذا سمح لى أن أصبح منديلك دفترك شجرتك عصفوراً وأحشاء شهوتك وشوارع نزوتك إذا سمح لى أن أتزوجك سأفعل الآن سأفعل الآن..

سرنا على الكورنيش.. حاولت أن أمسك يدها رفضت.. قالت:

- أنا عاوزه اتكلم معاك.. بس..
- بس..
- خير؟
- ليه عاوز تسافر زى.. انت بتحب مصر قوى ومصر محتاجه حد يحبها زيك.. طيب أنا حسافر مع جوزى وأنت ليه عاوز تهرب منها؟
- أين حضارة ٧ آلاف سنة التى يقولون عليها هذه كذبة.. كذبة ٧ آلاف سنة حضارة أين هى.. الحضارة ليست تماثيل.. الحضارة الناس والسلوك..
- ازاى تقول الكلام دا؟
- عارفة متى نقول احنا متحضرين وأصدق إن مصر أم الدنيا؟
- متى يا فيلسوف عصرك وأوانك؟
- أولا عندما أسير فى أى شارع أو زقاق ولا أجد زبالة على الأرض.. منذ أن فتح المعز لدين الله الفاطمى العاصمة الجديدة القاهرة وهى

فى كل ركن زبالة وكل شارع، والإسكندرية والقرى والعزب والكفور والنجوع، وحتى الآن كلها زبالة والناس تعيش وسطها.. ٧ آلاف سنة لا نعرف كيف نحل مشكلة الزبالة؟.. أين الحضارة؟

- بس كده.. مشكلة الزبالة؟
- لم أكمل كلامى.. ثانيا عندما تجدين الناس تقف صفوفاً فى طابور الباص، ويركبون حسب الترتيب، ولا تجدى فى أى باص أو قطار شخص يقف دون مقعد..
- بس
- لا لسه.. وعندما لا يقدم كل عامل أو فنى يده يطلب بقشيشا. وعندما تنتهى الدروس الخصوصية للتلاميذ التى بدأت من عهد الفراعنة، وعندما يختفى التسول، وعندما نعمل دون ثرثرة وإهدار الوقت فى شرب الشاى والغداء والصلاة.
- بس
- لا عندما يذهب الأولاد للمدرسة بالباص، عندما لا يتبولون فى الطريق وهى عادة منذ ألف وخمسين عاما.. عندما لا يلقون بالخبز على الرصيف وتجدين الخبز ملفوفاً فى ورق سلوفان عن طريق المكن وليس الأيادى القذرة.. عندما لا يلقون باللحم على الأرض المتسخة فى المذابح.. عندما لا يتبولون فى النيل ولا يغسلون ملابسهم فيه ولا يلقون مخلفات المصانع.. عندما يغسلون أياديهم قبل الأكل وبعده.. عندما يستحمون بانتظام.. عندما يتوقفون عن مدح أنفسهم بأنهم أحسن شعوب الأرض.. عندما

يكرمون مبدعيهم ومفكريهم ويعطونهم أرقى المرتبات.. نحن متخلفون يا ناهد بل نحن مزبلة التاريخ الآن ولا نريد أن نرى ونواجه حقيقتنا.. لابد من الهروب من مصر.. سأسافر إلى الكويت عروس الديمقراطية العربية أو إلى دبى عروس المدن العربية المتحضرة..

مدت يدها أمسكت يدى ونزلت من عينيها دمعتان..

انعطف قلبى على روحك فزال همى قليلاً فوجدتنى فوق جبال النور أنعطف وحروفى تحولت إلى اللون الأحمر وتاريخ العبيد والعبادة والقهوة السادة.. ما أوحشك يا مصر.. أيها العالم الآن أنا أنعطف مع وهج الإيمان غريباً.. آه يا بلادى تحول الصدق سجنا ومنفى والكذب طليقاً وحراً، صار الكذب هو الحضارة انعطف التاريخ والوعى بى فأخجل أن أقول أنا عربى أو مصرى، أنعطف على العطف الإلهى لأسجد لله، أنعطف انعطافاً إلى المجهول السكون والاعتكاف والعشق حتى الانتهاء..

ركبت ترام الرمل لتذهب ناهد إلى محطة سيدى جابر، ودعتها ملوحاً..

ستسافر ناهد إلى السعودية، وتسجن فى الجدران الأربعة.. وأنا أفكر فى الذهاب إلى الإمارات أو الكويت.. المصريون يهربون للخارج.. أفلح السادات فى تهجيرنا بالذوق..

كتبت رسالة إلى صديقى الشاعر المتميز المتفجر محمد آدم فى القاهرة..

صديقى محمد آدم الشاعر والشعر معاً..

وصلتنى رسالتك أنا فى دهشة.. كيف تقول إنك محبط ويائس؟... ألم تعرف حتى الآن أنك حتى ولو صرت ظلاً فأنت الظل العالى، وأنت هدير البحر إذا حبس البحر فى قصائد الشعراء.. يا صديقى الشاعر أنت فى بلد لا يحب العباقرة ولا العلماء ولا الحكماء ولا الشعراء.. ربما كان وجعنا من بلائنا بالجهلاء، وهو السبب أن الله اصطفى الشعراء بالشعر والحكماء بالحكمة والعلماء بالعلم والكتاب بالحرف النور وحرف الماء والهواء.. وأنت أيها الإنسان الراقى البهى الفكرة والتنوير.. لا تحبط.. إن ميلادنا يا صديقى فى بلاد مزدحمة فى طرقاتها الأدعياء والسفهاء والأقزام، فى بلد عذب الأنبياء وطردهم، فلا ضير أن يعذبونا ويعذبوا الشعراء والمبدعين.. إننا نحتاج إلى عصا موسى وهارون لنعاقبهم أو معجزة لنلقى بهم فى النيل ونأتى بشعب جديد.. ولأن الرب غاضب عليهم.. فالزم بيتك، وخط بقلمك نوراً، وبهاءً، واطرحه علينا.. نحن أبناء الله واليتامى من المصريين الذين لم يعترف بنا الوطن، لكن بعضنا يكمل بعضا بآيات..

لك يا آدم كل حلمات النساء فاصنع منها ما شئت.. من حب وضياء لك وعليك السلام..

فتحى رضوان خليل

***

الفصل الخامس والعشرون
خذلتنى الأيام والأحلام

اليوم الرابع.. عدت إلى العمل.. قابلنى عادل شاهين مساعدى فى الإخراج فى قاعة توفيق الحكيم فى قصر الحرية..

- غبت ليه ياريس عن البروفات؟
- مريض.. البرد.
- سلامتك..

مر اليوم بطيئاً كئيباً.. أنا الكهل والكهنوت والكون والكروان، وأنا من عرى حتشبسوت وفلسفة السكوت، وأعرف سر الملكوت، وأنا من أذنب فى عشق النساء وتبرأت بحكمة الصلاة والسكون.. أنا الذنب والبراءة ولى فى المنفى قصر من الكلمات والتسابيح، وأنا على كتفى أوجاع كل العشق الجارح.. طوبى لنا لأننا نسينا الله وهو الرؤوف بنا والرحيم

اليوم الخامس.. لا أتذكر ماذا حدث ربما شربت عشرين فنجان قهوة وشاى وأربعة كابتشينو.. يختلط الشاى بالقهوة، ويظل طعم الكابتشينو يطاردنى.. ذهبت إلى مقهى على ترعة المحمودية وصليت فى مسجد الجمعية الشرعية الذى بناه أبى منذ سنوات..

اليوم السادس.. أمى قالت:

- ماذا بك.. شكلك حزين؟
- لا شئ .

جلست أقرأ جزءا من الأعمال الكاملة لدستوفسكى ترجمة سامى الدروبى..

- اليوم الخميس..(قالت أمى)

– روح سينما.. غير جو.. مادام مددت الأجازة ٣ أيام..

ذهبت إلى السينما تذكرت ناهد.. لن تنسى يا ناهد بقايا حروفى التى سقطت من ديوان أشعارى على شفتيك.. لن تنسى همسات يدى على شعرك وهى تعربد فى الصباحات والمساءات ورائحة وسادتى المبتلة بنز عشقى لك لحظة مطارحتك الغرام مرة.. لن تنسى رائحة سجائرى ودوائر رسمتها على سرتك ونهدك يحبل من لمساتى وينتصب راقصًا.. لن تنسى ستائر ألوانها بيضاء، زرقاء بلون السماء.. لن تنسى بقايا معادن نقدية سقطت من جيبى وأوراق كلينكس معطرة تركتها تحت وسادتك، وسأتذكر أنى عندما قبلتك فقدت الذاكرة وأنى حين احتضنتك وجدت وطنى، وحين ارتميت على جسدك تلاشيت فى جسدك وصرت نوراً، وسأذكر أنك موطنى وهوائى وخيمتى ومهرتى، وأنك فى الليلة الظلماء قمرى

اليوم السابع.. أمس دخلت سينما أمير وخرجت من منتصف الفيلم.. لم أعد أحتمل أفلام جيمس بوند. اشتريت سندوتشين فول من عند جاد من محطة الرمل .. ومشيت فى كوم الدكة حيث بيت ونشأة سيد درويش.

يا ناهد.. قلبى لايخطئ امرأة من نور مثلك أبدًا.. سأدغدك شظايا كوكب ونجوم أنثرها على العاشقين.. أنا الرائى وأنت المروءة والحنان..

نحن الشعب الذى يبيع الهواء فى قزايز

فتحى رضوان خليل.. .

ويعض الهوى عشق، ويعض الهوى جنس، ويعض الهوى طهر، ويعض الهوى نجس. كل شئ مباح فى الوطن باسم الانفتاح.. أشرب فى الصباح كابتشينو فى محطة الرمل بالإسكندرية فى محل البن البرازيلى فى شارع سعد زغلول. أشم البن والقهوة وأرى المحلات تتغير باسم الانفتاح.. الانفتاح جعل المثقف فى زاوية النسيان.. التجارة والشطارة والمهارة والفهلوة.. ولم لا.. نحن الشعب الذى يبيع الهواء فى قزايز.. ولقد أعجب هذا الكلام أولاد العم فى إسرائيل فباعوا للزائرين لبيت المقدس زجاجات بها هواء القدس الزجاجة بعشرة شيكل، والغريب أنها تباع.. ألسنا سذج وعبط ونكذب ونصدق كذبنا؟..

كان المجتمع المصرى ينقسم إلى أسوياء وغير أسوياء أجبر السادات المجتمع كله على أن يكون الجميع غير أسوياء سرقة غش بلطجة رشوة معظم الموظفين، لا نعمل إلا ربع ساعة فى اليوم ونهرب من العمل.. لمن أكتب؟.. أأكتب للملوك المشغولين عنى بلعب الإسكواش؟.. أم للفقراء المشغولين برغيف الخبز؟.. الحياة يانصيب وحظوظ نحن نعيش فى حياة أفضل من القرن الخامس عشر.. كل شئ حولنا تغير حتى الطبيعة.. الطبيعة أصبحت ساذجة بسيطة لا تتدخل فى صنع ثرى أو فقير، لكن الأثرياء دائما يسرقون جيوب وأحلام الفقراء بخدع ذكية. الذكاء والغباء، كلاهما ابتلاء الذين يملكون طاقات روحية هم ملاك وصناع المستقبل.. اليأس خيانة.. أحبوا هزائمكم وسيروا فى طريق النجاح والمستقبل مرة أخرى

قالت لى تهانى خطيبتى:

- تفتكر.. إنك ستسافر إلى الإمارات ومش حتنسانى.
- الإمارات أرض طيبة.. بلد المستقبل.. كنا نكرهها أيام عبد الناصر بسبب الشيخ شخبوط.. وقدموا مسلسل إذاعى فى صوت العرب للهجوم عليه.. نحن الدولة الأولى فى العالم الذى لدينا جهاز إعلامى وأقلام تشوه التاريخ لأى شخص.. إعلام رائع.. هو الأول فى العهر والكذب.. لدينا جيش من القداحين والهجائين.. لدينا قوة ضاربة فى قلة الأدب وفى الوقت نفسه لدينا علماء عظماء مثل محمد عبده والشيخ شلتوت، ولدينا ثلة من الحكماء والعلماء فى الفقه والدين والجغرافيا، ولدينا ثلة من أقوى الراقصات والمطربات نحن أحلى شعوب الأرض فى المتناقضات.. المقدس يسير بجوار المدنس والكل على رصيف الحياة..
- انا خائفة يبهدلونا فى الإمارات..
- الإمارت الآن مع الشيخ زايد، وهو رجل صالح وطيب ويحب مصر والمصريين لا تخافى.. أنا عارف إن حكومة مصر الآن ليس لديها أي ميول اشتراكية ولا عدالة اجتماعية.. الشاطر من المصريين يخطف ويسرق الناس ويعيش.. التجار أعداء الله.. يسرقون أموال الفقراء.. كل التجار فى النار قال رسول الله عليه السلام بما معناه إذا دخلت السوق استعذ بالله من الشيطان لأن الشيطان هناك.. وهو حديث لايذكر كثيراً .
- الإمارات يقولون جميلة..

- نعم دبى أجمل مدن العرب فى الحداثة والشارقة أجمل مدن المعمار الإسلامى.. إن شاء الله خير..

قال لي حسن عقل:

- هل جننت تسافر وتترك مصر؟
- مصر الآن للصوص.. لا مكان للشرفاء هنا .
- ومتى كان هناك مكان للشرفاء فى مصر؟ وأنت تعلم يا فتحى يا خليل وتضع عصبة على عينيك.. حتى لا ترى واقع تاريخ مصر..
- ربما كان هناك حلم لى بأن يصبح للشرفاء مكان يا على.. كل المصريين يضعون على أعينهم عصبة حتى لا يروا كم تاريخهم قبيح، ويتمسكون ببعض المعابد والمساجد والكنائس..

قال صلاح أبو الكل:

- إذا مشيت من مصر وطلعت بره، سيستريح غنيم..
- الوطن ليس جميلا.. إلا للأثرياء..

جلست فى الليل أقرأ فى حجرتى، جاءنى الشيخ ابن حزم الأندلسى قمت وعدلت جلستى[١]

---

(٢٥٩) اتصلت بالكاتبة الكبيرة الرائعة فوزية مهران.. سألتها هل مازالت سيدتى تكتب وتقرأ قالت نعم قلت لها الحمد لله اطمأننت عليك الآن.. فوزية مهران كاتبة تملك حساً إنسانياً رائعا، وهى رائعة المشاعر أرسلت لها الجزء الاول والثانى من روايتى قهوة سادة.. ظلمناها كلنا وكلنا مغشى علينا.. لانرى بعضنا جيداً .

- سيدى زدنى علما..
- ألفت في الأدب كتاب "طوق الحمامة"، وألفت في الفقه وفي أصول، وشرح منطق أرسطو وأعدت صياغة الكثير من المفاهيم الفلسفية، وربما أعتبر أول من قال بالمذهب الاسمى في الفلسفة الذي يلغي مقولة الكليات الأرسطية.. الكليات هي أحد الأسباب الرئيسة للكثير من الجدالات بين المتكلمين والفلاسفة في الحضارة الإسلامية وهي أحد أسباب الشقاق حول طبيعة الخالق وصفاته أنا أول من قدم منهجا نقديا علميا في نقد العهد القديم
- تشرب شاى؟
- نعم..

خرجت من حجرتى وبهدوء عملت كوبين من الشاى..

نظر لى وهو يشرب الشاى:

- لا تتألم أنك تطلب التجديد فى الفكر فهم لا يفقهون..انظر ماذا قال بعد موتى العالم ابن القيم(هو منجنيق العرب أو منجنيق الغرب) وكانت الناس تضرب المثل في لسان ابن حزم، فقيل عنى: «سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقان فلقد كان ابن حزم يبسط لسانه في علماء الأمة وخاصة خلال مناظراته مع المالكية في الأندلس، وهذه الحدة أورثت نفوراً في قلوب كثير من العلماء، وكثر أعدائى في الأندلس. تعرضت لفقهاء عصرى الجاحدين المنتفعين من مناصبهم، تمكن هؤلاء أن يؤلبوا علي المعتمد بن عباد أمير أشبيلية، فأصدر قراراً بهدم بيتى ومصادرة أموالى وحرق كتبى،

وفرض عليّ ألاّ أغادر بلدة أجدادى منت لي، وألا أفتي أحد بمذهب مالك أو غيره، كما توعد من يدخل إليه بالعقوبة.. ماذا فعلت؟

- حرقوا كتبى.. أربعمائة كتابا..
- يا ويلى يا سيدى.. حرقوا لك أربعمائة كتاب..
- ماذا فعلت؟
- تألمت كثيراً، وهناك توفيت سنة ١٠٦٩م.

اختفى من الحجرة.. فتحت الكتب لأبحث عمن قال عنه فقال جلال الدين السيوطى: كان صاحب فنون وورع وزهد وإليه المنتهى في الذكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم.. أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم مع توسعه في علوم اللسان والبلاغة والشعر، وهو من قال ليس خلف كل بحر ظلمات ووادى الشياطين وهرقل وقال إنها خرافات، وتتلمذ على يديه توماس كيد الذى بلغ الغرب برسالة ابن حزم وشجعهم على اكتشاف العالم الجديد، وقامت رحلات الغرب واكتشفوا أمريكا واكتشفوا كل القارات الباقية.. وقال شيوخنا الرجل مجنون ومتهور قتله الجهل.. هل سيقتلنى الجهل والتعصب؟؟ أم أن رحمة ربى ستنقذنى من الجهلاء..

تأثرت كثيرا بما قال.. أردت أن أصيح بصوت عال: يا جهلاء يا أولاد الكلب تقتلون علماءكم وتنفونهم، وهم أحياء وتقولون إنكم عظماء..

اقتحم الخال عليّ الحجرة وقال:

- البس هدومك.

– رايحين فين ياخال.

– سيدى بشر . أنا وأنت وخالك محمد وأمك..

إلى سيدى بشر طوال الطريق كنا فى صمت ركبنا قطار سيدى بشر.. إلى أحمد عبد الجواد العفش، هذا الرجل الضخم الجثة الذى يؤجر بيتنا هناك، وأرسل لنا إعلاناً شفهياً أنه لن يدفع الإيجار، وأن البيت أصبح بيته بالقوة.. لم يعجب الكلام خالى على وخالى محمد وطبعاً أمى التى كانت لها شخصية مائة رجل فى امرأة وهى صلبة قوية ذكية..

أمي بها ذكاء الأرض وهى أمية وتتابع الأخبار والأحداث وتحب اللغة الفصحى والشعر وتحب شعر زكى عمر والأبنودى وفؤاد نجم.. تجلس مع أى شخص وفى دقيقتين تجعله يحكى لها كل شئ عنه.. هل أمى أسطورة نساها التاريخ؟.. هل هى حكاية من حكايات أمهات عظيمات لا يعرفهن التاريخ الذى سكر ونام تحت فساتين شقراوات السينما وملكات الجمال، ونسى أن يكتب عنهن وأولهن أمى.. أمى صنعت من بساطة أرض البحيرة فى الضهرية وبحر الإسكندرية المتقلب العذب، بين الملح الضرورى للحياة ويود البحر وحنان الأرض.. تلك هى أمى..

سيدى بشر.. قطار أصفر اللون غريب حقير مع أننا ثانى دولة فى العالم أدخل بها الإنجليز، القطار فى عهد الخديوى إسماعيل.. ونحن أول دولة فى العالم فى القطارات الحقيرة الآن إهمالا وصيانة ونظافة وسرعة وخدمة.. كان الخديوى إسماعيل متزوجًا من إحدى عشر امرأة

وعين عليهم امرأة وأسماها الشاويش، وكان عندما يسأل الخديوى إسماعيل يقال له أنت متزوج كم أنثى يقول أربع نساء..

يا سر الروح والعشق كلما اختليت بنفسى لحظات أتتنى ذكراك وطفت أبحث عن روحك مع أجنحة العصافير وأتمنى أن ألقاك..

عندما وصلنا إلى سيدى بشر عند البيت قال خالى على:

- ندخل البيت واحد واحد بعد كل شوية واحد عشان مايخدش حذر..

ذهبت أنا وأمى، فدخلنا، وقالت أمى:

- عاوزين الإيجار؟

قال أحمد عبد الجواد العفش:

- أى إيجار يا ست.. البيت بيتى.

دخل الخال محمد فى الشقة المواجهة لها، وقام بحفر حفرة فى الأرض، دون كلمة.. ارتبك أحمد عبد الجواد العفش.. صاح:

- بتعمل إيه يا أخينا؟

لم يرد خالى محمد قالت أمى:

- دا أخويا.

دخل خالى على وأغلق باب البيت الرئيسى الخشبى للبيت بالترباس وصاح:

- اقتله يا واد يا محمد وأدفنه هنا.. لا من شاف ولا من درى.

صاح أحمد عبد الجواد وهو مرتبك:

- فيه ايه؟

قال خالى على:

- أنت عاوز تسرق البيت حندفنك هنا.. وحرامى مات وخلاص ما دام البوليس معاك..

كان أحمد عبد الجواد العفش كل يوم يذهب إلى نقطة شرطة محمد فريد فى سيدى بشر، ويدفع لهم براد شاى وسكر، الشرطة تتعاون مع الشعب ولم لا.. الشعب يخدم الشرطة بصمته على سرقة لص لبيت..

صاح خالى على:

- ادفنه يا ولد يامحمد.. ادبحه العجل دا.. اللى اسمه أحمد عبد الجواد..

صاحت زوجة أحمد عبد الجواد العفش، وهى ترتعد:

- احنا حنعزل ونسيب البيت بكره.

وبالفعل عزل وترك لنا البيت، وقدمت شكوى لوزير الداخلية شعراوى جمعة، وبالفعل تم التحقيق، ونقل ضابط الشرطة المتواطئ مع أحمد عبد الجواد العفش.. سيدى بشر قبلى السكة الحديد كانت صحراء جرداء شارع سيف.. شارع محمد فريد.. هدوء قاتل ناعم.. هجم الأعراب على الأراضى.. أبى اشترى قطعة أرض من الإيطالى دافنشى.. كنت أثناء كتابة العقد أجلس، دافنشى يرى الأرض تباع ويقبض الفلوس أحد رجال الحراسة التى فرضها عبد الناصر على الأجانب والأثرياء، كان دافنشى مشلول الذراع الأيمن وينظر للجنيهات التى يدفعها أبى.. أشفقت على دافنشى وأنا طفل.. الإيطاليون والألمان واليونانيون.. الكل يشعر أن الإسكندرية مدينته.. وأن مصر

ملكه..

* * *

الفصل السادس والعشرون
أنا وطن الفقراء..
أنا وطن الحب وأنت وطنى

قامت سهر ..

فى بيت سهر.. مصيبة الأسرة، سوسن أخت سهر زوجها الطبيب قام بإجهاض فتاة خطيئة.. ذهب أبو سهر إلى دار البنت التى قتلها أبوها من العار، ولكن الأب أقسم أن ينتقم من الطبيب..

الأطباء والمهندسون سبب فساد البلاد والعباد وهم لا يشعرون.. الأب حاول أن يقنع والد البنت أن زوج ابنته الطبيب حاول أن يستر على فضيحة البنت ولم يهدف هدفًا شريرًا.. دار الكلام والمتى والقهوة والقيل والقال والأصول والواجب وتحدث الشيوخ والحكماء وقرروا فى تلك الأمسية:

أولاً: عدم قيامه بإجراء أى عملية جراحية أو غير جراحية..

كانت الشروط قاسية وكثيرة ومجحفة لكن أبو سهر حاول أن ينقذ زوج ابنته سوسن ..

كان كاظم يسير فى الشارع حين قابله راغب:

- على وين رايح استاذ.
- مابعرف.
- تيجى معى نضرب حجرين معسل.
- آجى .

ذهب كاظم معه على المقهى لم يتدخل كاظم فى أى مشكلة تخص المختار أو ابنه.. كل ما يعرفه أنه أسير لدى هذه الأسرة.. مد راغب يده فى جيبه، أخرج مجموعة من الأوراق المالية ودسها فى جيب كاظم.. ارتبك كاظم، ونظر له:

- شو هذا؟
- مصارى وأنت زوج أختى وموظف .. والجيب واحد..

رفض كاظم .. وبإصرار

آه يا الزمن آمنت دائما بالفأل الحسن فى حياتى ومن المحتمل أن تكون هناك فؤول فى حياة الناس ولا يعرفونها.. نعم سأتحرر يوما من هذه الزيجة، وأطير إلى سهر، قد يكون حلما أو طيفا، ولكنه حلم أرويه لنفسى فى كل ليلة..

راحت فى هذه الظهيرة سهر إلى بيت شهرزاد، حكت لها عن زوج أختها سوسن وإجهاض البنت المخطئة وقتلها.. نظرت شهرزاد لها:

- وبعدين فى حكاية قتل البنات.. مايجوزهن الرجال اللى سوى هيك بالقوة بدل القتل والله حرام.. حرام.
- ما بعرف.. يا خالتى أبويا أنقذه.. ودفع مبلغ ديه كمان..
- يا ويلى يا ويلى.. الموت الموت

سكتت شهرزاد . وقالت إلى سهر:

- اذهبى الآن إلى بيتكم أمك ستقلب الدنيا.

حملت سهر حقيبتها وخرجت.. من بعيد لمحها أبو الريش الدرويش.. جرى نحوها..

- عريسك وصل من الإمارات أمس

- بعرف.

- بتتزوجينى بدل الرحيل والسفر ووجع القلب يا بنت الناس..

ضحكت كالأطفال.

- لا.. بعد نتيجة الثانوية العامة..

مشت.. اقترب العريس وموعد الزفاف والسفر إلى بلاد الذهب والنفط.

"أمر على بابك أترك مناديل لبكاء النساء اللائى خدعهن الحب وأشباه الرجال.. أمر وأزرع على بابك زهور حنين وحنان.. أنا رجل لا يخون من يحب.. (كاظم يتلوى فى الفراش).. أنا رجل يمر فى لحظة فيزرع فى قلب ألف أنثى لحظات حنين وحنان.. فى الفراش وحيدا لأن قلبى انكسر..بت أعرف أنك لى من الأحلام فلا أعرف متى أستيقظ ومتى أنام، وأنام دون قصد من الأحزان.. أنا لا ألوم أحدًا ولا النساء، بل ألوم القمر الذى خطف منى الفرح ذات مساء منذ أعوام..

"أنتظرك على بابى تحملين ياسمينة وكتاب وقطعة شكولاتة وتدخلين فى أضلعى ولا تخرجين.. جهزت حقائبك للرحيل للحب لى؟ هل فردت أشرعة الروح لتحضرى وتنثرى على بيتى الوجود والفرح

والجنون؟ هل قررت السفر لى دون استئذان ودون خوف ودون قلق.. قل أعوذ برب الفلق الذى خلقك قلبك ووجهك يشع فى ألق..

أعرف يا سهر أنك بدمى تمشين وتلعبين وتلهو يداك بقلوب الرجال وتتمايل صورتك على رموش الرجال المنكسرين، وتلتف حروف شفتيك على رقاب الرجال البلداء الجهلاء المنشقين عن قاموس العشق، وبجهلهم يتباهون.. أعرف أنكِ فى دمى تسيرين، وحين تتعبين تشربين نسكافيه على شريانى التاجى وتغنين لفيروز، وفى قلبى تختبئين من مطر الحنين.. أنا بقايا وطن، وهزيمة فرسان فى عصر الخصيان، وأنا لم أنحن يوما لسلطان، وأنا دولة رجال حاصرها المثقفون الخونة وعملاء الأنظمة و ماسحو أحذية السلاطين بقصائدهم وطبولهم الخرساء..

أنا سندباد الذى كسر مراكبه ابتلاءٌ وراء ابتلاء، وأنا أخطأت فى كل يوم بظنى أن البشر التى تسير فى الشوارع برؤوس حيوانات هم بشر.. أنا لا أعترض على القدر ولكن الموهبة جريمة فى بلاد تكره العلماء والنابغين والشرفاء.. كرهت الشعر والثقافة واخترت أن أكون معلمًا أحفظ الدروس وعقول الطلاب فارغة، وحقائبهم فارغة.. قهرنى ميلى السرى للقراءة وعلوم التاريخ والأنثربولوجى.. آه يا شهوة الكتابة التى فقدتها.. قال دانيل بنكاك الكاتب العالمى: أمراض النحو تعالج بالنحو، والأخطاء الإملائية تعالج بالتمرين على الإملاء. الخوف من القراءة بالقراءة.. غياب سهر عن الفصل يجعل الفصل والمدرسة والكون غير مريح..

كاظم اتجه إلى بيت شهرزاد، دق الباب فتحت وجدته أمامها، رحبت به:

- **أهلين أستاذ..**

انفجر فى بكاء كالأطفال:

- **إنى أحبها يا شهرزاد..**

دخل من الباب وجدها أمامه..

- **سهر إنى أحبك.. ولا أستطيع العيش بدونك..**
- **سيدى إنى أحبك.. أنت الحب الوحيد الذى أحببت، لكن الله قدر كل شئ.. أنت الوسيم الرقيق الأستاذ الإنسان الشاعر.. أنت تزوجت وردة ، وأنا سأتزوج منقذ... (بكت سهر)**
- **سأطلقها وأتزوجك وأسافر معك أى مكان.**
- **يا سيدى.. يستحيل، هى حامل منك، وستصبح أباً.. أنا لن أنساك أبدًا ولن أنسى أنك أول من قبلتنى، وقبلتك مازال طعمها فى فمى..**

ركع على ركبتيه.. أمسك يدها وأخذ يقبلها..

- **قم أستاذ.. أرجوك لا توجع قلبى**
- **قولى كاظم.**
- **قم كاظم..**

ابتسم والدموع على خديه شاعرا بفرح طفولى، وخرج من البيت.. دمعتان سقطتا من عينيها.. أعطتها شهرزاد منديلا..

راح كاظم إلى بيته.. فتح الباب وجد وردة جهزت عشاءً فاخرًا، ووضعت على المائدة شمعتين، وشغلت الريكوردر لأغانى فيروز

وكتبت على الحائط بورق الزينة "كل سنة وأنت طيب يا حبيبى.. عيد ميلاد سعيد".. ضمها فى أحضانه بقوة كأنه يريد أن يدخلها قلبه لتخرج منه سهر وتحل محلها.. ليلتها كانت أصابعه تعزف على جسدها برقة مهزومة..

راحت شهرزاد تحكى عن ابن خالتها حامد الصقر الذى أرسل لها خطاباً من فنزويلا وأنه قادم إلى الشام بعد ٢٥ عاما، وكان يحبها وكان وكان..

كاظم.. أصبحت وردة حامل.. أصبح مثل كل الازواج يأكل يشرب ينام يضاجع بحرص لأسباب الحمل.. يذهب إلى العمل.. يعود من العمل.. وينام.. يستيقظ ليصحح الكراسات.. هل الكراسات تحمل أحلام التلاميذ أم قرفهم ومشاكلهم؟.. هى عناوين حالاتهم النفسية والاجتماعية.. إنه يشرب الملل برفق إلا عندما يتذكر أو يرى سهر..

"فى ظنى أن الرجال أصبحوا ندرة فى زحام أشباه الرجال، فى ظنى أن النساء الاستثناء أصبحن قلة وسط زحام أشباه النساء، فى ظنى أنى أبحث عن مدينة فاضلة، أو من رحم ربى من النساء، ومن اصطفى ربى من الرجال.. اللهم أكرمنا وارزقنا ببشر حقيقيين.. كلما التفتُّ فى الطريق أقابل كائنات أشباه بشر.. فى ظنى أنكِ أحلى النساء يا سهر، يا عمرى وفى يقينى أنك نور عيونى التى أرى بها الجمال فى تلك القرية.."

كاظم سعيد بعدم ذهاب وردة إلى المدرسة والسبب أنها حامل، وسيرى سهر براحته أثناء الامتحانات، وينظر لها نظرة يذوب منها

الحجر..

"آه ياسهر.. أعرف أنى أسيطر على روحك، وجسدك يرحل لى كل مساء، ينتفض اشتهاء الملامسة.. آه يا سهر.. أنتِ شهوة تنتشينى كلما نسيت النساء وخطفنى عشق الوطن.."

وردة وضعت عيونا لها فى المدرسة لتحكى لها البنات عن نظرات كاظم إلى سهر وهمساته ولفتاته.. هل الغيرة حرام أم حلال؟.. شقاء أم نعيم؟.. الغيرة ابنة شرعية للحسد..

كاظم يحدث نفسه دومًا.. ليس الأمل إذاً مستحيلا.. لابد أن تستوعبى حبيبتى حركة القلب والحب فى القلب، مثل الشمس والقمر، حرارة وبرودة لا شئ ثابت فى العالم.. صوتى ليس صوتًا واحدًا، ويداى على جسدك لا تعرف إلا الاندفاع بحنان، وتعرف أصابعى مساراتها وأين من جسدك تكون؟.. ليس الأمل إذاً مستحيل.. أحيانًا أرى عينيك يا سهر خضراء، ومرة زرقاء، ومرة بنية، ومرة نبية، ومرة شقية.. ليس الأمل إذاً مستحيل ستأتين لى إن شاء رب العالمين بخطوات رهيفة لتستمعى قصصى ورواياتى الخيالية والرومانسية والواقعية.. ليس الأمل إذاً مستحيل.. البعاد والتردد نار وجحيم وعدم التضحية فى العشق فساد المفاهيم، وعتمة النور واليقين.. ليس الأمل إذاً مستحيل.. أتصور أن قدومك بات مسألة وقت لا غير. كأنى أعرفك وحملتك فى يدى لحظة مولدك عارية، وهمست فى أذنك ذات يوم بأني سأعشقك، ورفعتك للسماء، وخطفت لك قمرا؛ فكنت قمرا للكون ولى عشقا خفيا كأنى أعرفك.. رأيتك زهرة ياسمين فنفخت فى روحك باسم

الله فكنت أنثى الإناث ما أروعك"

كان كاظم فى شبه جحيم فكلما شرد وهو يتابع التلفزيون صاحت وردة ضاحكة:

- وين راح عقل الأستاذ؟

- ولا شئ.

- وين شردت؟

- ما فى حدا غير الأهل.. فى الظروف فى دمشق الفيحاء..

فى أفكارى حالة بين الحسم والتردد.. أريد أن أحبك يا وردة.. أحبك أكثر وأكثر فأغرق.. لماذا حبك على حذر من فوق حافة العشق يا وردة؟ قلبى مع سهر وقلبك معى يا وردة.. ماذا أفعل بالله عليكِ خبرينى يا بنت الناس.. أحاول أن أحبك.. أحاول جاهدا.. أعطنى فرصة لأتخلص من حب سهر لا تضغطى علىّ.. يا بنت الناس ارحمينى.. كلما ضاقت بى اللحظات تذكرتك يا سهر..

وليس من الضرورى أن أشعر بالوقوف والصعود والقعود، وأنتِ يا سهر شموس وليل ونهار ونبرات وطبقات.. سبحان من خلق النساء قرينة الجمال واندفاع للحياة، وليس من الضرورى أن أقول إنى أتأمل حركة الكون والثابت والمتحول وأعرف أن الحب متعدد النبرات وحبك عواصف ورياح وصواعق، وليس من الضرورى أن أقول أنا بالرومانسية مفتون ومن عينيك أعرف الجنون والعواطف والمبادئ النبيلة.. لك المساء ولى الأغنيات الحزينة"

كانت وردة تختار أحلى الملابس خاصة ملابس قمصان النوم،

ولابد أن يظهر الثوب فتنتها الطاغية النادرة، ففى سن ١٧ سنة يكون للنساء سحر ليس سهلاً..

فى كل مرة كاظم يقبل وردة يعيش فى خياله مع جسد سهر؛ ليكمل النكاح.. ولعلى فى حاجة إلى تأكيد أنى مجنى عليه منك ومن الناس ولعلى فى حاجة إلى تأكيد أنى بالغواية أنفقت العمر بين رفاق السوء من الأصدقاء السياسيين والصحافيين، ولهم فى الجهل علامات، ولعلى فى حاجة إلى تأكيد أنى فريسة لجمال عينيك وأنك الحضور والأوبرا والمنزلة الأعلى من السطور، وأنكِ التضاد ولعلى فى حاجة إلى تأكيد أن النساء بلاد بعضها مبان شاهقات عاطرات، وبعضها شوارع وأزقة عفنة حقيرات، ولعلى فى حاجة إلى تأكيد أنى بالكتابة أضبط الحياة وأجد هويتى وأجد تفسير اختلاط الأشياء، ولعلى فى حاجة إلى تأكيد أن العشق توتر جميل ومعك توتر لذيذ..

فى الطريق إلى المدرسة ذاك الصباح قابل كاظم سهر والعصافير التى تطير فوقها.. نظر لها.. كانت سهر تسبقه بخطوات.. سار خلفها كأن روحها تشده بحبل من نور ولا أحسبنى أغالى لو قلت إنك تغارين.. وأنا رجل لا يحب أن يقسم قلبه بين اثنتين الآن.. لأننى رزقت بنور فى نفسى من الرحمن، ولا أحسبنى أغالى لو قلت إنك منديل أحزان ومدن التمدن والحرية وأنت سيدة الحرية لا العبودية، ولا أحسبنى أغالى لو قلت إنك تكرهين جهل وكبرياء الرجال الأجوف ونفاق الرجال المتخلفين، ولا أحسبنى أغالى لو قلت إنك المكاشفة والملاطفة والمبادئ وميزان القيم والمبادئ، ولا أحسبنى أغالى لو قلت

إنك السلطة العسكرية والروحية وفلسفة الرائى والراوى وعدالة للعصاة فى العشق.. ولا أحسبنى أغالى لو قلت إنك حلمى تجسد فى أنثى حقيقية وليست فى خيالى.. ولا أحسبنى أغالى لو قلت.. وقلت وقلت

التفتت خلفها فجأة وجدت الأستاذ كاظم ابتسمت ومشت:

- صباحو أستاذ كاظم..

- صباحو سهر.. أول يوم امتحانات الثانوية.

ود لو يسير بجانبها.. ود لو يمسك يدها، لكن المجتمع.. الناس، هو معلم المدرسة وهى تلميذته..

"حينما ألقاكِ أعلن أنك دولة مستقلة لا يحكمها ولا يسكنها إلا أنا.. هل عيب أن يحب الأستاذ تلميذته؟"

يتأرجح قلبه على خصلات شعرها، وهى تتطاير، وهو يكاد يجمع دقات قلبه المتبعثرة هنا وهناك.. ترى كم دقات قلب لأناس آخرين فى طريقنا ملقاة على قارعة الطريق ولم نشعر بها؟.. إن الإنسان أكثر المخلوقات ظلمًا وغشمًا وجهلاً..

آه يا سهر.. أبحث عنى عنك.. الحب حقيقة رائعة.. ودواء الروح المعذبة..

قررت سهر الذهاب إلى الإمارات بعد الامتحانات.. بلاد النفط حلم الشباب العربى.. بالأمس جلس منقذ فى صالون أبي سهر، وسأله أبو سهر:

- وهل يا ترى.. بلاد النفط تحب العرب؟؟

أجاب منقذ:

- والله عمى.. السياسة دائما تحكم الموقف.. إن السياسيين يخرجون على الإعلام بكلمات: "سوريا الشقيقة".. "مصر الشقيقة".. "المغرب الشقيقة".. والحقيقة شئ آخر.. الكل عبيد عند السيد النفطى، والسيد النفطى عامة يشعر أنه القوى العفى يملك المال والعيال إلا من رحم ربى من المثقفين النفطيين فهم معارضة وينحازون للفقراء والعدل، ويعاملون العرب برحابة وحب.. إذا صدمت سيارتك سيارة خليجى فتأكد أنك دوما أيها الغريب مخطئ.. إذا وقفت فى البنك الخليجى يدخل أولًا دون طابور.. والطريق دوما للخليجى، يعنى تفسح له الطريق ليمر.. ترى إلى أين ستأخذنا الأيام فى الخليج وأين سنمر؟..لكنها مريحة، ومرتباتها مجزية جدا.

اتفقا على عمل حفل خطوبة كبير، وبعد ظهور النتيجة تتم الدخلة. وسفرها..

الفصل السابع والعشرين

الوطن غريزة طبيعية ؟ مكتسبة ؟ مرض ؟ او وهم ؟

حفل خطوبة فتحى رضوان خليل وتهانى

تهانى.. لابد أن نتزوج.. إن حاجتى لأنثى طيبة تكون أمى وصديقتى وأختى وحبيبتى وعشيقتى ولبوءتي..

فتحى خليل.. يأسرنى أولئك الذين يحبون بلا خوف من العواقب وينفعلون بلا حيطة ويكرهون ويحبون بلا تعقل، وأنظر بإعجاب إلى المشاعر البسيطة وإلى السلوك الذى لا يأبه بالمضاعفات. لم أتعلم قط أن أكون غير مسئول. ولقد وضعت نفسى دوما على الانحياز للفقراء والثوار.. إن ٩٠% من حياته كان فقيراً.. مستوراً.. بالكاد حاول أن يجمع مصاريف حفل الزفاف، وبشكل متواضع.. لماذا حددت موعد حفل زفافك يا فتحى بعد سفر ناهد بأسبوع؟.. انتهت الامتحانات.. تخرجنا من الجامعة.. ناهد إلى السعودية وأنا إلى الإمارات..

فاتن حزنت.. إنى سأتزوج من امرأة أخرى..

فاتن بنت تاجر ثرى..

أنا من أسرة فقيرة..

لابد من الزواج وإعلانه.

موائد.. قاعة بسيطة.. زهور..

تهانى فى شكل رائع..

الجميع سعيد.

نحن نتزوج كى نضاجع النساء شرعياً.. نتزوج كى ننجب أطفالا عندما يكبرون يصبحون غرباء عنا.. نتزوج لنستقر ونبعد عن

الشيطان.. نتزوج لنعرف سر الجنس والانجاب.. نتزوج حتى نهرب من بيوت أهالينا.. وبعدها ننجب أطفالًا تكبر وتهرب منا..

عقد القرآن.

المأذون.

الزغاريد

بعد الخطوبة واللف على موائد الضيوف للسلام والتحايا، عادت تهانى إلى بيت أبيها وأمها أصر أبوها على أن نكتب الكتاب عقد القران حتى لا يسأل الناس لماذا يحضر فتحى رضوان لزيارتنا.. أما ليلة الدخلة مؤجلة.. إعلان الخطوبة أمر هام .

فرح سهر

الضحكات

الفرح الحقيقى الوهمى..

الزواج هو الاستقرار ضد الفوضى..

لن تتزوج سهر إلا بعد إعلان نتيجة الثانوية العامة وتسافر إلى الإمارات بعد أسبوعين..

فى قاعة فى الجبل.. القسم اليمين من القاعة للرجال والقسم اليسار للنساء كعادة أهل الجبل.. غداً..

بكى كاظم فى حمام قاعة الفرح لسهر.. تمنى أن تكون هذه ليلته على سهر.. جاء منقذ من الإمارات بآماله وأحلامه ليخطف سهر.

راغب حزن وسكر.. سوسن فرحت.. العصفور ظل طول الليل على نافذتها لم تحضر مبكرا بكى .عادت بعد حفل الخطوبة إلى بيتها وعاد كاظم إلى بيت أهله.. إعلان الخطوبة أمر هام..

***

فتحى رضوان.. يركب الطائرة لأول مرة..

كان عليّ الذهاب إلى الإمارات بحثا عن شقة، عن ثمن سيارة، عن القدرة على مساعدة إخوتى على التعلم للبحث عن وطن أكثر أمنا، لأن مصر انقسمت إلى دولتين: دولة فقراء، ودولة أغنياء، والطبقة الوسطى قد محيت بسبب الانفتاح.. لقد ألقى السادات المال على الشعب فسبحوا باسم سموه المؤمن والفاهم والحدق والسياسى، ومن شتمه أو خالف رأيه فهو قليل الأدب أو كافر، ويسجن، كما ألقى جوهر

الصقلى أربعة مليون دينار ذهب على المصريين فى الشوارع فتحولوا إلى المذهب الفاطمى الشيعى فى الحال.. الإمارات هى بلد أمن وأمان، الشيخ زايد رجل طيب ويحكم شعبه بالود والتفاهم.. قالوا له إن الإمارات أطيب شعب فى الخليج، لكن الحصول على فيزا أصعب من الدخول إلى الجنة.. لكن الله رد كيد العوازل وحصل على فيزا ووصل إلى الإمارات..

قبل أن أحضر إلى الإمارات بشهر عقدت قرانى على تهانى.. تهانى جميلة بسيطة كموج بحر الإسكندرية.. المطار كله هنود فى دبى كأننى فى نيودلهى.. لا يهم.. لماذا اخترت تهانى، وهى ليست أجمل البنات التى أعرفها؟؟ ولا شئ بها سوى بحر الطيبة فى عينيها الجميلة ورقتها الرائعة وعذوبة كلمة حاضر يا أستاذ.. إنني اخترتها لأنها اختارت أن تبيع حريتها لعبودية الرجل الشرقى التى تسكن أعماقى.. نزلت للسكن إلى حوش عربى.. كتبت رسالة إلى تهانى، قبل وصولها إلى الإمارات..

تهانى.. زوجتى..

لا تلومينى، تعودت القعود فى بيت الحكمة.. الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى وأرى العالم فى غير ثبات، وأشعر أني قد استغنيت عن جميع الموجودات وأحياناً أدعي أنني نسيت عطر النساء، وأفسر وجوب الخالق لكل الأشياء وأستوعب قوانين التغير والتطور والأحياء وكل الكائنات.. أنا من الذين يتفكرون فى خلق السموات والأرض وفوائد العشق لحواء أنا مدن ليس لها ميناء ولا أشغل نفسى بالدنيا

دينا أو مدنية، فالله فى كل الأشياء دنيوية ودينية، وأنا الشيخ المستنير وأعرف طعم الكلام والاصطدام والانتقال والاتصال ودهشة الطفل فى داخلى حين أرى مطر الشتاء.. اكتشفت أني أحبك كثيرا يا تهانى فى هذا المساء..

***

زوجك فتحى رضوان خليل.

هربت من ناهد حجازى، وتزوجتُ من تهانى؛ ربما لأنها ثرية وأنا فقير هربت من ناهد، بل حاولت أن أهرب من حبها، واتهمت الحب أحيانًا بالباطل وقسوت عليه ولكنى عندما أقع فى فخ الحب أصير كالمجنون وأقعد وأقوم وفى بالى المحبوب وأهمس وأصيح وأسعد وأحزن وأشعر بالخيبة وبالنشوة، ويصير عشقى وطنى أي الحبيبة تصير وطن الحب وأذوب ولا أخون وأسترضى المحبوب، ولكن تفترسنى الغيرة والظنون والشكوك ويصير خيالى مريضا وساذجا أتابع حتى أنفاس الحبيبة، وبالحب أحيانًا أشعر بالنور وأستنير، وأنا العليم بالتاريخ والرواية والدراية لا أملك سلاحا أمام ضحكة رمش المحبوب، وأصبح بين قصري الوجد والتفانى فى روح المحبوب.. لكى أستوعب ما بداخلى من مشاعر أنظر إلى السماء فأتوق إلى الآفاق الجديدة والفن الصادق والحرف المضئ، لكى أستوعب غيابك وتدهور حياتى عليك بالحضور بتلقائية شديدة وجرأة متناهية لكى أستوعب أني إنسان أذوب فى الألوان والساحة والميدان وأجيد العشق والكتابة وشرب القهوة السادة والكابتشينو.

فرحت كثيرا تهانى بكلماتى، ومالت على كتف أختها الصغيرة، وبكت كثيرا عندما كتبت وقلت لها بمجرد حصولى على عمل فى الإمارات سأدبر لك تذكرة ومنزل..

الإمارات بلد مليئة بالشجر فى كل مكان هكذا يحبها ان تكون الشيخ زايد لا شك أن الاشجار كانت بشرا ومن قسوة قلوبها تحولت.. لا شك أن الشعراء مشروع أنبياء لكن غواية الإثم أرجعتهم للوراء.. لا شك أن الغائب إذا حضر وانتقل من الخيال إلى الواقع وظهر فإنك فى خطر.. لا شك أن الفلسفة بقايا أفكار الأنبياء، وأن الحرية التى نادى بها القرامطة هى أسر لنا ووقوع فى سهم العناء، لا شك أن النشأة الأولى لى حلم بالهوى لولى من أولياء الله وشجرة حياة خرافية، لا شك أن طفولتى وشبابى وعشرين عاما قضيتها كنت أجرب فى المتلقى والتلقى والإبداع بحثا عن الخلاص الذى أجده أحيانًا فى أحضان الصوفية والطريقة القادرية البودشيشية والرفاعية والأحمدية وفى عين حبيبتى النبية..

كانت تهانى تعرف أنني أحب النساء منذ الجامعة وقالوا لها كثيرا عنى وعن نزواتى. كانت تسألنى دائما:

– ماذا فى قلبك؟

– لا تسألينى ماذا فى قلبى؟؟ فى قلبى فراشات وعطر لهن نسينه فى ذات مساءات ونهارات وأمسيات..

– ماذا فى روحك؟

– تمرد سيدنا إبراهيم على أصنام الأدب والفكر والدين والتعصب.

- هل تحبنى يا فتحى؟

قالت تهانى هذا ببساطة سؤال من الأطفال..

أجبتها:

- النور أنتِ وأنتِ نورى.. فيا نورى كونى كما أنتِ للناس ضياء ولى سماء وسماؤكِ تطير فيها أحرفي وكلماتى وشمس قلبى تشع حين تسقط دموع العاشقين لك مطراً... ألون بها أرض عشقى لك أنت يا مسك النساء.. جميلة أنت سيدتى مثل الكتابة والربابة مثل سحابة تمطر على قلبى مطرا لا يراه غيرى وغيرك..

ذهب فتحى إلى جريدة الخليج فى الشارقة للبحث عن عمل أفضل حتى يهرب من مجلة الحرية التعبانة.. كل من قابله فلسطينيون سألوه:

-كيف مصر؟

- كيف السادات الخائن معاكم؟

كنت أجيب:

- مصر بخير... أما السادات لا أعرف.

- مصر ما جابت غير عبد الناصر..

تذكرت إذاعة فلسطين فى يوم وفاة عبد الناصر تقول: عبد الناصر الخائن الذى قبل مبادرة روجرز، وتذكرت أن الفلسطينيين الذين كانوا فى غزة فقراء مساكين كما رأيتهم وأني أحبهم.. كتبت إلى تهانى رسالة..

"ما علينا.. الحب ليس بأيدينا.. ما علينا.. كيف لى أعرف ذاتى وأنت

بعيدة عنى يا فؤادى.. ما علينا أحس بصهد الشتاء وأتابع زيد الأدعياء كل ليلة فى التلفزيون حاملى قشور الأشياء.. ما علينا.. حملت لك قائمة دوائى وأعبائي وما حدث لى منذ يوم موتى وميلادى.. ما علينا.. لفظتنى مواكب الجهل فى الصحافة والتلفزيون.. ما علينا.. أتابع كل ليلة مقالات الأدعياء وحاملى قشور المعرفة.. أنصت ولا أنصت وأتعذب بالمعرفة.. ما علينا.. أعاني وأموت كل ساعة مائة مرة من تخلف الناس وأحوال العباد كيف كان قدرى أن أولد وسط هذا الكم من الغباء.. ماعلينا.. ليس عندى لك إلا كلمات لا تحسبى أني مازلت من الأغنياء، إني قد ابتليت ببعض الأشياء والله يبتلى من يحبه من العباد.. ما علينا.

حبيبك وزوجك

فتحى رضوان خليل

الفصل الثامن والعشرين

كم مشينا وحكينا

فتحى رضوان خليل

تذكرت وأنا أسير على الخليج، قبل زواجى من تهانى بأسبوع دخلت أنا وهى مسرحية مأساة الحلاج فى قصر ثقافة الحرية على مسرح بيرم التونسى كانت للشاعر صلاح عبد الصبور.. إخراج حسن عبد السلام.. خرجت من المسرحية لم أتكلم أدهشنى هذا الصوفى الذى تحت جلد صلاح عبد الصبور كأنه يسكنه.. أى صوفى يسكنك ياعم صلاح عبد الصبور؟..

الأيام حبلى بالدهشة والدهشة حبلى بالإبداع، وأنا واع بأن الله يملك أزلية الإبداع فهو المبدع الأول والأخير.. "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت.." إنهم عمى صم بكم.. بشر.. الإنسان ظلوم جهول..

سألتنى تهانى:

– ما الأخبار؟

قلت لها يقول صديقى الشاعر أشرف عامر فى قصيدة له:

قلبى المجهد

لا يحتمل الجرى وراء الأخبار..

قبَّلت تهانى.. سرنا على الكورنيش.. كم مشينا فى طريق كورنيش الإسكندرية العجوز الطويلقابلت يومها صبرى الجمل وكيلى فى اتحاد الطلبة دعانا أنا وتهانى فى تريانون:

– فتحى يا رضوان أنا لن أغادر مصر مرة أخرى، جاءنى عقد جديد عمل بالسعودية، ولن أذهب.

– ماذا تملك فى مصر يا صبرى؟.. تخرجت من كلية العلوم ولم تجد

عملا بعد..

- ماذا أملك..؟ ماذا أملك؟.. تسألنى ماذا أملك؟.. سرير بوايز فى حجرتى لأبى الذى مات من سنين طوال، وغطاء وثير من الكشمير ورثته عن جدتى، وقنينة عطر رخيصة، وماكينة حلاقة رديئة، وكرسى خشبى رخيص، ومكتب خشبى متهالك، ولمبة كهرباء ٢٥ وات..

ضحكت

- هل لديك شيئا ستخسره هنا؟
- لا أحجار كريمة لا ذهب.. لا شئ سأخسره هنا سوى قلب أمى العجوز الحانى. سأفتقد حنانها.. (اغرورقت عيناه..)
- سافر يا فتحى يا رضوان واجمع فلوس واتهان من أجل شوية حجر لشراء شقة وأربع عجلات لسيارة، وأنا سوف أسافر مثلك من أجل أن أفعل مثلك.. نسافر من أجل شوية طوب..

صبرى أبوه تزوج أكثر من مرة.. لا يعرف عدد زيجاته.. لكن يعرف أن له حوالى خمسة عشر أخاً، وليس له أخوات بنات. كانت المفاجأة أن صبرى وجد الشرطى ينادى عليه فى مطار الرياض:

- إنت يا المصرى.. إنت يا.. المصرى

شعر بأن كلمة مصرى إهانة أو سبة أو عيباً.. كتب لى رسالة فى الإمارات:

"قل لى يا فتحى يا خطيب القومية العربية والناصرية ومصر العروبة والقومية العربية.. أين العروبة.. فين عروبة.. أى عروبة

تنادى بها أنت وعبد الناصر بتاعك.. يا عم فتحى، المصرى بينضرب بالجزمة فى السعودية.. أنا لا أعرف كيف أحتج.. كل ما أريده أن أعمل ومع كرامتى.. يقول المصريون اترك كرامتك فى المطار وأنت راجع مصر خذها من الأمانات.. السعوديون فى الشارع ينادون المصرى يا فوال.. قال لى تصرفت برومانسية ذهبت إلى القنصل العام فى جده وكلمته.. وشكوت له عن معاملة المصريين فى السعودية.. ضحك القنصل وقال كل الدول العربية الخليجية كده إن لم يعجبك ارجع إلى مصر.."

صبرى الجمل رسالته تنزف مرارة فى الكلمات ويرسلها لى فى الرسائل لا يسمعها إلا الله فى السماء.. وأنا فى الأرض..

هل مات عبد الناصر فماتت كرامة المصرى فى الخليج؟

هل ينتقم الخليجيون من المصريين بسبب تاريخ طويل من السلوك الخاطئ من الجيش المصرى أيام الوالى محمد على وغزواته إلى شبه الجزيرة العربية للقضاء على الدعوة الوهابية.. أليست الدعوة الوهابية تحولت من دعوة دينية إلى سياسية.. ولماذا ظهرت كدعوة دينية، حيث شاهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب طيب الله ثراه.. ذات يوم أن أهل قبيلة فى مكة جاءوا بتمثال لشيخ القبيلة ووضوعها فى الحرم تقديرا لذكرى وفاته.. وبعد قليل جاءت قبيلة أخرى ووضعت تمثالا أكبر لشيخ قبيلتها الذى مات، وبدأ المسلمون البسطاء يطوفون فى الكعبة ثم يطوفون حول التمثالين؛ فخاف الرجل الطيب الشيخ محمد بن عبد الوهاب من عودة التماثيل، حيث أن الحج قبل الإسلام كان موجوداً

والطواف وكانت هناك تماثيل لهبل وغيرهم وكسرها رسول الله عليه الصلاة والسلام، وبعد قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب حماية للإسلام من التخلف العقلى بهدم التماثيل وأفتى بعدم نحت التماثيل ووضعها فى الكعبة أو خارج الكعبة خوفا من الشرك والردة، وإلى هنا كانت الأمور رائعة إلا أن الشيخ تعاون مع آل سعود لنشر الوحدة وتحولت من دعوة دينية إلى سياسية، مما أخاف الدولة العثمانية فأمرت محمد على بأن يقود جيشا لضرب الدعوة السياسية وعدم استقلال أراضى الحجاز عن الخليفة العثماني، فأشار الوهابيون إلى أن جيش محمد على جيش كافر من المصريين..

مع أن الجيش لم يكن مصريا بل كان من المماليك، ويقال إنه كان مصريا مائة فى المائة.. صبرى الجمل عمل فى مدرسة.. صبرى قد تعود أن يطارد النساء ذوات الثدى الكبير، مفتونا دوما بالحلمات وأنواعها.. كان لا يحبه الكثيرون لأنه يعتد بنفسه كثيرا.. يسير كالطاووس.. يرفض أن يقتحمه الأغراب، أو أى شخص.. هو يحب أن يختار أنثاه ولا تختاره أنثاه..

الصبر الجميل أروع ما فى العالم ولكن على ماذا يصبر صبرى الجمل؟.. منذ عرفته يزهق بسرعة من التفاهة.. يشترى أى كتاب إذا لم تعجبه العشر صفحات الأولى ألقى به على قارعة الطريق أو وسط الطريق.. عمل صبرى مدرسا، وفى المدرسة قابل زملاء له من الجامعة حاصلين على ماجستير ودكتوراه فى مصر يعملون مدرسين إعدادى، ومعه فى المدرسة.. شعر بخيبة الأمل فى مستقبل مصر..

ماذا فعل بنا أنور السادات؟.. ألقى بالمثقفين والمتعلمين فى جحيم الهجرة، واحتضن السادات الحثالة والغوغاء واللصوص لسرقة مصر، والدليل فيلم "انتبهوا أيها السادة"، شاهده صبرى الجمل عدة مرات، ولكن لم يصدق إلا عندما شاهد رجلا يحمل دكتوراه علوم يعمل مدرس إعدادى فى السعودية.. صبرى الجمل شاعر كبير الموهبة أحد إخوته شاعر وهو يهوى التمثيل ولكن أحد إخوته ممثل ولكنه عشق الحروف اختار السيناريو ليكون كاتب سيناريو لكن المسرح شده لكن النوافذ ضيقة، فسافر للسعودية كى يحصل على حقائب المال، لكنه فوجئ بشهادات عليا دكتوراه وماجستير يعملون مدرسين عاديين..

واحسرتاه يا مصر العبيطة تفرطين فى النوابغ.. المجد للبلاهة وللسخفاء وسياسات البلهاء طاردى المبدعين والعلماء.. المجد لمن أخرجونى أنا صبرى الجمل من أحضان النيل بالذل للحصول على جنيهات قليلة.. إلى بلاد الحجاز.. شعر صبرى الجمل بالمدرسين المصريين وهم يرتجفون أمام مدير المدرسة، تذكر أنه يحصل على الريالات مقابل إهانات.. كم أحبك يا وطنى

كتبت رسالة إلى تهانى..

تهانى.. حبيبتى.. انسحبى من ضلوع جنونى إن لم تتحملى احتياجى واجتياحى، فأنا الصوفى الناسك والمتقشف والانعزالى، وأنا الأشطح والأخرق والدنيوى والدونى، وأنا العرضى فى الحياة، وأنا الرسوخ الدينى وأحمر الشفاه اللامرئى فى شفاه النساء، وأنا الموت فى الحياة والحياة فى الموت، وأنت الأفضل والأجمل والأخرق والطول

والعرض فى قلوب كل النساء؛ فإن لم تتحملى إيحاءاتى الدانية والراقية والصاعدة والهابطة وتقديسى للحب ورسوخ جنونى ستكونى أكذوبة لى.

وغرقت فى الهوى

كاظم..

الصباح بدونك غريب يا سهر والعصافير فى صمت رهيب.. تعالي ليفرح الصباح ويغنى وتزقزق وتشقشق العصافير..

راحت سهر إلى المدرسة، وأدت امتحان اليوم الأول، وخرجت من المدرسة مبكرًا ومعها العصفور، واتجهت إلى بيت شهرزاد..

جلست أمام الركوة والنار قالت شهرزاد:

- تشغل كحكاية الحبيبين بجنون يا صغيرتى.
- يا خالتى.. الإيمان والحب قوتان.. ماذا فعلت الحبيبة؟.. خبرينى..
- اليوم جئت بكير.. شو صار؟
- المدرسة امتحان نصف يوم .
- مع إن الامتحان مفروض يتأجل
- ذكرى انفصال الوحدة مع مصر.. فيه ناس ما بتحب هالسيرة
- ما تفكرينى بالوحدة وعبد الناصر الله يرحمه.. كان رجال.. ومصر ما بتتنسى
- انا بحب مصر ما بعرف ليش.. عشان عبد الحليم وأم كلثوم.. وإلا من شان الأفلام.. وإلا من شان شو؟
- إحنا كلنا جينا من مصر.. ويقولون الشيوخ اللى ما إجى من مصر مالو أصل..

قالت شهرزاد:

- قومى الآن يا صغيرتى سهر إلى البيت.. عندك امتحان الثانوية.. لقد حان الأوان للعودة إلى داركم والمذاكرة..

- حاضر يا خالتى..

قامت واتجهت إلى النزول من فوق التل..

"الإنسان الذى يشبع من الحب هو إنسان ميت حى"

سر الروح

كاظم.. الحب.. سر الكون سر الله فينا.. سر الروح، ومن شعر بأن الحب فات ومات وذبل هو لم يذق الحب الحقيقى، وإن ادعى. وما بنى على باطل فهو باطل، والحب الحقيقى كالماس يغلى ثمنه ويلمع ويزداد كل يوم..

دخلت عليه وردة فى حجرته تحمل كأس المتى جلست بجواره، سألته:

- وين حنروح بعد الامتحانات ما تخلص..

- ما بعرف..

- نروح الزبدانى بيقولو شو بيجنن..؟

عيناه تائهتان.. فى الخفاء ود لو يسافر إلى الإمارات مع سهر.. أليس الحب ابتلاء..

" فى الصباح لك همزة الوصل فأوصلى يا همسة لروحى وتلاقى مع الحرف الخائف فى قلمى لك يكتب من كثرة التردد"..

- شو قلت بنروح الزبدانى فى هالصيف..؟؟

- إن شاء الله.

- شكرا حبيبى..

قامت وقبلته من خده..

***

سهر.. جاءت إليها شهر زاد تحمل لها هدية ثمينة، مجموعة قمصان نوم للزفاف.. فتحت العلبة الراقية الفاخرة أخرجت طقم قمصان نوم لمدة أسبوع.. كل يوم شكل: أحمر، أخضر، أبيض، أصفر، كل قميص قطعتان.. قطعة عليا وقطعة سفلى.. كانت شهرزاد وسهر..

راحت سهر إلى بيت شهرزاد.. كانت شهرزاد قد فتحت الباب وراحت تضع بخوراً.. وجهزت شراب المتى.. وجلست أمامها سهر، فى ذهول:

- شكرا لك.
- اخلعى ملابسك.. جربى واحد.. بنشوفه.

ضحكت سهر ببراءة، ونسيت ما قالته شهرزاد عن سلوك ليلى.. بما القمصان الفاخرة.. خلعت ملابسها سهر بسرعة.. فاحت رائحة عطر جسدها وصدرها النافر بالحلمتين.. قامت ليلى مسرعة، وراحت تحمل قميص النوم الأحمر، وراحت تلبس سهر بيديها..

- لازم ألبس بإيدى..
- لا

راحت يدا ليلى بسرعة فائقة تلبسها، واحتضنتها من ظهرها..

- الله هياخد منك حته هيك النسوان والا فلا.. بدى الآن اوريك كيف تعملى فى ليلة الدخلة.

خجلت سهر. يا ويلى..

- ما تخجلى.. هو حيجيك يحضنك هيك.. وإيديه وشفايفه هيك

راحت تضمها فى أحضانها وتقبلها من شفتيها العليا والسفلى، ويداها تدعك فى ثدييها.. فزعت سهر وجرت إلى السرير.. جرت خلفها ليلى.

- صح انتى حتعملى هيك وهو حيجرى وراك.. هيك

وراحت تحاول اغتصابها، ويداها المدربتان تتدعك جسد سهر.. صرخت سهر:

- يمى.. يمى..

دخلت الأم مسرعة شاهدت ليلى وهى تركب فوق سهر.. ضربت يدها بصدرها.

- شو بتعملى شو صاير.

صدمت ليلى، بينما اختبأت سهر خلف أمها خائفة مرتعدة.. صاحت الأم:

- شو بتعملى؟

- كنا بنمزح عروسة وعريس يا خالتى..

- لا مابدى يمه خليها تخرج من الدار..

- اخرجى من دارنا وهدى هديتك معك..

جمعت الأم ملابس النوم، وخلعت سهر قميص النوم من عليها، خرجت ليلى مفزوعة مهرولة تحمل علبة قمصان النوم، ونسيت حقيبة يدها.. ارتمت سهر عارية فى أحضان أمها.

- البنت دى شاذة يا أمى..

قامت الأم بمساعدة سهر على ارتداء ملابسها، فاكتشفت حقيبة ليلى.. فتحتها الأم، وجدت بها رسالة إلى سهر.. لقد عرفت الآن سهر أن هذه الرسائل التى كانت تأتيها من ليلى نفس الخط.. يا ويلى..

قالت لشهرزاد وهى تجلس أمامها:

- هذا ماحدث يا خالتى.
- الحمد لله هى ما تروح المدرسة وماحتقعد هون الله يستر على أبيها.. وأمها..
- فاضل أسبوع وأسافر للإمارات بدى تخلصى حكاية الحب
- الحكاية طويلة يا حبة القلب.
- وقد تنتهى قبل عرسك بيوم..
- يا خالتى.
- يا روح خالتك.. ذاكرى وامتحنى وسأحكى لك قبل سفرك بيوم باقى الحكاية.

* * *

الفصل التاسع والعشرون
الهروب من مصر مثل موسى عليه السلام

كان الخروج من مصر أشبه بالهروب الكبير.. كل أحلامنا فى مصر ضاعت وأحلامى.. العسكر يحكمون البلاد منذ عهد الفراعنة.. ورقة صفراء وأجازة بدون مرتب لمدة عام.. التأشيرة كانت ولابد وأن تأتى من الإمارات من سيد شحم.. لابد للسفر إلى الإمارات حيث الديمقراطية هناك.. أول مرة سأركب طائرة ..

الإسكندرية تفتح أذرعتها الكسيحة لى.. السادات يخدعنا بالديمقراطية والعدالة الجتماعية.. كل ما نراه أمامنا سرقة ولصوص، وتجارة حرة، والموانئ مفتوحة كغانية.. سأنسى مصر الوجع.. "إذا مر طيفك ببالى سأشترى وردة وأشم عطرها فى الحال.. فأنت ذكرى للقلب ووردة المستحيل".. الإسكندرية تموت كل يوم مرتين صباحا فى زحام المدارس والعمال ومساء فى الغروب.. آه لو سافرت إلى الكويت..

الكويت بلاد المستحيل أقوى بلد فى الخليج فكرا وثقافة، ومن أكثرها قسوة على الغرباء هى والسعودية، وكذلك ليبيا فى الغرب فى معاملة المصريين.. حملت ملابسى فى شنطة وأوراقى فى شنطة إلى الطائرة، لكنى اتجهت إلى الإمارات.. عند وصول الحقيبة إلى المطار وجدت حقيبة الأوراق سليمة وحقيبة الملابس تمزقت.. الإمارات حلم كل الفقراء فى بلادى مصر.. تعنى أنك ستشترى مسجل ومروحة وبطانية وفستان لحبيبتك وحصيرة بلاستيك والشراكة فى جاموسة وشراء شقة وسيارة ..

تنهدت شهر زاد وسكتت عن الكلام المباح

بكت سهر: لماذا لا يتزوج الحبيبان؟..

- قدر الزمان

- متى تحكي ثانية ياخالتي شهرزاد؟... غدا؟

- إن شاء الله...

***

ببليوجرافيا الكاتب السيد حافظ
وأهم أعماله فى المسرح والرواية

- **من مواليد محافظة الإسكندرية جمهورية مصر العربية ١٩٤٨**
- **خريج جامعة الإسكندرية قسم فلسفة واجتماع عام ١٩٧٦/ كلية التربية.**
- **أخصائي مسرح بالثقافة الجماهيرية بالإسكندرية من ١٩٧٦/١٩٧٤.**
- **حاصل على الجائزة الأولى في التأليف المسرحي بمصر عام ١٩٧٠.**
- **مدير تحرير مجلة (الشاشة) (دبي مؤسسة الصدي ٢٠٠٦– ٢٠٠٧).**
- **مدير تحرير مجلة (المغامر) (دبي مؤسسة الصدي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧).**
- **مستشار إعلامي دبي مؤسسة الصدى (٢٠٠٦ – ٢٠٠٧).**
- **مدير مكتب مجلة أفكار بالقاهرة (الكويت).**
- **مدير مركز الوطن العربي للنشر والإعلام (رؤيا) لمدة خمسة سنوات.**

عرض له في مسرح الطفل

- مسرحية سندريلا (الكويت-سلطنة عمان-البحرين)	**١٩٨٣ إخراج /منصور المنصور.**
- مسرحية الشاطر حسن(الكويت-دبي-أبوظبي)	**١٩٨٣ إخراج /أحمد عبد الحليم.**
- مسرحية سندس (الكويت-البحرين- قطر)	**١٩٨٥ إخراج /محمود الألفي.**
- مسرحية على بابا (الكويت - دبى)	**١٩٨٥ إخراج/ أحمد عبد الحليم.**
- مسرحية أولاد جحا (الكويت - البحرين)	**١٩٨٦ إخراج / محمود الألفي.**
- مسرحية حذاء سندريلا(الكويت - بغداد)	**١٩٨٧ إخراج /دخيل الدخيل.**
- مسرحية بيبى والعجوز (الكويت - بغداد)	**١٩٨٨ إخراج / حسين مسلم.**
- مسرحية فرسان بنى هلال (الكويت)	**١٩٨٩ إخراج / محمد سالم.**
- عنتر بن شداد (الكويت)	**١٩٨٩ إخراج/أحمد عبد الحليم**
- مسرحية أولاد جحا (مصر)	**١٩٨٩ إخراج / المؤلف.**
- مسرحية سندس	**١٩٨٩ إخراج / خمسة مخرجين.**
- مسرحية حكاية لولو وكوكو	**١٩٩٠ إخراج / المؤلف.**
- مسرحية قميص السعادة – القاهرة	**١٩٩٣ إخراج / محمد عبد المعطى**
فرقة تحت١٨ القطاع الاستعراضي بطولة وجدى العربي-عبد الرحمن أبو زهرة عائشة الكيلانى-علاء عوض	**١٩٩٦ إخراج / حسام عطا**

- مسرحية حب الرومان وخيرزان (القاهرة)

- فرقة تحت ١٨ القطاع الاستعراضي.. بطولة : مي عبد النبي - لمياء الأمير محمد عبد المعطي - أحمد الحجار.

- مسرحية (سفروتة في الغابة)   ١٩٩٨ إخراج/د. محمد عبدالمعطي
من إنتاج المؤلف .. وتم عرض المسرحية في (مهرجان قرطاج المسرحي بتونس) بطولة / وفاء الحكيم - محمد عبد المعطي

- حصل على جائزة أحسن مؤلف لعمل مسرحى موجه للأطفال في الكويت عن مسرحية سندريلا عام١٩٨٠.

- حصل على جائزة التميز من اتحاد كتاب مصر ٢٠١٥

- كتب عنه أكثر من ٥٢ رسالة جامعية بين مشروع تخرج أو ماجستير أو دكتوراة

- كتب ٨ روايات

١- مسافرون بلا هوية ١٩٩٧

٢- نسكافيه ٢٠١٠

٣- قهوة سادة ٢٠١١

٤- كابتشينو ٢٠١٢

٥- شاى أخضر - شاى بالياسمين ٢٠١٤

٦- كل من عليها خان ٢٠١٥

٧- حتى يطمئن قلبى ٢٠١٦

٨- ما أنا بكاتب (تشظى منها روايتان : وهمت به – شط أسكندرية يا شط الهوي) ٢٠١٧

مشاريع السيد حافظ الفنية للمسرح

1. **الغجرية والسنكوح**
2. **وسام من الرئيس**
3. **رحلات ابن بسبوسة**
4. **انا ما ليش حل**
5. **عريس الغفلة**
6. **حكاية الفلاح عبد المطيع**
7. **حكاية مدينة الزعفران**
8. **الحوش**
9. **الراجل اللى لعبها صح**
10. **امسكوا سالم حشيشة**
11. **ملك الزبالة**
12. **حرب الملوخية**

كتب مشروعا مسرحياً للقضية الفلسطينية وحرب أكتوبر والاستنزاف تضمن :

1. **رجال في معتقل**
2. **يا زمن الكلمة الكدب الكلمة الخوف الحانة الشاحبة العين**
3. **والله زمان يا مصر**
4. **الأقصى فى القدس يحترق**
5. **أحبك يا مصر**

كتب لمسرح الطفل مشروعا به مسرحيات

1) **سندريلا**
2) **الشاطر حسن**
3) **أبو زيد الهلالى**
4) **سندريلا والأمير**
5) **سندس**
6) **على بابا**
7) **أولاد جحا**
8) **بيبى والعجوز**
9) **سندباد سواح فى البلاد**
10) **قطر الندى**
11) **عنتر بن شداد**
12) **فستق وبندق**
13) **القطة يويو**
14) **أحلام بابا نويل**
15) **حمدان ومشمشة**
16) **سفروته فى الغابة**
17) **حب الرمان وخيزران**
18) **الوحش العجيب**

قدم مشروعا للمسرح التجريبى به

1) **كبرياء التفاهة فى بلاد اللامعنى**
2) **حدث كما حدث ولكن لم يحدث أي حدث**
3) **هم كما هم ولكن ليسوا هم**
4) **علمونا أن نموت وأن نحيا**
5) **الطبول الخرساء فى الأودية الزرقاء**
6) **حبيبتى أنا مسافر والقطار أنت والرحلة الإنسان**
7) **حبيبتي أميرة السينما**
8) **إشاعة**
9) **أجازة بابا**
10) **الميراث**
11) **سيمفونية المواقف ٥ مسرحيات تجريبية فصل واحد وهى**
12) **إيقاع فى رحم الكلمات العذرية**
13) **نغم فى الحلم الفوضوى**
14) **تقسيمات مختزنة للشمس**
15) **سقوط حضارة لوط**
16) **الخادمة والعجوز (٦ مسرحيات تجريبية)**
17) **المفتاح**
18) **الخلاص يا زمن الكلمة الكذب الكلمة الخوف**

١٩) سيزيف القرن العشرين
٢٠) الأشجار تنحنى أحيانا (مسرحيات تجريبية) وهى
٢١) رجل ونبى وخوذة
٢٢) امرأة وزير وقافلة
٢٣) طفل وقوقع وقزح
٢٤) لهو الأطفال فى الأشياء شيىء
٢٥) تكاثف الغثاثة على الخلق موتا
٢٦) خطوة الفرسان فى عصر اللاجدوى.. كلمة
٢٧) محبوبتى محبوبتى قمر الخصوبة فى شرنقة حبنا ميلادا
٢٨) تعثر الفارغات فى درب الحقيقة.. بحث
٢٩) ياله من عالم مظلم بارد متخبط
٣٠) بوابة الميناء
٣١) قدم مشروعا للمسرح النسوى يحتوى على (٥) مسرحيات للنساء تحت عنوان اكسبريسو ومعها
٣٢) امرأتان
٣٣) ليلة ليلاء
٣٤) ليلة الخميس
٣٥) ليلة اختفاء الحاكم بأمر الله
٣٦) ليلة اختفاء إخناتون
٣٧) ليلة اختفاء فرعون موسى
٣٨) المنشار
٣٩) التحقيق
٤٠) صراع الألوان مشروع مسرحيات قصيرة جدا يضم ٣١ مسرحية بين دقيقة ونصف دقيقة.
٤١) المسافر ٢٠١٨
٤٢) الجراد ٢٠١٨

<u>أخرج للمسرح</u>

- **مسافر ليل (لصلاح عبد الصبور) عام ١٩٧٠ من بطولة ٢٥ طفل وطفلة (أصغرهم ٦ سنوات وأكبرهم ١٢ سنة) عرض غنائى موسيقى (ألحان حمدى رؤوف وكورال ٤٠ طفل وطفلة) المسافر ٦ شخصيات والراكب ٦ شخصيات عشرى السترة ١٠ شخصيات.**
- **(الحبل) يوجين أونيل ١٩٦٨ بطولة مهدى يوسف (المؤلف الشهير الحالى) – معهد إعداد الفنيين التجاريين.**
- **الزوبعة لمحمود دياب، كلية التربية عام ١٩٧٣.**
- **الخروج من ساحل المتوسط قصيدة محمود درويش عرض بطولة ١٢٠ ممثل وممثلة من الشباب.**
- **آه يا وطن ١٩٧٣ قصائد سيد حجاب، مجدى نجيب، عبد الرحمن الأبنودى-فؤاد حداد.**
- **حديقة الحيوان لإدوارد أولبى ترجمة على شلش بطولة "أحمد آدم" نجم الكوميديا حالياً، صفاء غراب قصاص معروف حالياً.**

- **كوكو ولولو، تأليف الكاتب ١٩٨٩ إنتاج خاص.**
- **أولاد جحا، تأليف الكاتب ١٩٨٩ إنتاج قصر ثقافة مصطفي كامل.**
- **نال جائزة أحسن مخرج في مراكز الشباب عام ١٩٧٠ عن مسرحية (جواز سفر) إعداد / عن أشعار محمود درويش وسميح القاسم.**

أسس جماعات تجريبية للمسرح

- **فرقة الصعاليك – فرقة ألف باء مسرح – جماعة الاجتياز – وكان ضمن هذه المجموعة الفنان/ فاروق حسنى وزير الثقافة السابق، ود/ مصطفي عبد المعطى وكيل وزارة الثقافة السابق. والفنان مسعد خميس وعلى الجندى ومحمد نوار وقد أخرج يوسف عبد الحميد مسرحية كبرياء التفاهة فى بلاد اللامعنى بطولة مسعد خميس ونازك ناز ومسرحية سيزيف بطولة على الجندى..ومسرحية إيقاع فى رحم الكلمات العذرية بطولة محمد أنور**
- **جماعة المسرح الطليعى التى قدمت مسرحية (آه يا وطن) لمدة ١١٠ يوم وكانت أول فرقة للهواة في تاريخ مصر تقدم عرضاً متواصلاً دون أجازة – عام ١٩٧٣.**

أعماله في فرق الأقاليم والمحافظات

م	المكان	المسرحية	المخرج	سنة العرض
١	بيت ثقافة أبو تشت	رحلات ابن بسبوسة	فريد عبد الحميد	١٩٩٤
٢	بيت ثقافة السنبلاوين	رحلات ابن بسبوسة	رجائي فتحي	١٩٩٥
٣	قصر شبرا الخيمة	ملك الزبالين	محمد الخولي	١٩٩٦
٤	ميت غمر	ملك الزبالين	علي عزب	١٩٩٦
٥	العائم	ملك الزبالين	محمد الخولي	١٩٩٦
٦	القليوبية	ملك الزبالين	ماهر سليم	١٩٩٦
٧	أبو حمص	قراقوش والأراجوز	سيد هنداوي	١٩٩٧
٨	العريش	النديم	عبد الستار الخضري	١٩٩٧
٩	غزل المحلة	خطفوني ولاد الإيه	مجدي مجاهد	١٩٩٧
١٠	بلبيس	رحلات ابن بسبوسة	إبراهيم شكري	١٩٩٧
١١	المسرح العائم	قراقوش والأراجوز	محمد الخولي	١٩٩٧
١٢	بيت منشية ناصر	عاشق القاهرة	أحمد عبد الباقي	١٩٩٨
١٣	قصر	حكم قراقوش	أسامة شفيق	١٩٩٨
١٤	بيت النصر	ملك الزبالين	فوزي شنودة	١٩٩٩
١٥	أبو حمص	ملك الزبالين	عادل شاهين	٢٠٠١
١٦	الجيزة	حرب الملوخية	أشرف فاروق	٢٠٠٢
١٧	أبنوب	حرب الملوخية	عادل بركات	٢٠٠٢

١٨	الغنايم	وسام من الرئيس	محمد المصري	٢٠٠٤
١٩	زفتى	وسام من الرئيس	السيد الحسيني	٢٠٠٤

أشهر ما أخرج السيد حافظ من مسرحيات للمسرح

١) بنطلون روميو تأليف ابو السعود الأبيارى
٢) الغربان - تأليفه
٣) مسافر بلا متاع لجان انوى.
٤) الخواجة لامبو مات لعبد الرحمن الأبنودى
٥) شرق المتوسط لمحمود درويش
٦) الزوبعة لمحمود دياب
٧) الحبل لجان انوى
٨) حديقة الحيوان لادوارد اولبى بطولة أحمد آدم
٩) هم كما هم وليسوا هم الصعاليك تأليفه وبطولة مهدى يوسف المؤلف الشهير حاليا مؤلف يوميات ونيس
١٠) ليالى الحصاد لمحمود دياب
١١) أحبك يا مصر تأليفه
١٢) سندس تأليفه
١٣) الخطوبة لتشيكوف
١٤) المخبأ تأليفى
١٥) والله زمان يا مصر تأليفه
١٦) أحبك يا مصر تأليفه
١٧) مصطفى كامل تأليفه
١٨) عبد الله النديم تأليفه
١٩) مسافر ليل لصلاح عبد الصبور كاملة من بطولة ٣٠ طفلا ألحان حمدى رؤوف
٢٠) أولاد جحا تأليفه
٢١) ومن أشهر ممن ساعده في الإخراج لسنوات

الأستاذ عادل شاهين

الأستاذ محمد غباشي النجم المعروف الآن

المخرج ناجى أحمد ناجى

المخرج سيد شعبان

المخرج رمضان عبد الحفيظ

أخرج مسرحياته المؤلفة للمسرح من مصر الأساتذة المخرجون

أحمد عبد الحليم أخرج ٤ مسرحيات
محمود الألفي مسرحيتان
مجدى عبيد مسرحيتان
فاروق زكى مسرحية
دكتور محمد عبد المعطى مسرحيتان
دكتور حسام عطا مسرحية
فاروق زكى مسرحية
سمير حسنى مسرحية
محمد متولى مسرحية
عبد الرحمن الشافعى مسرحية
أشرف فاروق مسرحية
أحمد إسماعيل مسرحية
سمير زاهر مسرحية
عادل شاهين مسرحية
أسامة شفيق مسرحيتان
مجدى مجاهد مسرحينان
محمد سالم مسرحية
علي سرحان مسرحية
عباس أحمد مسرحية
إميل شوقي مسرحية
بالإضافة لحوالي ٣٠ مخرجا من أشهر مخرجى المحافظات

أخرج مسرحياته من العراق الأساتذة

د وليم يلدا مسرحية الطبول الخرساء فى الأودية الزرقاء
دكتور سعدى يونس مسرحية حكاية الفلاح عبد المطيع
دكتور عباس التاجر العراق بابل مسرحية حكاية مدينة الزعفران
دكتور بشار عليوى مسرحية اختفاء أبي ذر الغفارى

من الكويت أخرج مسرحياته

منصور المنصور (مسرحية سندريلا)
دخيل الدخيل (مسرحية سندريلا والأمير الجزء الثانى)

د حسين مسلم (مسرحية بيبى والعجوز)
عبد الله عبد الرسول (مسرحية مدينة الزعفران وحكاية الفلاح عبدالمطيع)

أشهر من أخرج له في الإمارات

جاسم عبيد الساحر حمدان

أشهر من أخرج له من تونس

الطيب السهلى المخرج التونسى أخرج مسرحية الفلاح عبد المطيع مرة فى فرقة جزائرية باسم " الليلة نحكى " ونالت جالزة افضل عرض ٢٠١٠ ومرة فى تونس لفرقة تونسية تونس باسم "ثورة الصبار"

كتب ودراسات مسرحية قدمت عن أعماله المسرحية

- **كتاب بحث رسالة الحكاية الشعبية في مسرح الطفل في الكويت - دراسة في مسرح السيد حافظ للباحثة آمال الغريب-المعهد العالى للفنون المسرحية ١٩٨٤- الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٧.**
- **كتاب بحث رسالة في الشخصية التراثية وظيفتها الفنية والفكرية في مسرح السيد حافظ - سميرة أوبلهى - مكناس المغرب ١٩٨٦-الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٨.**
- **بحث في اللغة الشعرية في مسرح السيد حافظ- موسكو- تحت إشراف المستشرق فلاديمير شاجال.**
- **كتاب إشكالية التأهيل في المسرح العربي - صليحة حسنى- بحث- كلية الآداب والعلوم الإنسانية - المغرب. الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٧.**
- **كتاب الفلاح في المسرح العربي - نموذجا حكاية الفلاح عبدالمطيع - للسيد حافظ – خديجة الفلاح - جامعة محمد الأول -المغرب الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٨.**
- **كتاب البطل الثوري في مسرح السيد حافظ - نموذجا ظهور واختفاء أبي ذرالغفارى- منصورية مباركى - وجدة - المغرب. الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٩.**
- **كتاب القضية الفلسطينية في مسرح السيد حافظ -نموذجا ٦ رجال في معتقل شنايف الحبيب - المغرب. الناشر مركز الوطن العربي ١٩٩٠.**
- **مفهوم الإرشادات المسرحية ومسألة التجريب في المسرح العربي. السيد حافظ نموذجا من خلال مسرحية " طفل وقوقع وقزح " حقون حميد - المغرب ١٩٩٢.**
- **التجريب في مسرح السيد حافظ الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب- نموذجا- عائشة عابد - جامعة محمد الأول -١٩٩١.**
- **الشخصية التراثية الشعبية في مسرح الطفل عن السيد حافظ - نموذجا على بابا- نزيهة بن طالب (الناشر - العربي للتوزيع).**
- **مسرح الطفل عن السيد حافظ – نموذجا " مسرحية الشاطر حسن " فاطمه حاجى - المغرب ١٩٩١.**
- **التجريب والعبث في المسرح العربي من خلال مسرحية سيزيف للسيد حافظ – حليمة حقوقى ١٩٩٢.**

- **التجريب في مسرح السيد حافظ نموذجا ١ " حبيبتي أنا مسافر و القطار أنت والرحلة الإنسان " ١٩٩٢-١٩٩٣ بنيونس الهواري. (المغرب)**
- **المسرح السياسي عند السيد حافظ من خلال مسرحية " ملك الزبالة أو الزبالين " رزوق أحمد – جامعة محمد الأول _ وجدة _ المغرب _ ١٩٩٦.**
- **مسرح الطفل عند السيد حافظ نموذجا مسرحية " قميص السعادة " نعيمة عبد اللاوي ١٩٩٦-١٩٩٧. (المغرب).**
- **إشكالية التجريب في مسرح السيد حافظ أطروحة لنيل دبلوم الدراسات العليا بنيونس الهواري ١٩٩٩-٢٠٠٠ (المغرب).**
- **مسرح الطفل عند السيد حافظ نموذجا مسرحية "سندريلا والأمير - وقميص السعادة" د. عبد العزيز خلوفة.**
- **جامعة محمد بن الله - فاس – المغرب ٢٠٠٢-٢٠٠٣.**
- **المسرح التجريبي عند السيد حافظ نموذجا مسرحية " سيزيف " سميرة لمسايح ٢٠٠٢-٢٠٠٣ (المغرب).**
- **التراث والمسرح مسرحية " حلاوة زمان " للسيد حافظ - نموذجا - فاطمة زكاوي ٢٠٠٢-٢٠٠٣**
- **دور مسرح الطفل في ترسيخ بعض القيم الأخلاقية عن طريق الحكاية الشعبية نموذج " سندريلا " للسيد حافظ - سناء جلال أحمد علي – جامعة المنوفية – قسم الإعلام التربوي – جمهورية مصر العربية ٢٠٠٢- ٢٠٠٣.**

من أهم الكتب التى كتبت عن السيد حافظ

١- **السيد حافظ والمسرح التجريبى د. ليلى بن عائشة - جزائرية**
٢- **دكتور على عاشور الجعفر مسرح الطفل – كويتى**
٣- **كتاب السيد حافظ ومسرح الطفل – كويتى**
٤- **الفعل الدرامى فى مسرح السيد حافظ - دكتور مصطفى رمضانى (مغربى) و٦ باحثين معه.**
٥- **التشظى وتداخل الأنواع الأدبية (تجربة السيد حافظ فى المسرواية) "جزءان" د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.**
٦- **التنوع الدلالي فى مسرح الطفل ما بين التناص والتراث والإخراج. د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.**
٧- **رؤية النقد لعلامات النص المسرحى لمسرح الطفل فى الوطن العربى. د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.**
٨- **تمظهر التجديد فى بنية السرد فى القصة القصيرة "السيد حافظ نموذجاً". د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.**

مشـــاركات

- **شارك في مهرجان**
- **قرطاج (تونس)**
- **بغداد (العراق)**
- **الأردن**

- أبو ظبي - القاهرة
- الإسكندرية - مطروح
- مهرجان بيجاية (الجزائر) - مهرجان مدينة وجدة المسرحى (المغرب)
- مهرجان مسرح الطفل (الكويت)

العنوان ١٢ شارع طارق يحيى عبد الغنى – التعاون – الهرم – الجيزة
موبايل ٠٠٢٠١٢٨١١١١٨٧٥ – ٠١١١٦٤٠٩٥٦٨ – ٠١٠٦٥٣٣٠٢٩٩
E-mail : Justhappy_man2000@yahoo.com
hafez66@live.com

فهرس

إهـداء ٤
دعاء.. ٨
إهداء أخير ١٠
الفصل الأول : لماذا هزمتنى الأيام على الرغم من أنى لم أفعل لها شيئا؟؟......... ١١
الفصل الثانى : أتشعرين بنبض قلبى وتفتحين شهوة روحى؟ ٣٥
الفصل الثالث : أَفَلا تَذَكَّرُونَ"... ٣٩
الفصل الرابع : فسر لى يا قلبى ؟ ٥٣
الفصل الخامس : حين أفكر فى النساء أشتهيك أنت.. .... ٦٤
الفصل السادس : قلبى الأسير فى هواك.. .... ٦٩
الفصل السابع : وأنا فى عشقك المقتول.." ٧٤
الفصل الثامن : أذكر أنى كنت أسامح الوطن ٨٢
الفصل التاسع : وأنا رجل أجيد الانتظار ٩١
الفصل العاشر : العجائز أشرار أحيانًا... ٩٩
الفصل الحادى عشر: ماذا أقول لعينيك وكل الكلام أمامها يتبخر.............. ١٠٥
الفصل الثانى عشر : يا أنثى لا تعرف قدرى ١١٨
الفصل الثالث عشر : فى قلبى إحساس ١٣٠
الفصل الرابع عشر : أشـتاق.. ١٣٨
الفصل الخامس عشر : آه من قلبك الذى ينسى وينسانى.......................... ١٤٦
الفصل السادس عشر : النور فى دمى يجرى ١٥٧
الفصل السابع عشر : أحبها دون النساء سيدة قلبى............................... ١٦١
الفصل الثامن عشر : العاشقون فى الخفاء ١٨٧
الفصل التاسع عشر : أنتظر عصفوراً ١٩٠
الفصل العشرون : صبحك الله بعطر كلامى وجنونى ١٩٦
الفصل الحادى والعشرون :مصر لا نستحقها كشعب................................ ٢٠٩
الفصل الثانى والعشرون : الأيام حبلى بالجنون.. والغربة......................... ٢٢٠

الفصل الثالث والعشرون : الحبل السرى للروح ٢٢٨
الفصل الرابع والعشرون : السباحة العارية ٢٥٨
الفصل الخامس والعشرون : خذلتنى الأيام والأحلام.................................. ٢٦٧
الفصل السادس والعشرون : أنا وطن الفقراء.. ٢٧٩
الفصل السابع والعشرين : الوطن غريزة طبيعية ؟..................................... ٢٩١
الفصل الثامن والعشرين : كم مشينا وحكينا ٣٠٠
الفصل التاسع والعشرون : الهروب من مصر مثل موسى عليه السلام ٣١٢
ببليوجرافيا الكاتب السيد حافظ وأهم أعماله فى المسرح والرواية ٣١٥
فهرس ٣٢٤